الخرافات الوافرة حول زيارات القبور

(الإصدار الثاني)

(مُراجَع ومَزيد)

تأليف:

آية الله العظمى العلامة

سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِي

تعريب وتحقيق

د. سعد رستم

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب بالفارسية:	خرافات وفور در زيارات قبور (تحرير دوم)
عنوان ترجمة الكتاب إلى العربية:	الخرافات الوافرة حول زيارات القبور (الإصدار الثاني) (مُراجَع ومَزيد)
نقله إلى العربية وعلَّق حواشيه:	د. سعد رستم
تأليف:	آية الله العظمى العلامة السيد أبو الفضل ابن الرضا البُرقعي القُمّي (١٣٣٠هـ- ١٤١٤هـ) الموافق (١٩٠٨م - ١٩٩٢م) Www.Borqei.Com
الناشر:	دار العقيدة للنشر والتوزيع (Www.Aqideh.Com)
سنة النشر:	١٤٣٥ هـ ق / ٢٠١٥ م

الإشراف العلمي والإعداد الفني: مجموعة الموحدين
Www.Mowahedin.Com
Contact@Mowahedin.Com

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المشروع

الحمد لله الذي أنعم على عباده بنعمة الإسلام، واختار منهم أفضل عباده وأطهرهم لإبلاغ رسالة الحرية والتحرُّر من كل عبودية سوى عبودية الله، والصلاة والسلام على أهل بيتِ نبي المحبة والرحمة الكرام الأطهار، وعلى صحبه الأجلاء الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فإن الدينَ الذي نفخر به اليوم ثمرةٌ لجهاد رجال الله وتضحياتهم؛ أولئك الذين كانت قلوبهم مُتيَّمةً بحب الله، وألسنتهم لَـهِجَةً بذكر الله، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل حفظ رسالات الله ونشرها، واضعين أرواحهم وأموالهم وأعراضهم على أكفهم ليقدِّموها رخيصةً في سبيل صون كلمة الله سبحانه و سنة نبيه الكريم، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، ولا يخشون إلا الله.

أجل، هكذا قامت شجرةُ الإِسْلاَمُ العزيز واسْتَقَرَّت ضاربةً بجذورِها أعماق الأرض، بالغةً بفروعها وثمارها عنان السماء، مُعْليةً كلمة التوحيد والمساواة.

ولكن في أثناء ذلك، تطاولت على قامة الإسلام يد أعدائه الألدَّاء، وظلم علماء السوء، وتحريف المتعبِّدين الجَهَلة، فَشَوَّهُوا صورة الإسلام الناصعة بشركهم وغلوهم وخرافاتهم وأكاذيبهم، إلى درجة أن تلك الأكاذيب التي كان ينشرها المتاجرون بالدين غطَّت وجه الإسلام الناصع. وقد اشتدَّ هذا المنحى من الابتعاد عن حقائق الدين، وعن سنة رسول الله الحسنة، بمجيء الصفويين إلى حكم إيران في القرن التاسع الهجري ثم بقيام الجمهورية الإسلامية في العصر الحاضر، حتى أصبحت المساجد اليوم محلاً لِـلَطْمِ الصدور وإقامة المآتم ومجالس العزاء، وحلَّت الأحاديث الموضوعة المكذوبة محل سنة النبي ﷺ، وأصبح المدَّاحون الجهلاء الخدّاعون للعوام، هم الناطقون الرسميون باسم الدين؛ وأصبح التفسير بالرأي

المذموم والروايات الموضوعة المختَلَقة مستمسكًا للتفرقة بين الشيعة والسنة، ولم يدروا للأسف من الذي سينتفع ويستفيد من هذه التفرقة المقيتة؟

إن دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي تُرْفع اليوم في إيران، ليست سوى ضجَّة إعلامية ودعاية سياسية واسعة، القصد منها جذب الأنظار وإعطاء صورة جيدة عن حكومة إيران الشيعية في العالم. إن نظرةً إلى قادة الشيعة في إيران وزعمائهم الدينيين ومراجعهم تدل بوضوح على هذه الحقيقة وهي أن التقريب بين المذاهب الإسلامية والأخوَّة والمحبَّة الدينية بين المسلمين، على منهج حُكَّام إيران الحاليين، ليست سوى رؤيا وخيالٍ وشعارات برَّاقة لا حقيقة لها على أرض الواقع.

في هذا الخِضَمّ نهض أفراد مؤمنون موحِّدون من وسط مجتمع الشيعة الإمامية في إيران، دعوا إلى النقد الذاتي، وإعادة النظر في العقائد والممارسات الشيعية الموروثة، ونبذ البدع الطارئة والخرافات الدخيلة، وإصلاح مذهب العترة النبوية بإزالة ما تراكم فوق وجهه الناصع منذ العصور القديمة من طبقات كثيفة من غبار العقائد الغالية والأعمال الشركية والبدعية، والأحاديث الخرافية والآثار والكتب الموضوعة، والعودة به إلى نقائه الأصلي الذي يتجلى في منابع الإسلام الأصيلة: القرآن الكريم وما وافقه من الصحيح المقطوع به من السنة المحمدية الشريفة، على صاحبها آلاف التحية والسلام، وما أيَّدهما من صحيح هدي أئمّة العترة الطاهرة وسيرتهم؛ وشمَّر هؤلاء عن ساعد الجِدّ، وأطلقوا العِنان لأقلامهم وخطبهم ومحاضراتهم لإزالة صدأ الشرك عن معدن التوحيد الخالص؛ ولسان حالهم يقول: «انهض أيها المسلم وامحُ هذه الخرافات والخزعبلات عن وجه الدين، واقضِ على هذا الشرك الذي يتظاهر باسم التقوى، وأعلن التوحيد وحطِّم الأصنام».

لقد اعتبر «حيدر علي قلمداران القمِّي» - وهو أحد أفراد تلك المجموعة من الموحِّدين المصلحين - في كتابه «طريق الاتحاد»، أن سبب هذه التفرقة هو جهل المسلمين بكتاب الله وسيرة نبيه، وسعى من خلال كشف الجذور الأخرى لتفرُّق الفرق الإسلامية، إلى التقدّم خطوات مؤثرة نحو التقريب الحقيقي بين المذاهب. ولا ريب أن جهود علماء الإسلام الآخرين مثل آية الله السيد أبو الفضل ابن الرضا البرقعي، والسيد مصطفى الحسيني الطباطبائي، وآية

الله شريعت سنكلجي، ويوسف شعار وكثيرين آخرين من أمثال هؤلاء المجاهدين في سبيل الحق، هي أسوة ونبراس لكل باحث عن الحق ومتطلِّعٍ إلى جوهر الدين، كي يخطوا هم بدورهم أيضًا خطوات مؤثرة في طريق البحث والتحقيق التوحيدي، مُتَّبِعين في ذلك أسلوب التحقيق الديني وتمحيص الادِّعاءات الدينية على ضوء التعاليم الأصيلة للقرآن والسنة، ليعينوا ويرشدوا من ضلوا الطريق وتقاذفتهم أمواج الشرك والخرافات والأباطيل، ليصلوا بهم إلى بر أمان التوحيد والدين الحق.

إن المساعي الحثيثة التي لم تعرف الكلل لِرُوَّاد التوحيد هؤلاء لَهِيَ رسالةٌ تقع مسؤوليتها على عاتق الآخرين أيضًا، الذين يشاهدون المشاكل الدينية لمجتمعنا، ويرون ابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام الحيَّة، لاسيما في إيران.

هذا ولا يفوتنا أن نُذَكِّر هنا بأن هؤلاء المصلحين الذين نقوم بنشر كتبهم اليوم قد مرُّوا خلال تحوُّلهم عن مذهبهم الإمامي القديم بمراحل متعددة، واكتشفوا بطلان العقائد الشيعية الإمامية الخاصة - كالإمامة بمفهومها الشيعي والعصمة والرجعة والغيبة و... وكالموقف مما شجر بين الصحابة وغير ذلك - بشكل متدرِّج وعلى مراحل، لذا فلا عجب أن نجد في بعض كتبهم التي ألفوها في بداية تحولهم بعض الآثار والرسوبات من تلك العقائد القديمة لكن كتبهم التالية تخلَّصت منها بل نقدت بشدة كل تلك العقائد المغالية واقتربت من الغاية المنشودة بل إنها عانقتْ العقيدة الإسلامية الصافية والتوحيدية الخالصة.

***

الأهداف

تُمَثِّلُ الكتبُ التي بين أيديكم اليوم سعيًا لنشر معارف الدين وتقديرًا لمجاهدات رجال الله التي لم تعرف الكَلَل. إن الهدف من نشر هذه المجموعة من الكتب هو:

١- إمكانية تنظيم ونشر آثار الموحِّدين إلكترونيًا على صفحات الإنترنت، وضمن أقراص مضغوطة، وفي كتب مطبوعة، لتهيئة الأرضية اللازمة لتعرُّف المجتمع على أفكارهم التوحيدية وآرائهم الإصلاحية، ولتأمين نقل قِيَم الدين الأصيلة إلى الأجيال اللاحقة.

٢- التعريف بآثار هؤلاء العلماء الموحِّدين وأفكارهم التي تشكِّل مشعلاً يهدي الأبحاث التوحيدية و ينير الدرب لطلاب الحقيقة ويقدِّم نموذجًا يُحْتَذَى لمجتمع علماء إيران.

٣- حث المجتمع الديني الشيعي على ترك التقليد وإعادة التفكير في معتقداتهم الدينية لأن المجتمع الديني الشيعي عامة وفي إيران خاصة اعتاد التقليد المحض، وتصديق كل ما يقوله رجال الدين دون تفكير، ويتمحور حول المراجع ويحب المداحين. ولذا فإن هذه الكتب تحث إلى إعادة التفكير في أفكارهم الدينية التي أخذوها من رجال الدين وتدعوهم إلى استبدال ثقافة التقليد بثقافة التوحيد، وتريهم كيف أنه نهض من بطن الشيعة الغلاة الخرافيين، رجال أدركوا نور التوحيد اعتمادًا على كتاب الله وسنة رسوله.

٤- إن نشر آثار هؤلاء الموحِّدين الأطهار وأفكارهم، ينقذ ثمرات أبحاثهم الخالصة من مقصِّ الرقيب ومن تغييب قادة الدين والثقافة في إيران لهذه الآثار القَيِّمة والتعتيم عليها، كما أن ترجمة هذه الآثار القَيِّمة لسائر اللغات يُعَرِّف الأمّة الإسلامية بآراء الموحدين المسلمين في إيران وبأفكارهم النيِّرة.

***

آفاق المستقبل

لا شك أنه لا يمكن الوصول إلى مجتمع خالٍ تمامًا من الخرافات والبدع وإلى المدينة الفاضلة التي تتحقق فيها الطمأنينة في ظلِّ رضا الله سبحانه وتعالى، إلا باتِّباع التعاليم النقيَّة الأصيلة للقرآن الكريم وسنة نبي الرحمة والرأفة ﷺ. إن هدف القائمين على نشر مجموعة آثار الموحِّدين هو التعريف بآثار هؤلاء المجاهدين العلميين الكبار، كي تكون معرفة الفضائل الدينية والعلمية لهؤلاء الأعزاء، أرضية مناسبةً لنموّ المجتمع التوحيدي والقرآني في إيران وقوّته، وذلك لنيل رضا الخالق وسعادة المخلوق.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمات المختصرة وسيلة لعلوّ درجات أولئك الأعزاء، وأن يمنّ علينا بالعفو.



مقدمة الناشر

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة العبودية له، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وآخر رسل الله محمد المصطفى وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار.

وبعد، فقد كان المسلمون طول القرون المنصرمة سبَّاقين في تحصيل العلم والمعرفة وتعلُّم العلوم المختلفة، وذلك ببركة تعاليم الإسلام العزيز واتِّباعًا منهم لكلام رسول الله ﷺ، حتى صار العلماء المسلمون في أواخر فترة الخلافة العباسية سادة العلوم في عصرهم، وتحول بيت الحكمة الذي تأسس في بغداد في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني في عهد خلافة هارون الرشيد العباسي، إلى أكبر مؤسسة علمية وبحثية في العالم، ولا يزال بيت الحكمة يُعتَبر مظهرًا من مظاهر الحضارة الإسلامية، وذلك بفضل نشاطاته الثقافية والعلمية في المجالات المختلفة من تأليف وترجمة واستنساخ وأبحاث متنوعة في المجالات العملية المختلفة سواء الطب والهندسة أم العلوم الإنسانية.

ولا شك أن هذه القوة العلمية للمسلمين كانت بمثابة شوكة في أعين أعداء الإسلام، لذلك سعوا من خلال بثِّ أسباب الفرقة والاختلاف بين المسلمين إلى تحطيم عَظَمَة الإسلام هذه وسؤدده الذي يعود الفضل فيه إلى وحدة المسلمين وتماسكهم والأخوة السائدة بينهم، فأثار أعداء الإسلام عواصف النزاعات والتفرقة بين المسلمين كي يحجبوا جمال الحق عن أبصارهم، ويخفوا شمس الدين المشعة خلف غيوم البدع والخرافات.

إن المساعي المخطط لها وعلى المدى الطويل لأعداء الإسلام، بغية إغلاق أعين المسلمين

عن حقيقة الدين وإضعاف المسلمين عن تعلُّم معارف الدين ونشرها، وإبعادهم عن سنة النبي الأصيلة الهادية، أدت إلى حدوث فجوة عميقة واختلاف كبير في أمة الإسلام وأصبح أبناء الإسلام اليوم يعانون بشدَّة من تبعات هذه الفجوة وآثارها المشؤومة.

وبموازاة مساعي أعداء نبي الإسلام ﷺ الرامية إلى تحريف تعاليم الإسلام وتشويهها وإدخال البدع المختلفة في الدين، أدرك أشخاصٌ مؤمنون أطهار شفيقون هذا الخطر، ونهضوا مشمِّرين عن ساعد الجِد والجهاد المتواصل لإحياء معالم الإسلام والسنة النبوية الأصيلة، وتناولوا بأيديهم -بشجاعة منقطعة النظير- أقلامهم وأخذوا يكتبون ويؤلفون في نشر ثقافة الإسلام الأصيلة والعقائد الإسلامية الصحيحة النقية بين أوساط الشيعة عُبَّاد الخرافات، وصدحوا بينهم بنداء التوحيد بصوت عال أيقظ المتاجرين بالدين والبدع من نوم غفلتهم مذعورين! لقد ضحى هؤلاء الموحدون الطالبون للحق والحقيقة بمصالحهم الشخصية فداء للحقيقة، وقدموا أرواحهم في هذا السبيل هديةً رخيصةً للحق تعالى، وصاروا عن حق مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴿٦٢﴾﴾ [يونس:٦٢].

إن ما جاء في هذه المجموعة ليس سوى غيضٍ من فيض المعارف الإلـهية، ومُنْتَخَبٍ من آثار الموحدين الطالبين لله تعالى الذين كانوا ينتمون في بداية أمرهم لطائفة الشيعة. لقد أشرق نور الله في صدورهم، وصار التوحيد نبراس حياتهم المباركة.

لم تتحول هذه النخبة من الطراز الأول من كبار أعلام المذهب الشيعي في إيران، مرة واحدة؛ بل اتخذ مسار التحول، التحول التدريجي خطوةً فخطوة. وذلك بعد مجاهدة للنفس ومدارسة للعلم وبحثٍ جاد، وتفكير عميق، ودراسةٍ متأنية، ومناظرات وحوارات مع من تحرر من ربقة التقليد، وإقليد الهوى العنيد؛ مما يضفي قيمة كبيرة لهذه الكتب التي وُلدت بعد مشقة كبيرة، ومجاهدة عظيمة. ولا يعني هذا أن الجميع قد وصل إلى صفاءٍ تام؛ بل يعسر على من تربى على شيء أن ينزعَ عنه إلا بشُقة شديدة، وتدرج مع الزمن. لذا فمن الطبيعي أن لا تنطبق بعض رؤى وأفكار هؤلاء الإصلاحيين في بعض مراحل حياتهم وكتاباتهم، مع عقيدة أهل السنة والجماعة انطباقًا كاملاً؛ وعلى الرغم من ذلك، فقمنا بنشر هذه المؤلفات كما هي نظرًا لأهميتها في هداية الشيعة. كما أنه من الجدير بالذكر أن الرؤى والمواقف الفكرية

المطروحة في هذه الكتب، لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر والقائمين على نشر هذه المجموعة من الكتب، هذا على الرغم من أن هذه الكتب تمثل بلا ريب نفحةً من نفحات الحق ونورًا يضيء الطريق لطالبي الحقيقة النائين بأنفسهم عن العصبيات الجاهلية والمذهبية والظنون التاريخية الطائفية الكاذبة.

إن النقطة الجديرة بالتأمّل هي، أن من يريد الوقوف بشكل صحيح على رؤى وأفكار هؤلاء الأعلام، أن لا يكتفي بقراءة كتاب واحد من آثارهم؛ بل لا بد من قراءة حياتهم بشكل كامل، لكي يتعرَّف بشكل كامل على كيفية تحولهم الفكري، ودوافعه وعوامله. فعلى سبيل المثال، ألف آية الله السيد أبو الفضل البرقعي في الفترة الأولى من بداية تحوله الفكري كتابًا بعنوان «درسى از ولايت» أي «درسٌ حول الولاية»، بحث فيه موضوع الأئمة وادعاء الشيعة حول ولايتهم وإمامتهم ورئاستهم المباشرة للمسلمين بعد نبي الله ﷺ. واعتبر أن عدد الأئمة ١٢ إمامًا، مصحِّحًا بذلك الاعتقاد بوجود محمد بن الحسن العسكري بوصفه الإمام الثاني عشر، وأنه لا يزال على قيد الحياة؛ ولكن المؤلِّف نفسه ألف بعد عدة سنوات كتابًا باسم «دراسة علمية لأحاديث المهدي»، ووضع تحت تصرف القراء نتائج بحثه التي توصل إليها في هذا المجال، أن جميع الأخبار والروايات التاريخية المتعلِّقة بولادة ووجود المهدي إمام الزمان، موضوعة ومكذوبة. فمن خلال هذا المثال ومن أمثلة مشابهة أخرى يتبيَّن لنا أن أفضل طريق لمعرفة المسيرة التحولية لأفكار هؤلاء الموحدين وآثارهم هي قراءة مجموعة كتاباتهم بشكل كامل، مع الأخذ بعين الاعتبار تاريخ تأليف كل مؤلف من مؤلفاتهم من حيث تقدمه أو تأخّره زمنيًا.

نأمل في أن يكون سعينا في نشرِ آثار هؤلاء الأعلام مما يوفق الله به في تحقيق التوحيد، وتنقية العقائد من ظلمات الشرك وشوائبه، ونفْض لغبار البدع وترهّات الخرافة، ومشعلاً يستضيء به الموفق لطريق الهداية، وقبسًا يستنير به طالب النزوع من دروب الظلمة والغواية.

وختامًا: نسأل الله عز وجل أن يجعل عملنا هذا مما تَقَرُّ به أعيننا يوم نلقاه، ونسأله أن يتغمد هؤلاء الأعلام الذين جاهدوا في سبيل الوصول إلى الحق والتوحيد وإفراده بالعبادة بواسع رحمته، إنه رؤوف رحيم، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المتَرْجِم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيِّين أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأخيار المنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد،

فإن من أشدّ ما ابتُلِيَ به الأئمة الأطهار من آل الرسول قيام جماعات من الغلاة أو الزنادقة المندسِّين بين صفوف تلاميذهم بدسِّ كثير من الأحاديث الكاذبة والترّهات الباطلة والروايات التي تبث الفرقة والاختلاف ونسبتها كذبًا إليهم أو إلى رسول الله ﷺ، وبثِّها — كما يقول الأستاذ المحقق محمد باقر البهبودي - في الصحائف والأصول ترويجًا لأفكارهم الضالة أو تخريبًا للإسلام من داخله كي يختلط الحق بالباطل وتتنفر منه طباع المتفكِّرين وأنظار العالمين.

وقد بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام جهدًا كبيرًا في فضح هؤلاء الغلاة ولعنهم والتحذير من أخطارهم وأفكارهم وإعلان البراءة من أقاويلهم وغلوِّهم بحقِّهم، كما بذل قدماء علماء الرجال (من الشيعة الإمامية) جهودًا مشكورةً في تعقُّب هؤلاء الغلاة وفضحهم وبيان أحوالهم، ويسَّروا بذلك السبيل على من أتى بعدهم ليعرف الأصيل من الدخيل والصحيح المقبول من الضعيف المتروك، وقد أجمع علماء الشيعة الأصوليون المحققون على تكفير الغلاة وتضليل أقاويلهم حتى قال مرجع الشيعة الإمامية الأعلى في عصره السيد أبو القاسم الخوئي في فتواه الشهيرة حول المفوِّضة الغلاة: «... إن الكتاب العزيز (أي القرآن) يدلُّ على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه (إلى أن قال): فهذا الاعتقاد [أي

الغلوّ والتفويض] إنكارٌ للضروري.. فيبتني كفر هذه الطائفة (الغلاة والمفوضة)».

هذا، علاوة على أن الأئمة من آل الرسول ﷺ وضعوا لمواجهة حركة الدس والوضع هذه قاعدة ممتازة شافية وكافية لو أُخِذَ بها لتطهَّر التراث الحديثي والروائي الشيعي تمامًا من كل الخرافات والأباطيل والأكاذيب التي انتشرت فيه كثيرًا مع الأسف، ألا وهي قاعدة العرض على القرآن الكريم، فقد روي هذا المعنى عن أئمة أهل البيت ﷺ بعبارات متنوعة كقولهم: «**لا تقبلوا علينا حديثًا إلا ما وافق الكتاب والسنة**». و «**ما جاءكم من حديث لا يصدِّقُه كتابُ الله فهو باطل**» و«**كلُّ شيءٍ مردودٌ إلى كتاب الله والسنَّة، وكلُّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف**» ونحوها من الروايات العديدة التي حكم بعض الأساطين بتواترها تواترًا معنويًا.

ومن جملة الموضوعات التي كثر افتراء الأحاديث الكاذبة فيها موضوع فضائل زيارات قبور الأئمّة من آل الرسول ﷺ، فقد وضع الغلاة أحاديث لا حصر لها في آداب هذه الزيارات وما على الزائر أن يفعله عند الأضرحة والعتبات، وما أُعِدَّ للزائر من عظيم الأجر والمثوبات والفوز بالجنات، واصطنعوا نصوصَ زياراتٍ و أدعية منمَّقة العبارات مليئة بالغلوّ والمبالغات مما يجافي روح التوحيد الناصع من الإطراءات ويناقض ما ذُكِر في كتاب الله من الآيات، ليقرأها الزوَّار عند قبور الأئمة أو قبور ذراريهم فينالوا ثوابات جُزافية وأجورًا هائلةً خياليَّة يمجُّها العقل والشرع.

وقد قام مؤلف هذا الكتاب بدراسة وتمحيص متون روايات فضائل زيارات القبور هذه ووَزَنَهَا بميزان القرآن الكريم ثم التاريخ والعقل، وَخَرَجَ بنتيجة مفادها أن جميع ما رُوِيَ في فضائل وأجور زيارات القبور لا يوجد فيها حديثٌ صحيحٌ واحدٌ! وأنها مما وضعه الغلاة والوضّاعون في العصور اللاحقة على زمن الأئمة ﷺ. وقد قارن المؤلف هذه الروايات الموضوعة المغالية بما صح عن أئمة العترة النبوية بدءًا من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم سائر الأئمة الكرام من وُلْدِهِ من أدعية توحيديّة خالصة ومن روايات يرفضون فيها المغالاة بحقهم والتجاوز في إطرائهم وتعظيمهم، ومن تأكيدهم على أن الله قريبٌ من الداعين لا يحتاج إلى الاستشفاع لديه بشفعاء ولا التوسل إليه بوسطاء بل هو قريب مجيب بابه مفتوح

للسائلين حتى من العصاة والمذنبين، وهو أكرم مسؤول وخير مأمول.... إلخ، كما جاء في نصوص ذكرها من أدعية «الصحيفة العلوية» المروية عن علي بن أبي طالب عليه السلام، أو «الصحيفة السجادية» الشهيرة المروية عن الإمام زين العابدين السجاد عليه السلام، أو نصوص ممتازة اقتبسها من «نهج البلاغة» مما جمع الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو غيرها من الأدعية الصحيحة الأخرى الموجودة في الموروث الروائي الشيعي الصحيح. وقد قام المؤلف بتنقيح مجدد ثان لكتابه في أواخر عمره، وهو هذا الكتاب الذي بين يديكم.

وفي الختام أشير إلى أنني علَّقتُ بعض التعليقات في الحاشية خدمةً للكتاب بينت فيها مواضع الروايات ومصادرها وترجمت لبعض الشخصيات أو علقت بعض الملاحظات على ما جاء في المتن، وميزت تعليقاتي برمز (المُتَرْجِمُ). أسأل الله تعالى أن يتقبل منا ويوفقنا لمرضاته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور سعد رستم

المُتَرْجِم

سِيرَةُ المؤَلِّفِ بِقَلَمِهِ

الْـحَمْدُ لِـلَّهِ الذي منَّ عليَّ بتمييز الحق من الباطل وأرشدني إليه سبحانه[1].

الْـحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ، إلهي أنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت. والصلاة والسلام بلا عدّ ولا حدود على الرسول المحمود محمد المصطفى ﷺ وأصحابه وأتباعه الذين اتَّبعوه بإحسان إلى يوم لقائه.

وبعد، فإن عددًا من الأحبة وإخواني في العقيدة والفكر أصرُّوا على هذا العبد الفقير سيد أبوالفضل ابن الرضا البرقعي أن أكتب ترجمةً لسيرة حياتي وأُسجِّل ضمن ذلك عقائدي كي لا يتمكَّن المُفترون من تلفيق التهم لي بعد موتي. لأن كل من يحارب العقائد الخرافية لمُدّعي التقوى والمُتظاهرين بالعلم، يصبح له أعداء كثيرون، أعداء لا يتورَّعون - عندما يرون شخصًا مُخالفًا لعقائدهم - عن تكفيره وتفسيقه وكَيْلِ كلِّ نَوْعٍ من الاتِّهَامَات له، بل يرون في ذلك عملاً شرعيًا يُثابون عليه!! وقد وضعوا بالطبع في كتب الحديث أحاديث تُحلِّل لهم مثل هذا العمل، على نحوٍ لو اطَّلعَ عليها شخص قليل المعرفة لظنَّها أحاديث صحيحةً!

وعلى كل حال إنني أرى نفسي ذرَّةً ضئيلة الشأن، لا أستحق أن تُكْتَبَ عنِّي سيرة وتاريخ حياة، ولكنني أرى تلبية طلب الأصدقاء والأحباب وعدم ردِّ طلبهم أمرًا واجبًا عليّ، لذا سأكتب لهم باختصار جانبًا من سيرة حياتي، رغم أنني أشرت إلى جوانب من ذلك في بعض مؤلفاتي وأنا مضطر هنا إلى تكرار بعض تلك المطالب لأهميتها.

---

(١) أيها القراء الكرام! من الجدير بالذكر أننا رأينا من اللازم أن نُعرِّف بمؤلف هذا الكتاب آية الله العظمى سيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي القمي بقلمه ذاته، لذا اخترنا بعض المطالب المُتفرِّقة من كتاب سيرته الذاتية الموسوم بـ «**سوانح ايام**» أو «**الذكريات**»، الذي أَلَّفه بنفسه ودوَّن فيه سيرة حياته، لعلَّنا إن شاءالله نتمكَّن من التعرُّف الصحيح على هذه الشخصية الجليلة، ونُؤكِّد في هذا المقام أنه للتعرّف التام على هذه الشخصية الإيرانية المجهولة لا بُدَّ من قراءة كتبه الأخرى، لاسيما كتابه «**سوانح الأيام**» [الناشر].

نسب المؤلِّف

اِعْلَم أن كاتب هذه السطور من أهل مدينة «قم»، وأن آبائي وأجدادي عاشوا في هذه المدينة منذ ثلاثين جيلاً، وجدي الأعلى الذي جاء إلى «قم» وتوقف فيها هو «موسى المُبَرْقَع» ابن الإمام محمد تقي بن حضرة علي بن موسى الرضا عليه السلام وقبره اليوم في «قم» معروف ومشهور، ولما كانت سلسلة نسبي تصل إلى موسى المُبرقع أُطلق على أسرتي اسم: «البُرقعي»، وبما أن النسب يصل أيضًا إلى حضرة الرضا أُطلق على الأسرة أيضًا لقب «الرضوي» أو «ابن الرضا» ولهذا السبب اخترت أن تكون نسبتي في البطاقة الشخصية «ابن الرضا».

أما شجرة نسبي، كما ذُكِرَت في كتب الأنساب والمُشجَّرات وكما كتبتُها في أحد مؤلفاتي المُسمَّى بـ «**تراجم الرجال**» في باب الألف، فهي كما يلي: أبوالفضل بن الحسن بن أحمد بن رضي الدين بن مير يحيى بن مير ميران بن أميران الأول بن مير صفي الدين بن مير أبو القاسم بن مير يحيى بن السيد مُحسن الرضوي - وكان كبير وجهاء أهل مشهد الرضا وأشهر أعلامها في وقته-ابن رضي الدين بن فخر الدين علي بن رضي الدين حسين بادشاه بن أبي القاسم علي بن أبي علي محمد بن أحمد بن محمد الأعرج ابن أحمد بن موسى المُبرقع، ابن الإمام محمد الجواد رضي اللهُ عن آبائي وغفر اللهُ لي ولهم.

أما والدي السيد حسن فقد كان فقيرًا معرضًا عن الدنيا وكان من أزهد الناس، معتمدًا في قوته حتى آخر أيامه على عمل يده، فكان يعمل في فصل الشتاء البارد وفي جو الصقيع حتى وهو شيخ كبير. إلا أنه كان سعيدَ الحال، دائم البشر والسرور، يُحبُّ السَّهَر، وكان من أهل العبادة، وكان مع قلة ذات يده جوادًا متواضعًا.

وأما جدِّي الأول، أي والدُ أبي، السيد أحمد، فقد كان عالمًا بارزًا، ومجتهدًا معروفًا، ولكنه لم يكن يحب الظهور، وهو من أبرز التلاميذ الذين اعتنى بهم الميرزا الشيرازي[1] صاحب

---

(١) هو السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي، مرجع الشيعة الإمامية ورئيس الطائفة الأبرز في عصره، واعتُبر لديهم مجدد المذهب في القرن الرابع عشر، واشتُهر بإصداره فتوى تحريم التنباك (التبغ) لإحباط اتفاقية (التنباك) بين حكومة ملك إيران ناصر الدين شاه وشركة ريجي البريطانية التي كانت ستؤدي إلى بسط نفوذ بريطانيا التجاري والسياسي في إيران والإضرار بالشعب الإيراني. وقد أدى انصياع الناس الكامل

فتوى تحريم التبغ، وكما بينت في كتابي "تراجم الرجال"، عاد جدِّي -بعد بلوغه درجة الاجتهاد- من سامراء إلى قم وأصبح مرجع الناس فيها في أمور الدين والقضاء الشرعي والفصل بين الناس في الخصومات، وكان أثاث منزله متواضعًا كحال سلمان، وبعيدًا عن الثراء كحال أبي ذر، لا ينتظر من أحدٍ درهمًا ولا دينارًا.

[بدايات التحصيل العلمي]

وعلى كل حال لما كان أبي لا يملك من مال الدنيا شيئًا، لم يكن قادرًا على الإنفاق على تعليمي وتربيتي، بل تمكنت من الدراسة بفضل سعي واهتمام والدتي التي أرسلتني إلى الكَتَّاب وكانت تُدبِّر أمرها بأيِّ طريق كانت لتُرسل كل شهر قسطًا شهريًا بقيمة ريال إلى المعلم كي يقبلني في صفه.

كانت أمي «سكينة سلطان» امرأةً عابدةً زاهدةً قنوعةً، والدها الحاج الشيخ: غلام رضا القمي -صاحب كتاب «رياض الحسيني»- كان واعظًا معروفًا. وكان المرحوم الشيخ غلام حسين الواعظ والمرحوم الشيخ علي المحرر خالاي. وكتاب «**فائدة الممات**» من مؤلفات الشيخ غلام حسين. وعلى كل حال كانت أمي امرأةً مُدَبِّرَةً جدًا أنقذت أبناءها بتوفيق الله من المجاعة، وكان عمري في عام المجاعة- أي أيام الحرب العالمية الأولى حين دخلت القوات الروسية إيران- خمس سنوات.

لم يكن المعلم يهتم بي أثناء طفولتي وذهابي إلى الكَتَّاب، بل تعلَّمت القراءة والكتابة شيئًا فشيئًا من خلال الإصغاء إلى دروس الأطفال الآخرين.

كانت طريقة التعليم سابقًا تختلف عنها اليوم، حيث لم يكن المعلم يُدرِّس طلاب الغرفة الواحدة جميعًا، بل كان لكل طالب درسٌ يخصّه. ونظرًا لضيق يد أهلي لم أكن أعطي المعلم القسط الشهري بشكل منتظم، ولهذا لم يكن لي درس يُخُصّني مثل بقية الأطفال.. ومع ذلك تقدمت في التعلم بالجلوس قريبًا منهم. ولم يكن لديَّ دفترٌ وأوراقٌ منظَّمةٌ أكتب عليها،

لفتوى الميرزا في تحريم تدخين التنباك إلى تراجع الملك ناصر الدين شاه قاجار عن موقفه وإلغاء الاتفاقية. توفي الميرزا حسن الشيرازي في شعبان ١٣١٢هـ في سامراء وحمل إلى النجف ودفن فيها. (المُتَرْجِمُ)

لكنني كنت أستفيد من الأوراق التي يرميها أصحاب الدكاكين والعطارين، فإذا وجدت أحد وجهيّ الورقة أبيَض أخذته لأكتب عليه. وعلى كل حال ينبغي عليَّ أن أحمد الله تعالى أن تعلمت في تلك الفترة قبل أن تنشأ الصفوف الحديثة ذات التكلفة الكبيرة؛ إذْ أصبح التعليم اليوم يتطلب من كل طالب شراء عديد من الدفاتر والكتب، فكيف كان لطالب فقير مثلي لم يكن يستطيع أن يشتري قلمًا أو كراسة واحدةً، أن يدرس ويتعلَّم العلم؟

[الدراسات الحوزوية]

عندما أكملت تعلّم القراءة والكتابة الفارسية وقراءة القرآن صغيرًا، قدم إلى قم عالم دينٍ يُدعى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي[1] - وكان من كبار علماء الشيعة آنذاك، وجاء إلى قم بدعوة من أهلها بعد أن كان مقيمًا في مدينة أراك، وقام بفتح حوزة لطلاب العلم. وكان لي من العُمْر حينذاك ١٢ عامًا، فعزمت على الالتحاق بدروس هذه الحوزة، فذهبتُ إلى المدرسة الرضوية الواقعة في سوق مدينة قم القديم حتى أحصل على حجرة فيها وأشتغل هناك بدراسة العلوم الشرعية.

كان المسؤول عن المدرسة سيدًا يُدعى "سيد محمد الصحَّاف" وكان ابن خالة والدتي، فتقدمت لأحصل على حجرة خاصة مثل بقية الطلاب، ولكنني لم أحظ بذلك نظرًا لصغر سنّي، بل أعطوني إيوانًا صغيرًا جدًا في أحد زوايا المدرسة يشبه ممرًا أو ردهةً طولها متر وعرضها متر، كان خادم المدرسة يضع فيها مكنسته ودَلْوَه، وأكرمني خادم المدرسة بأن وضع لهذه الردهة الصغيرة بابًا مكسورًا، وأحضرت من منزل والدتي بساطًا صغيرًا فرشته في أرض الردهة، وانصرفت إلى تحصيل العلوم ليلاً ونهارًا في هذه الحجرة المحقَّرة التي لم تكن تقيني من حر الصيف ولا من برد الشتاء بسبب بابها المتهالك والفُرَج العديدة التي في جنباتها.

---

(١) آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، مؤسس الحوزة العلمية في قم سنة ١٣٤٠هـ، التي أصبحت أكبر حوزة علمية في إيران وتخرج منها معظم المراجع والعلماء والفضلاء المعاصرين. ولد سنة ١٢٧٦هـ في يزد وتوفي سنة ١٣٥٥هـ، وكان من أبرز مراجع الشيعة الإمامية في عصره، من آثاره حاشية العروة الوثقى، ودرر الفوائد في الأصول، وصلاة الجمعة، ورسالة في الاجتهاد والتقليد. (المُتَرْجِمُ)

وعلى كل حال بقيتُ في تلك الغرفة المتواضعة ما يقرب من سنتين، وفي طول هذه المدة لم يتهيأ لي مَنْ يساعدني في تحصيل نفقتي، لا من أقاربي ولا من غيرهم، فكنت أعمل أحيانًا لدى بعض التجار أو العلافين لكي أوفِّر الضروريات لأواصل التحصيل، حتى يسّر الله لي أن أتعلم النحو والصرف، فقرأت كتاب المغني وكتاب الجامي، وتقدمت للاختبار لدى الحاج عبد الكريم الحائري وآخرين، فنجحت بتفوق، فكافأني الشيخ بتخصيص راتب شهري قدره خمسة ريالات ولكنها لم تكن كافية لسد حاجاتي الضرورية، فطلبت من بعضهم أن يشفعوا لي عند الشيخ الحائري حتى يزيد مرتبي بما يكفيني، فقبل ذلك ورفع مرتبي إلى ثمانية ريالات. فقررت أن أقنع بتلك الريالات الثمانية وأن أواصل الدراسة، ولكي يكفيني هذا الراتب الشهري كنت أعطي الخباز أربعة ريالات ونصف لآخذ منه يوميًا رغيفًا ونصفًا من خبز الشعير -حيث كانت العشرة الأرغفة من الخبز بريال- فقررت أن أصرف أربعة ريالات ونصف في الشهر لشراء الخبز وكنت أشتري كمية من الخوخ المجفف بريالين، فإذا أردت أن آكل شيئًا منها أضعها في ماء ثم آكله وأشرب عصيره مع خبز الشعير، فتكفيني هذه الكمية شهرًا كاملاً. كما كنت أدّخر ما بقي - وهو ريال ونصف - لمصاريف الحمام، فتكفيني للاستحمام أربع مرات في كل شهر.

بهذه الطريقة دبرت أمري، وداومت على التحصيل مدّةً حتى وصلت إلى مرحلة الخارج، وتعلمت الفقه والأصول، كما كنت أثناء التحصيل أدرّس بعض الطلاب المبتدئين مقررات مرحلة المقدمات (الفقه، الأصول، الصرف، النحو والمنطق) من حفظي ودون امتلاك الكتب اللازمة، وبهذا صرت شيئًا فشيئًا في مصافّ مدرِّسي الحوزة.

[البرقعي في نظر الآخرين]

- علاوة على هذا ولأني كنت في شبابي وفي أيام التحصيل أدرس مع آية الله السيد كاظم شريعتمداري، وكانت لي علاقة جيدة معه أيام إقامتي في قم، ولم أكن أظن أنه لن ينصفني يومًا ما، فقد كان يدافع عني قبل صدور كتابي: «درس حول الولاية»، والأهم من ذلك أنه كتب تأييدًا وتزكية لي، واعتبر تصرفاتي في الأمور الشرعية مُجازةً،

وحتى بعد صدور كتابي: «درس حول الولاية»، لزم الصمت. وبسبب الرابطة القديمة التي كانت بيني وبينه، فقد طبعتُ ووزعتُ جوابه على استفتاء صدر منه حول هذا الموضوع، فطبعت الفتوى على بطاقة صغيرة، وكنت أعطي هذه البطاقة كلَّ من يأتي إلى المسجد أو إلى منزلي.

- كما كتب آية الله الحاج ذبيح الله محلاتي جوابًا عن سؤال الناس حول كتابي: «درس حول الولاية» قال فيه:

قد قرأتُ كتاب «درس حول الولاية» لحجة الإسلام العالم العدل السيد البرقعي، فرأيت عقيدته صحيحةً، ورأيت أنه لا يروّج للوهابية إطلاقًا، وكلام الناس فيه اتهام باطل، فاتَّقوا الله حق تقاته، فإن السيد البرقعي إنما يرد على أقوال ضالة، نحو قول بعضهم:

«إذا فَنِيَ العالم فإنما يفنيه عليٌّ   وإذا قامت القيامة فإنما يقيمها عليٌّ»

وأنا أيضًا أقول: إن هذا الشعر باطل.

توقيع محلاتي

- كما كتب السيد علي مشكيني النجفي يقول:

أنا علي مشكيني قد طالعتُ الكتاب المستطاب «درسٌ حول الولاية» وسُرِرْتُ بمضامينه العالية التي تتطابق مع العقل السليم ومنطق الدين.

التوقيع علي مشكيني.

- كما كتب السيد حجة الإسلام سيد وحيد الدين مرعشي النجفي يقول:

باسمه تعالى

السيد العلامة البرقعي -دامت إفاضاته العالية- شخص مجتهد وعادل وإمامي المذهب، وبناءً على القول المعروف: «إن كتاب المرء وتأليفه دليل عقله ومرآة عقيدته» فهو قد كتب مضامين عاليةً جدًا حول مكانة وشأن أمير المؤمنين عليه السلام وسائر أئمة الهدى عليهم السلام في

كتاب «عقل ودين» وكتاب «تراجم الرجال» الذي طُبع مؤخرًا، وفي جميع كتبه الأخرى، وما أثاره عليه الأشخاص المغرضون والمتسرِّعون والمتعصِّبون الذين لم يدرسوا كتابه المستطاب: «درسٌ حول الولاية» فهم بعيدون في ذلك عن الإيمان، **ويجحفون السيد المعظَّم حقَّه، وكلامهم ليس له تأثير على العلماء والعقلاء. وويل لمن آذى هذه الذرية الطاهرة من أحفاد أئمة الهدى عليهم السلام الذي عنده تصديق الاجتهاد من عددٍ من المراجع، وهؤلاء إنما يتهمون ويفترون على شخص مسلم بل وعالم فقيه**. وقد قال الحقّ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩].

خادم الشرع المبين: السيد وحيد الدين المرعشي النجفي.
بتاريخ شهر ذي القعدة الحرام ١٣٨٩ هـ شمسي، المطابق لـ ٢٢/ ١٠/ ١٣٤٨ هـ. قمري)

- وكان آية الله الخوئي يعرفني جيدًا، وأذكر أنني لما كنت أحاضر في النجف، وكنت وقتها مبتلى بالطبع بخرافات الحوزة، كان يعجبه كلامي كثيرًا، ولشدة تأييده وإظهار رضاه عني كان يقبلني بعد نزولي من المنبر.
- وكان السيد الشاهرودي أيضًا يُشجِّعُني ويَمدحُني كثيرًا. حتى أنه عندما نشأت في النجف بعض المجموعات الباطلة المتبعة لآراء الفلاسفة حين أبدى بعض الطلاب حرصهم على تعلم الفلسفة، فطلب مني مراجع النجف أن ألقي محاضرات على طلاب تلك المنطقة الذي كان أكثرهم لا يعلمون تعارض الفلسفة مع تعاليم القرآن والسنة بسبب عدم تضلعهم بهما، لهذا السبب كان آية الله شاهرودي يبسط لي بساطًا في ساحة منزله، ويطلب مني أن أبيّن للطلاب المسائل الاعتقادية، وقد قبلتُ طلبه وأخذت أبيِّنُ الحقائق للطلاب، وكان يُظْهِرُ رضاه ويحترمني وَيُـجِلُّني كثيرًا، لكنني لما حاربت الخرافات في هذه الأيام الأخيرة، تخلَّى عنِّي كل من كان يعرفني سابقًا ويعرف سوابقي العلمية، وسكتوا وتركوني وحيدًا في الميدان، بل قام بعضهم بمخالفتي ومعارضتي.

- بعد أن سقطت حكومة الشاه و وصل السيد الخميني إلى سُدَّة الحكم أردت أن أتَّصل به، لأننا كنا أيام الشباب لمدة قرابة ثلاثين عامًا زملاء دراسة فقد درسنا في حوزة علمية واحدة، وكان يعرفني جيدًا، وقبل عودته إلى إيران وتعرُّفه على أحوال إيران وأوضاعها الجديدة وأوضاع المعمَّمين فيها، ذَكَرَني في إحدى كلماته تلميحًا ولم يجرؤ على ذكر اسمي صراحةً، وذلك في الكلمة التي ألقاها بعد وفاة ابنه الكبير آية الله الحاج السيد مصطفى الخميني، (وقد نُشِرَ نص تلك الكلمة في الصفحة ٩ من صحيفة كيهان في عددها الصادر بتاريخ الخميس الأول من شهر آبان سنة ١٣٥٦هـ ش [الموافق أكتوبر ١٩٧٨م]، وقال فيها: «لديَّ عتابٌ على السادة العلماء الأعلام! فهم غافلون عن كثير من الأمور، ولبساطة قلوبهم يتأثرون بسرعة بدعايات النظام الحاكم المغرضة، التي تسعى إلى شغل أذهانهم ليغفلوا عن الأمر العظيم الذي نحن الآن جميعًا مبتلون به! إن هناك أياد خفيَّة تسعى لإغفال العلماء، أي هناك أيادٍ تصطنع قضيةً ما ثم تثير حولها لغطًا وضجَّةً، ففي كل فترةٍ تُطرح قضيةٌ في إيران، تستنزف أوقات جميع الوُعَّاظ المحترمين والعُلَمَاء الأعلام في أمور بسيطة، بدلاً من صرفها في قضايا الإسلام السياسية والاجتماعية! يصرفون أوقاتهم حول أن زيدًا كافر أو أن عَمْروًا مرتدٌّ، وأن ذلك وهّابيٌّ! ويقولون عن عالم تعب في تحصيل العلم خمسين سنة وفقهُهُ أفضل من فقه معظم الموجودين الآن وهو أكثر فقهًا منهم، إنه وهابي! هذا خطأ، لا تُبْعِدوا الناس عنكم. لا تطردوا الناس من حولكم الواحد تلو الآخر! لا تقولوا هذا وهابي وهذا لا دين له، وهذا لست أدري ماذا! (إن فعلتم هذا) فماذا سيبقى لكم؟!".
- عندما سمع السيد الخميني اسمي أظهر احترامًا كبيرًا لابنتي وأخذ الرسالة وذهب بها، ورجعت ابنتي إلى داخل الغرفة لتودِّع عياله، فقالت زوجته لابنتي: نحن سنأخذ جواب الرسالة من السيد ونأتيكم به في طهران. وبعد مدَّةٍ جاءت السيدة ثقفي (حماة السيد الخميني) إلى طهران، وزارت ابنتي، لكن لم يكن معها أي جواب سوى أنها قالت: قال السيد لما رأى رسالة والدكم: «إن السيد البرقعي مجتهد بنفسه وصاحب نظر، لكنه غير قادر على تأليف الناس حوله وتربية الأتباع».

- والشيخ الآخر آية الله طالقاني، فقد ذهبتُ لزيارته بعد أن أُطْلِقَ سراحه من السجن في أوائل الثورة، ولما كنت عنده قَرَّب رأسه مني وَهَمَسَ في أذني: آراؤكم كلُّها حقٌّ ولكن لا يصلح هذا الوقت لبيان هذه الحقائق! وأنا على يقين أنه سيسأل في الآخرة: إذن متى يصلح أن تُبَيَّنَ الحقائق؟

- لا أدري هل وصل البيان الذي وزَّعْتُهُ إلى يد السيد بازركان أم لا؟! وعلى كل حال، في أيام النقاهة التي كنت أقضيها في المنزل، جاء لعيادتي المهندس مهدي بازركان، والدكتور الصدر، والمهندس توسلي، وبعد أن عرضت عليهم حالتي وأخبرتهم بما حدث لي، أريتهم وجهي وقلت لهم: هل رأيتم ما فعل بي التقليد؟! انظروا إلى هذا المقلِّد الأعمى كيف تحرَّك وأراد قتلي دون أن يسأل من أمروه بذلك عن دليل جواز قتلي! أنا أنصحكم أنتم وأصدقاءكم نصيحة صادقة: اتركوا تقليد الشيوخ.

- كان ابني يعلم أن السيد موسوي الأردبيلي يعرفني جيدًا. وفي أيام الشباب عندما كنت أخطب من المنبر في مدينة أنزلي كان يصعد المنبر ويخطب بعدي.

- كما أرسلوا نسخة عن هذه الرسالة إلى السيد محمد إمامي كاشاني، وكان ممن يظهر حبه الشديد لي قبل أن أشتغل بمحاربة الخرافات.

- كان ابني أثناء دراسته العلوم الدينية جارًا مدةً من الزمن لمحمد محمدي ري شهري وكانت حجرة الأخير مجاورة لحجرة ابني في مدرسة الحجتية أيام طلبهما للعلم، وكان «ري شهري» يعرف ابني.

- من لطيف تقدير الله أني ذهبت يوم الجمعة لزيارة أحد أقاربي وتعزيته واسمه: آية الله فيض، وكان من أهل قم ويدّعي المرجعية أيضًا، وكان عنده مجلس عزاء، ولما وصلت عنده عزيته وسليته، والغريب أنه كان قبل ذلك يظهر الملاطفة لي، إلا أنه قابلني في هذه المرة بوجه عبوس وملامحه تدل على أنه غير راض عني، فقلت: هل بدا لك شيء مني حتى تقابلني بوجهك العبوس؟! فقال: في الحقيقة لم أكن أتوقع منك ما حدث. قلت: وماذا حدث؟ فقال: لقد أزعجتني رسالتكم التي هددتني فيها بتشويه سمعتي

في أسواق قم إذا طرحت شخصًا غير البروجردي لمنصب المرجعية! فقلت له: لا علم لي بهذه الرسالة، وهي مُزَوَّرة، وحتى لو كان بخطي توقيعي فهي مُزَوَّرة، وحلفت له حتى صدَّق كلامي. بعد انتهاء المجلس خرجت من عنده وأنا مصاب بالذهول من الطريقة والأسلوب الجديد في تعيين المرجع بالقوة والتهديد، وقد تأكدت أن أيادي خفيَّة تلعب دورًا في تعيين المرجعية، وأن أمر اختيار المرجعية ليس بالبساطة التي كنت أتصورها بل هو ألعوبة بيد بعض اللاعبين وعلمت من خلال بعض القضايا التي حدثت بعد ذلك أن يدًا خفية فرضت مرجعية السيد البروجردي، واستفادت من وجوده في هذا المقام.

- في عام ١٣٢٨ هـ ش (الموافق ١٩٥٠م) في الفترة التي كان فيها أحمد قوام رئيسًا للوزراء، أراد آية الله الكاشاني الدخول في تعديل نظام الانتخابات حتى يقلّ عدد الوكلاء المعينين من قِبَل الدولة في المجلس، وكنت من أصدقاء آية الله الكاشاني المقربين، وكنت إذا جئت في الشتاء إلى طهران أنزل عنده في المنزل، وقد قال لي في تلك السنة: اذهب واستأجر سيارةً لنا لكي نسافر إلى خراسان، فتأهبت لذلك وحضر معنا الشيخ السيد محمد باقر كمري وشخصان آخران، فصرنا مع أحد أبنائه ستة أشخاص، فتحركنا إلى مشهد، وقتها كانت الدولة خائفة من سفرنا خشية أن نشجع الناس على انتخاب أناس صالحين في مجالس الانتخابات، ولهذا لما تحركنا كان الناس في القرى والمدن يستقبلوننا في الطريق، وفي مقابل ذلك أوعزت الدولة إلى المسؤولين بأن يعطلونا ويقدِّموا للدولة أيَّ ذريعة لإعادة آية الله الكاشاني إلى طهران.
- لما رأى الضابط والحاضرون كتابي هذا قالوا: أحسنت. وأخذوا كتابي ثم رجعوا في اليوم الثاني وأخبرونا أنَّ الشاه أمر بإطلاق سراح الشيخ القمي.
- في الغرفة الملاصقة لغرفتنا (في السجن أيام الشاه) كان هناك عدد من أتباع حزب توده ومن الشيوعيين، فأرسلوا لي رسالة بأنهم يريدون أن يلتقوا بي فوافقتُ، فقال بعض الذين معنا -ولم يكونوا من علماء الدين-: نخشى أن نُتَّهَمَ بأننا شيوعيون إذا جالسناهم، فقلت: من سيتهمكم؟ لا تخافوا من أحد، دعوهم ليأتوا إلينا. وأيا كان

فقد جاؤوا وأبدوا فرحهم لأنهم وجدوا عالمًا شجاعًا يعارض الاستبداد والدكتاتورية. حاورناهم بكل لطف وتودُّد، وكانت لديهم تساؤلات وإشكالات حول بعض قوانين الإسلام فأجبناهم عنها.

- عندما أنزلونا في منطقة توبخانة (أحد أحياء طهران) ودّعتُ من كان معنا ثم ذهبتُ إلى منزل السيد الكاشاني، وكان السيد مجتهدًا شجاعًا ونبيهًا، ومع أنه كان قد أُبعد من البلاد إلى لبنان إلا أن أسرته رحَّبَتْ بي وفرحوا بمجيئي إليهم فرحًا كبيرًا. في تلك السنوات كان جميع العلماء بعيدين عن السياسة، وينأون بأنفسهم عن أي أمر يتعلق بالسياسة وأمور الحكم في البلاد، وإذا وُجِد شخص مثل السيد الكاشاني أو العبد الفقير (كاتب هذه السطور) ممن يناضل ضد الاستبداد والدكتاتورية، لم يكن يحظَى بمحبّة الناس كثيرًا. وأساسًا كان الشعب الإيراني وإيران ذاتها في تلك السنوات مثل المقبرة التي مصيرها بيد حفاري القبور يفعلون بها وبالموتى ما يشاؤون! وكان رجل من طراز الكاشاني وحيدًا في نضاله يواجه المصاعب الكثيرة والسجن مرات عديدة، هكذا عشنا تلك الأيام إلى أن بدأت تنشأ في إيران موجة من التحرُّك والصحوة الشعبية، ولم تكن قبل الكاشاني جبهة وطنية ولا غير وطنية أصلاً، ولم يكن الشعب يعرف المرحوم «مُصدِّق» سوى أفراد قلائل. هذا ولما كان السيد الكاشاني يسعى جاهدًا كي يصل إلى مجلس الشورى الوطني «مجلس النوَّاب» نُوَّابٌ صالحون يريدون الخير للشعب، كان يُفتي بوجوب مشاركة الشباب في الانتخابات البرلمانية ودعمهم للنواب المستقيمين وانتخابهم، وحتى بعد أن أُبعد الكاشاني إلى لبنان كتب إليّ رسالةً من سجن لبنان قال فيها: "أيها السيد البرقعي! لا تجعل المسجد متجرًا كما يفعل الشيوخ الآخرون، واسع في توعية الناس وإيقاظهم، ولا تسمع كلام من يقول: الشيخ الصالح هو من لا يشتغل بأوضاع الناس والسياسة، واجتهد في حث الناس على انتخاب «مُصدِّق»". في الحقيقة، حتى ذلك الوقت لم يكن الناس يعرفون من هو «مُصدِّق» إلى أن تحرك الكاشاني وأخذ يثني عليه ويوصي الناس وجميع أصدقائه بانتخاب الأفراد المستقيمين ومن جملتهم «مُصدِّق»، وهكذا وبفضل نشاط الكاشاني

وكلماته ورسائله وجهد أتباعه [وعلى رأسهم آيت الله البرقعي ذاته] سمع الناس باسم «مُصدِّق» وعرفوه إلى حدٍّ ما. في أوقات الانتخابات كان أتباع السيد الكاشاني يبيتون في مراكز الانتخاب من أول الليل حتى الصباح حتى لا يحدث تلاعب بالصناديق وتبديلها فلا يصل الكاشاني و«مُصدِّق» إلى مجلس النواب، وكنا نحث الناس على انتخاب الكاشاني و«مُصدِّق» وبعض الأفراد من أنصارهما. إلى أن يسر الله وفاز هذان الرجلان بفضل نشاط مريدي الكاشاني في الانتخابات وصارا ممثلَيْن عن طهران في مجلس النوَّاب، فاضطرت الدولة إلى إطلاق سراح الكاشاني وسمحت له بالعودة من لبنان إلى إيران. ولما علم الناس بفوز الكاشاني، وأنه في طريق عودته من لبنان بالطائرة اجتمع الناس وتجمهروا على طول الطريق من مطار مهرآباد حتى باب منزله، وقمنا بترتيبات ليكون الاستقبال مناسبًا لمقامه.

[الحيلولة دون تكريم جثمان الملك رضاشاه ومنع دفنه في قم]

لم يلبث رضا شاه (الملك الأب المخلوع) أن تُوُفِّيَ في جزيرة موريس... ومن المشهور أنه كان يمشي في تلك الجزيرة ويردِّد الكلمات التي كان يسمعها ليل نهار أثناء حكمه: «صاحب الجلالة.. صاحب العظمة... صاحب الشوكة.. أيام وأي أيام! كان يتذكر أيام سلطنته، ويريد من ذلك أن الحواشي والناس كانوا أشخاصًا عُبَّادًا لأهوائهم ومتملِّقُون يسعون لرضاه لتحقيق مصالحهم ويقولون له يا صاحب الجلالة ويا صاحب القدرة.. فلما تُوُفِّي جاؤوا بجثته، وأمر ابنه بإقامة جنازة عظيمة له وبدفنه في مدينة قم، وطلبوا من كبار العلماء في قم الحضور ليصلوا عليه، وعلى رأسهم آية الله العظمى البروجردي، وكان من المراجع ومن طلاب الرئاسة والزعامة، إضافة إلى أنه كان مُحِبًّا للملك وحاشيته ونُوَّاب المجلس النيابي، فصلى عليه؛ لأنه كان لا يمتنع عن أي عمل لحفظ رئاسته.

وقد دار في خلدي أن إقامة هذه الجنازة في الناس سيكون سببًا لاستمرار الفساد الديني والسياسي، فأخذت أفكر في عمل يكون مانعًا من تعظيم تلك الجنازة، وكنت آنذاك قد بلغت الخامسة والثلاثين، وأدرّس في حوزة قم، وكانت هناك جماعة من طلاب العلوم الدينية

الشباب باسم: (فدائيي الإسلام) قد تعرفوا علي منذ عهد قريب ونشأت بيني وبينهم صداقة، وكانت أعمار معظم المنخرطين في هذه الجماعة تتراوح بين خمس عشرة سنة وخمس وعشرين، وكنت أشبه بالقائد لهم، وأصبح منزلي ملجًا لتجمعهم، وكان بعضهم ممن يدرسون عندي في الحوزة، وقد طرحت عليهم فكرة وضع عوائق أمام نجاح تكريم جثمان البهلوي (الأب)، فقالوا: اكتُبْ بيانًا ونحن ننشره.

فكتبت منشورًا هدَّدتُ فيه بأن كل من يصلي على جثمان الشاه أو يشارك في تشييع جنازته يعمل ضد أحكام الشريعة وتعاليم الدين وأننا سنقوم باغتياله.

وقد كان لهذا المنشور أثر طيب في منع كثير من الناس من حضور التشييع، وحتى السيد البروجردي خاف من أن تلحقه بسبب خروجه إهانة أو أذى من أصحاب البيان، فعزموا على أن يعرفوا ناشري المنشور.

في الحقيقة لم يكن أحد يعلم مقرّ الجماعة المسماة: «فدائيو الإسلام»؛ لأنه لم يكن لأفرادها منزل معين في قم بل كانوا متناثرين في أماكن متفرّقة، وكان معظمهم يسكن في طهران، فلم يتوقع أحد أن يكونوا وراء ذلك العمل، كما لم يتوقع أحد أن يكون السيد أبوالفضل البرقعي القمّي هو الذي أعدَّ هذا البيان الحاد و وزَّعه. أضف إلى ذلك أنه عندما اقترب موعد وصول الجنازة كان المسؤولون في غاية الارتباك، مما كان سببًا في عدم ظهور مراسيم الجنازة بالصورة التي كانوا يريدون، وقد أقاموا مجلسًا للعزاء في مسجد الإمام في قم. وكان هناك سيد باسم موسى الخوئي ينوي المشاركة بذلك المجلس، فأخذه أصدقاؤنا من جماعة «فدائيي الإسلام» وضربوه ضربًا مبرحًا حتى سال الدم من رأسه، مما جعل الدولة تصرف النظر عن فكرة دفن البهلوي في مدينة قم وتقرر دفنه في طهران، أما ماذا حدث في طهران بعد ذلك؟ لم أعرف لأنني لم أكن حاضرًا هناك.

[أشعار المؤلف حول مظلوميته]

في الأيام التي اتَّحد فيها المشايخ المُراؤون والمتاجرون بالمذهب ضدِّي وعزموا على تشويه سمعتي و توسلوا بدولة الشاه وباستعمال القوة وإثارة الطغام ليسلبوا مني المسجد الذي كنت أؤمه [معبر دفتر وزير] وحاصروا منزلي وفقدت الأمن على حياتي، أنشدت الأبيات التالية: (ترجمتها):

حينما نوّر البرقعي طريق الحق، عَلِمَ أنه سيجعل أهل الضلالة أعداءً له

لا شك أن سلوك طريق الحق صعب.. وهو طريق وعر.. مليء بالأشواك

ولكن من أراد النعيم والعِزَّة عند الله فعليه أن يتحمل المشاق

رفع قُرَّاء المراثي المُضلِّلون للعوام والمُتلبِّسون زورًا بلباس أهل العلم عقيرتهم بلا حياء

وجاؤوا بحميرهم وتوحَّدوا في مسعاهم ضدنا

وأُغلق المسجد بفعل أهل الشر ومُثيري الفتنة وبقُوَّة الشرطة وبالرشوة بالذهب والفضة!

وافتُتح فيه حانوت لتنويم الناس وأصبح مركز عبادة الحق خربًا

وأصبحت قاعدة الدين والقرآن خربةً وحلَّ محلَّها مكان لرواية أكاذيب كل كتاب

قال البرقعي في نفسه: أيُّها اللبيب لقد ربحت تجارتك ولم تخسر مما قمت به.

لا تحزن فإن ما خسرته هنا قد ربحته في سبيل الحق

كل ما يأتي عليك فإن الله سيجعل لك منه مخرجًا فليس في فعل الحق لهو ولعب فاثبت ولا تتردد

إن صاحب المسجد ينظر إليك بعين رحمته فإن ذهب المسجد فصاحب المسجد معك

فاثبت على ما أنت عليه فإن ذهب المسجد فلا يهم ذلك

لقد أصبح المسجد دكانًا للكسب وأصبح المسجد زاويةً للصوفية

الأصل في المسجد أن يكون مكانًا لتجمُّع عبيد الحق. والمسجد مكان لدراسة القرآن والبحث فيه.

ليس المسجد مكانًا لكل «شِمر» و «سِنَان» وليس المسجد مكانًا للمدائح وقُرَّاء المراثي.

قراءة مراثي وقراءة مراثي وقراءة مراثي أصبح قارئ المراثي زميلاً في العمل لـ «شِمر» و«سِنان»

طهِّر دين الله من البدع. واقتدِ في ذلك بالإمام الهُمام الذي قيل عنه لا فتى إلا هو.

ليس الإمام من يجعل الدين حانوتًا إنما الإمام هو الذي يعمل في حديقة الأزهار العطرة لم تستلم المسجد بسبب أهل الفتنة والشر والفساد. كما لم يكن ذلك الإمام (الإمام علي عليه السلام) إمامًا لأهل الزور.

لم يأكل ذلك الإمام من هذا المال الحرام. لم يأخذ من الخُمس أو سهم الإمام.

لم يكن ذلك الإمام إمام الفاسقين الجاهلين. بل كان إمام العلم والفضل والمعرفة.

لم تدعُ الآلهة الزائفة في دعائكَ، كما لم يدعُ ذلك الإمام أحدًا سوى الله.

إن رُبَّان سفينةِ عالَمِ الإمكان واحدٌ (الله تعالى). إن قاضي الحاجات في العالَم واحدٌ فردٌ.

إن الأرض والهواء والماء كلها خاضعة له. إن الوجود كلَّه تابعٌ لأمره.

أعرِض أيُّها البرقعي عن الحُسَّاد الدنيئين الجاهلين. واثبت على الحق وكن حذرًا.

***

- **وقلت لأعدائي قصيدةً عنوانها (بلِّغوا رسالتنا للأعداء):**

لتكن السعادة قرينةً لعدوِّنا. وليكونوا في عزٍّ كل يوم وليلة.

كل من اتَّهمنا بالكفر فلا تردّ عليه وليكن بين الناس مؤمنًا.

من وضع في طريقنا شوكًا فيا ربّ انثر في طريقه الورود.

من حفر في طريقنا حفرةً فاجعل يا رب طريقه بستانًا من الزهور.

من أنكر علمنا وفضلنا، ندعو الله أن يزيد في مُلكه وماله.

كل من قال: إن البرقعي مجنون، فقل له: نحن مجانين فلتكن أنت واعيًا ذكيًا

لسنا من أهل الحرب ولا الظلم ولا الزور. فليكن الحَكَم بيننا القادر الجبّار في يوم الحساب.

***

- **كما أن الله ألهمني هذه الكلمات، عندما كنت في أشدِّ حالات ضعفي:**

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ إن كنتَ وحيدًا لا رفيق لك فأنا ظهير كل من لا ظهر له فلا تحزن.

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ إن أصبحت وحيدًا فأنا صديقك ومُعينك.

لا تيأس إن ذهب العالَم من يدك فلا تجعل لليأس سبيلاً إليك.

لا تيأس فأنا وَلِيُّكَ فأنا الحق وأنا مُدَبِّر العالَم معك.

اصرف نظرك عن الجميع إن لم يكن لك أنيس في هذا العالَم في الليل والنهار.

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ فأنا مُؤنسك ومُمدك بمددي في كل مكان.

ليس للحق بديل فحتى لو لم يكن للحق سوق رائجة

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ أظهر الحق فأنا رواج سوقك.

ما من أحد يُنقذك فإن لم يكن لك فرج

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ وأنا الذي أجعل لك من كل ضيق مخرجًا ومن كل عسر فرجًا

إذا أتعبك الهمُّ والأذى والظلم فتوجه إليّ: فأنا من سيحميك فلا تغتم فأنا حسبك.

إن حزنك وغمَّك ليس من ذُلِّكَ إن ألمك وغمَّك ليس بلا حكمة وليس بلا سبب.

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ أنا أدرى بمصلحتك وأنا غافر ذنبك وأنا حافظك.

إذا اقتلع السفهاء باب دارك وباب مسجدك

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ واعلم أنني سأحفظ آثارك وأُبارك في أعمالك

كان هذا لولا أنني أُحِبُّ سماع صوتك في التضرع والبلاء

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ أنا أطلب تضرُّعك وابتهالك في الليل المظلم

فكن عبدًا حُرًّا فإذا نفر الأراذل منك وانفضُّوا من حولك فلا تغتم.

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ إني رفيقك وإني مُراقب لجهادك.

إن دمعت عينك أو حزن قلبك بسبب تفرُّق الناس عنك فأنا أمسح دموعك وأُطيِّب خاطرك... فلا تحزن فأنا وليّك وناصرك

وإن كان قلبك حزينًا وثقُل الحِمل على قلبك وثقُل همُّك واشتدَّ ألمك

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ فأنا الذي يدفع كل غمٍّ وحزن ويشفي كل صدر.

كن مع الله وإن لم يشترِ أحد دلالك فكن ضاحكًا

لا تحزن فأنا وَلِيُّكَ ناجِ الله في سرِّك فأنا قريب منك سميع لك

بُح لي بمكنونات صدرك وإن ظُلِمْتَ وتعرَّضتَ لجور الأعداء واضطهادهم

لا تحزن فأنا وليّك وأنا القاضي بالحق والعدل ونصير المظلوم

إن سعيك أيُّها البرقعي هو في سبيل ذو المنن إن كان سعيك لأجله

لا تحزن فأنا وليّك أنا أقبل سعيك وأنشر أفكارك.

[شعر حول أوضاع إيران الحالية]

وقد نظمت قديمًا قصيدةً حول أوضاع إيران في ذلك الزمن فيما يلي نصُّها:

(قصيدة بالفارسية من ٢٤ بيت فيما يلي ترجمة معانيها بشكل نص نثري):

كان لي صديق عزيز وواعٍ وحسن الظن، قلت له: قل عن الإسلام ما تريد قوله، فقال: دينٌ من غير رجال دين خالٍ من كل قسيس وحِبر. فالنبيُّ المُصطفى لم يكن مُجتهدًا بل كان أُميًّا، وعليّ المُرتضى ما كان شخصًا عاطلاً عن العمل يمتهن مهنة رجل الدين.

فسألته: فمن الذي يُرشد الناس إذن؟ ومن الذي يحفظ الدين؟ فقال: إن المُرشد هو القرآن وحفظ الدين واجب على الجميع. يجب على الجميع أن يتعلَّموا علم الدين فطلب العلم فريضة على كل مسلم. متى كان الهادي إلى الدين يتاجر بالدين ويشتري به؟! لم يكن الهادي إلى الدين كَلًّا وعِبئًا على الناس.

إن الذين يبيعون الدين ويُتاجرون به لا يُمكنهم أن يكونوا هُداةً للناس ومُرشدين. إن الدين ليس حانوتًا للكسب. لو اجتنب الناس الاسترزاق من الدين كان دينهم في مأمن من الخداع والتضليل. لا يجوز أن يجعلوا من الدين سُلَّمًا للوصول إلى مآرب سياسية، فإذا تخلوا عن ذلك كان دينهم عندئذٍ في مأمن من تحوله إلى دكان وحانوت للكسب.

لم تكن قيمة الحكومة لدى عَلِيٍّ أكثر من قيمة نعل مُهترئ. لقد كان أراضي ملكه هي قلوب الناس لا الحجاز ولا هولاندا أو بلغاريا.

فسألته عن دور الشيوخ فقال: إنهم عبء على أكتاف الناس. فسألته: فما عملهم؟ فقال:

التكفير والحبس والقتل. إنهم سُكارى من خمر الغرور لا يفون بعهد. فسألته: فمن هم الحزب اللهية؟ فقال: هم الذين يُحيون رسم التتار. فسألته: فكيف حال البلاد؟ فقال: كالمريض بلا مُعالج ولا طبيب. فقلت له: فما هي الآثار التي استفدنا منها من ثورة شهر بهمن؟ فقال: نعم لقد كان من آثارها أضرار كثيرة أدَّت إلى وعي الناس ويقظتهم.

لقد بذل الناس أرواحهم وأموالهم أملاً في تنسُّم هواء الحرية ولكنهم خرجوا من حفرة ليقعوا في البئر. لقد زاد أَسْرُهُم (أي سجنهم) مئة ضعف.

لقد وقعوا في الفخ بسبب غفلتهم فلا نجاة لهم إلا باليقظة والوعي والانتباه.

فقلت له: متى يكون الخلاص؟ فقال: عند التضرع والابتهال إلى الله. على الجميع أن يطلبوا من الله أن يرفع عنهم هذه المصاعب والمشاكل.

[مطالعة كتاب الغدير للأميني ورأي المؤلف حوله]

عندما كنت هناك [في السجن] قمت بقراءة كتاب الغدير تأليف العلامة عبد الحسين الأميني التبريزي، من جديد، إذْ كنتُ قد قرأته قبل سنوات عديدة، وأستطيع القول بكل تجرُّد وبدون أدنى تعصب بأن الذين قالوا بأنّ: "عمل الأميني في هذا الكتاب ليس سوى إضافة عدة أسانيد أخرى على سند حديث الغدير" قد صدقوا فيما قالوا. هذا الكتاب إن كان قادرًا على خداع العوام والبُسطاء وقليلي المعرفة من غير المختصين، فهو غير قادر على خداع المطلعين المُنصفين الذين يدركون أنه ليس للكتاب أهمية علمية كبيرة، اللهم إلا أن يقوم بعض أهل الاختصاص بمدح الكتاب والثناء عليه تعصُّبًا وتغريرًا بالعوام، وفي نظري إن أستاذنا السيد أبا الحسن الأصفهاني كان مصيبًا حين استفتوه في طباعة الكتاب من أموال الوجوه الشرعية (سهم الخمس) فلم يوافق، وأجابهم قائلاً: "إن صرف أموال سهم الإمام عليه السلام في طباعة كتاب شعر!! لعله لا يقع موقع رضا ذلك الإمام الجليل".

وقد استند هذا الكتاب على مصادر غير موثوقة، وأسانيد غير متصلة بصدر الإسلام، ولهذا لا قيمة له عند أهل التحقيق.

ورغم أن بعض احتجاجات الكتاب قد تمَّت الإجابة عنها قديمًا إلا أن مؤلفه تجاهل ذلك

وأعاد طرح الحجج ذاتها مرة أخرى! وأعتقد أن أهل الفن من الشيعة يدركون في قرارة أنفسهم أنه لا يمكن تقديم شيء مهم لصالح المذهب من خلال كتاب «**الغدير**». ولهذا السبب فإن الذين يمدحون الكتاب اليوم ويدافعون عنه من الذين بيدهم زمام الأمور في البلاد، لا يأذَنُون بأي حال من الأحوال بطباعة كتب أخرى [مخالفة له] مثل كتاب المحقق الكبير الأستاذ حيدر علي قلمداران: «**شاهراه اتحاد يا بررسى نصوص امامت**» [أي: طريق الاتحاد أو دراسة نصوص الإمامة]، أو كتاب: «**الباقيات الصالحات**» لأحد علماء الشيعة في شبه القارة الهندية، واسمه محمد عبد الشكور اللكهنوي[1]، أو كتاب: «**التحفة الاثني عشرية**» تأليف عبد العزيز بن شاه ولي الله أحمد الدهلوي، أو الكُتَيِّب المختصر: «**راز دلبران**» [أي سر المحبوبين] تأليف السيد عبد الرحمن السربازي الذي كتبه إلى مؤسسة «**در راه حق**» [أي في سبيل الحق] في قم، أو كتاب «**رهنمود سنت در ردِّ اهل بدعت**»[2] [أي المرشد إلى السنة في الرد على أهل البدعة] ترجمة العبد الفقير البرقعي، وأمثالها من الكتب المفيدة للناطقين

---

(١) علما أن الشيخ محمد عبدالشكور صاحب كتاب «الباقيات الصالحات» بالفارسية لم يكن من علماء الشيعة أبدًا بل كان من كبار علماء أهل السنة في شبه القارة الهندية في محاربة الروافض، وله مؤلفات علمية نافعة، منها: هذا الكتاب (الباقيات الصالحات)، وهو في الحقيقة ترجمة فارسية للجزء الأول من كتاب «آيات بينات» باللغة الأردية، للشيخ نواب محسن الملك - الذي كان من كبار علماء الشيعة الإمامية في شبه القارة الهندية ثم هداه الله إلى مذهب أهل السنة والجماعة-، فألف كتابه هذا باسم (آيات بينات) في أربعة أجزاء ودافع فيه عن أصحاب رسول الله وغيرها ورد على شبهات الشيعة ردودًا علمية قوية قلما يجد الإنسان مثلها في مؤلفات أخرى. والكتاب الأصلي الكامل بالأردية وكذلك الجزء الأول المترجم إلى العربية والفارسية موجود في موقع مكتبة العقيدة (Www.Aqeedeh.Com).

وقد كتب الشيخ محمد عبدالشكور اللكهنوي في الهامش تعليقات علمية نافعة على هذا الجزء الذي ترجمه مع إضافات مفيدة في آخره، وسماه بـ(الباقيات الصالحات). (المصحح)

(٢) هو ترجمة إلى الفارسية مع شيء من الاختصار والإضافات قام بها المؤلف البرقعي لكتاب «**المنتقى من منهاج الاعتدال**» للحافظ الذهبي. [وكتاب المنتقى للذهبي هذا هو اختصار لكتاب «منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال» تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية الذي اختصر فيه تأليفه الكبير «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»]. (المُتَرْجِمُ)

بالفارسية. بل لا يسمحون حتى أن يصل اسم أي من الكتب السابقة إلى مسامع الناس. في حين أنهم لو لم يكونوا مغرضين وكانوا طالبين للحق فعلاً لأَذِنوا للناس بأن يقرؤوا الترجمة الفارسية لكتاب الغدير وفي الوقت ذاته أن يقرؤوا الكُتُب المُشار إليها أعلاه، ليستطيع الناس أن يقارنوا بينهما ويحكموا بأنفسهم ويناقشوا العلماء وبعد المقارنة بين جميع الأقوال يمكنهم أن يميزوا الحق من الباطل ويختاروا أحسن الأقوال؛ وعندئذٍ فقط يمكن القول إنهم عملوا بالآية الكريمة: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، لكن المسؤولين لا هم يفعلون ذلك، ولا يسمحون للآخرين أن يقوموا بذلك أيضًا، بل يردُّون على أطروحات أمثالي بالرصاص والسجن!!

[أساتذة العلامة البرقعي]

ومن العلماء الذين درست عليهم أيضًا إضافةً إلى السيد الخوانساري:

١- الشيخ أبو القاسم الكبير القمي، ٢- والحاج الشيخ محمد علي القمي الكربلائي، ٣- والسيد ميرزا محمد السامرائي، ٤- والسيد محمد حجت كوه كمري، ٥- والحاج الشيخ عبد الكريم الحائري، ٦- والحاج السيد أبو الحسن الأصفهاني، ٧- والسيد شاه آبادي وآخرون، وقد كتب لي بعضهم شهادة بالاجتهاد منهم: الشيخ: «محمد بن رجب علي الطهراني السامرائي» مؤلف كتاب: «**الإشارات والدلائل فيما تقدم ويأتي من الرسائل**» وكتاب: «**مستدرك البحار**» وقد أجازه شيخه بالرواية عنه، ثم أجازني محمد بن رجب علي الطهراني السامرائي بما أجازه شيخه، وهنا أنقل إجازته لهذا العبد الفقير:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين، وبعد:

فيقول العبد الجاني محمد بن رجب علي الطهراني عفي عنهما، وأوتيا كتابيهما بيمينيهما: قد استجازني السيد الجليل، العالم النبيل، فخر الأقران والأماثل: أبوالفضل البرقعي القمي أدام الله تعالى تأييده رواية ما صحت لي روايته، وساغت لي إجازته، ولمّا رأيته أهلاً لذلك، وفوق ما هنالك، استخرت الله تعالى وأجزته أن يروي عني بالطرق المذكورة، في الإجازة المذكورة

والطريق المذكور في المجلد السادس والعشرين من كتابنا الكبير: مستدرك البحار، وهو على عدد مجلدات البحار لحبرنا العلامة المجلسي قدس سره، وأخذت عليه ما أُخذ علينا من الاحتياط في القول والعمل، وألا ينساني في حياتي وبعد وفاتي في خلواته ومظانّ استجابة دعواته، كما لا أنساه إن شاء الله تعالى. كتبه بيمناه الداثرة الوازرة في عصر يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب الأصب من شهور سنة خمس وستين بعد الثلاثمائة والألف حامدًا مصليًا مستغفرًا.

٩- وكتب الحاج الشيخ آقا بزرك الطهراني: مؤلف كتاب: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» إجازة للعبد الضعيف، هذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ونبينا محمد المصطفى، وعلى أوصيائه المعصومين الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين،

وبعد: فإن السيد السند العلامة المعتمد، صاحب المفاخر والمكارم، جامع الفضائل والمفاخم، المصنف البارع، والمؤلف الماهر، مولانا الأجل: السيد أبوالفضل الرضوي نجل المولى المؤتمن السيد حسن البرقعي القمي دامت أفضاله، وكثر في حماة الدين أمثاله، قد برز من رشحات قلمه الشريف ما يغنينا عن التقريظ والتوصيف؛ قد طلب مني لحسن ظنه إجازة الرواية لنفسه، ولمحروسه العزيز الشاب المقبل السعيد السديد السيد محمد حسين حرسه الله من شر كل عين، فأجزتهما أن يرويا عني جميع ما صحت لي روايته عن كافّة مشايخي الأعلام من الخاص والعام، وأخص بالذكر أول مشايخي، وهو خاتمة المجتهدين والمحدثين وثالث المجلسيين شيخنا العلامة: الحاج الميرزا حسين النوري، المتوفى بالنجف الأشرف سنة ١٣٢٠هـ. فليرويا أطال الله بقاءهما عني بجميع طرقه الخمسة المسطورة في خاتمة كتابه: مستدرك الوسائل، والمشجرة في مواقع النجوم لمن شاء وأحب، مع رعاية الاحتياط، والرجاء من مكارمهما أن يذكراني في الغفران في الحياة وبعد الممات.

حررته بيدي المرتعشة في طهران في دار آية الله المغفور له: الحاج السيد أحمد الطالقاني، وأنا المسيء المسمى بمحسن الفاني الشهير: بآقا بزرك الطهراني في سالخ ربيع المولود ١٣٨٢هـ. (الختم)

١٠- كما كتب لي المرحوم عبد النبي النجفي العراقي الرفسي مؤلف كتاب: «غوالي اللآلي في فروع العلم الإجمالي» وكتب أخرى كثيرة، وهو من تلاميذ «الميرزا حسين النائيني»، الإجازة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لِلَّهِ رب العالمين الذي فضَّل مداد العلماء على دماء الشهداء، والصلاة والسلام على محمد وآله الأمناء، وعلى أصحابه التابعين الصلحاء، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم اللقاء.

أما بعد: لا يخفى أن السيد المستطاب العالم الفاضل جامع الفضائل والفواضل، قدوة الفضلاء والمدرسين، معتمد الصلحاء والمقرّبين، عماد العلماء العاملين، معتمد الفقهاء والمجتهدين، ثقة الإسلام والمسلمين، السيد آقا سيد أبوالفضل القمي الطهراني، المعروف والمُلَقَّب بالعلامة الرضوي قد حضر سنين متمادية في النجف الأشرف في الحوزة دروسي الخارجية، وأيضًا قد حضر في قم سنوات عديدة في الحوزة درسَ هذا العبد؛ لتحصيل المعارف الإلهية، والعلوم الشرعية، والمسائل الدينية، والنواميس المحمدية، فسعى ما استطاع، فكدَّ وجدَّ واجتهد، حتى وصل بحمدالله إلى حدِّ قوة الاجتهاد، ويجوز له أن يستنبط الأحكام الشرعية، وأن يعمل بالمنهج المعهود بين الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين، وأجزت له أن يروي عني بالطرق التسعة التي لي إلى المعصومين عليهم السلام، وأجزت له أيضًا نقل الفتاوى، كما أنه مجاز في أن يتصرف في الأمور الشرعية التي لا يجوز التصدي لها إلا بإجازة المجتهدين، وهو مجاز في قبض الحقوق المالية ولا سيما سهم الإمام عليه السلام، وكل ذلك مشروط بمراعاة الاحتياط والتقوى.

بتاريخ ذي الحجة الحرام في سنة ١٣٧٠هـ.

الفاني الجاني النجفي العراقي. (الختم).

١١- كما كتب لي المرحوم آية الله السيد أبو القاسم الكاشاني شهادة الاجتهاد، ونصها كالتالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لِلَّهِ رب العالمين، والصلاة على رسوله وعلى آله الطاهرين المعصومين، وبعد: فإن جناب العالم العادل حجة الإسلام والمسلمين السيد أبوالفضل العلامة البرقعي الرضوي قد صرف أكثر عمره الشريف في تحصيل المسائل الأصولية والفقهية، حتى صار ذا قوة قدسية في رد الفروع الفقهية إلى أصولها، فله العمل باستنباطه، ومراعاة الاحتياط، والسلام عليه وعلينا وعلى عباد الله الصالحين.

الأحقر: أبو القاسم الكاشاني. (الختم).

١٢- وكذلك كتب لي المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني، حين أردتُ العودة من النجف إلى بلادي، الإجازةَ التاليةَ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لِلَّهِ رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين، وبعد:

فإن جناب الفاضل الكامل، والعالم العادل، مروج الأحكام، قرة عيني الأعز السيد أبوالفضل البرقعي دامت تأييداته، ممَّن بذل جهده في تحصيل الأحكام الشرعية، والمعارف الإلهية، برهةً من عمره وشطرًا من دهره، مُجِدًّا في الاستفادة من الأساطين حتى بلغ بحمد الله مرتبةً عاليةً من الفضل والاجتهاد، ومقرونًا بالصلاح والسداد، وله التصدي بالأمور الحسّية وفيما لا يجوز لغير الفقهاء والمجتهدين التصدي فيها، وأجزته أن يأخذ من سهم الإمام عليه السلام بقدر الاحتياج، وإرسال الزائد منه إلى النجف، وصرف مقدار منها للفقراء والسادات وغيرهم، وأجزته أن يروي عني جميع ما صحت لي روايته، واتضح عندي طريقه، وأوصيه بملازمة التقوى، ومراعاة الاحتياط، وألا ينساني من الدعاء في مظانّ الاستجابات، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

٢٢ ذي الحجة. أبو الحسن الموسوي الأصفهاني. (الختم).

١٣- وكتب لي السيد شهاب الدين المرعشي، المعروف بآقا نجفي، صاحب التأليفات في المشجرات والأنساب، الإجازةَ التاليةَ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لِلَّهِ على ما أساغ من نعمه وأجاز، والصلاة والسلام على محمد وآله مجاز الحقيقة وحقيقة المجاز، وبعد: فإن السيد والعالم المعتمد شمس سماء النبالة وضحاها، وزين الأسرة من آل طه، عَلَم الفَخَار الشامخ ومنار الشرف الباذخ، قاعدة المجد المؤثل، وواسطة العقد المفصل؛ جناب السيد أبوالفضل بن الشريف العابد السيد حسن الرضوي القمي السيداني دام علاه، وزِيد في ورعه وتُقاه، أحب ورغب في أن ينتظم في سلك المحدثين والرواة عن أجداده الميامين، ويندرج في هذا الدرج العالي، والسمط الغالي، ولما وجدته أهلاً، وأحرزت منه علمًا وفضلاً، أجزت له الرواية عني بجميع ما صحت روايته، وما ساغت إجازته ثم سنده، وقويت عنعنته عن مشايخي الكرام أساطين الفقه وحملة الحديث، وهم عدة تبلغ المائتين من أصحابنا الإمامية، مضافًا إلى ما لي من طريق سائر فرق الإسلام الزيدية والإسماعيلية والحنابلة والشافعية والمالكية والحنفية وغيرها، ولا يمكنني البسط بذكر تمام الطرق، فأكتفي بتعداد خمس منها تبركًا بهذا العدد، وأقول: ممن أروي عنه بالإجازة والمناولة والقراءة والسماع والعرض وغيرها من أنحاء الحديث، إمام أئمة الرواية، الجهبذ المقدام في الرجال والرواية، مركز الإجازة، مسند الآفاق، علامة العراق أستاذي، ومن إليه في هذا العلوم استنادي، وعليه اعتمادي، حجة الإسلام، آية الله تعالى بين الأنام: مولاي وسيدي أبو محمد السيد حسن صدر الدين الموسوي المتوفى سنة ١٣٥٤ ....، هذا ما رُمْتُ ذكره من الطرق وهي ستة، فلجناب السيد أبي الفضل ناله الخير والفضل أن يروي عني عن مشايخي المذكورين، بطرقهم المتصلة المعنعنة إلى أئمتنا آل الرسول وسادات البرية، مراعيًا للشرائط المقررة في محلها من التثبُّت في النقل ورعاية الحزم والاحتياط وغيرها، وفي الختام أوصيه دام مجده، وفاق سعده، وجد جده ألا يدع سلوك طريق التقوى والسداد في أفعاله وأقواله، وأن يصرف أكثر عمره في خدمة العلم والدين، وترويج شرع سيد المرسلين ﷺ، وألا يغتر بزخارف هذه الدنيا الدنية، وأن يكثر من ذكر الموت؛ فقد ورد أن أكيس المؤمنين أكثرهم ذكرًا

للموت، وأن يكثر من زيارة المقابر والاعتبار بتلك الأجداث والدواثر، فإنه الترياق الفاروق، والدواء النافع للسَّلْوِ عن الشهوات، وأن يتأمل في أنهم من كانوا؟! وأين كانوا؟! وكيف كانوا؟! وإلى أين صاروا؟! وكيف صاروا؟! واستبدلوا القصور بالقبور، وألا يترك صلاة الليل ما استطاع، وأن يُوقِّت لنفسه وقتًا يحاسب فيه نفسه، فقد ورد من التأكيد منه ما لا مزيد عليه، فمنها قوله: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)، وقوله: (حاسب نفسك حسبة الشريك شريكه) فإنه أدام الله أيامه وأسعد أعوامه إن عين لها وقتًا لم تضع عليه أوقاته، فقد قال: توزيع الأوقات توفيرها، ومن فوائد المحاسبة أنه إن وقف على زلة في أعماله لدى الحساب تداركها بالتوبة وإبراء الذمة، وإن اطَّلع على خير صدر منه حمد الله وشكر له على التوفيق بهذه النعمة الجليلة، وأوصيه حقق الله آماله وأصلح أعماله أن يقلل المخالطة والمعاشرة لأبناء العصر سيما المتسمين بسمة العلم؛ فإن نواديهم ومحافلهم مشتملة على ما يورث سخط الرحمن غالبًا، إذ أكثر مذاكرتهم الاغتياب وأكل لحوم الإخوان، فقد قيل: إن الغيبة أكل لحوم المغتاب ميتًا، وإذا كان المغتاب من أهل العلم كان اغتيابه كأكل لحمه ميتًا مسمومًا، فإن لحوم العلماء مسمومة. عصمنا الله وإياك من الزلل والخطأ، ومن الهفوة في القول والعمل، إنه القدير على ذلك والجدير بما هنالك، وأسأله تعالى أن يجعلك من أعلام الدين ويشد بك وبأمثالك أزر المسلمين آمين! آمين!

وأنا الراجي فضل ربه المستكين: أبو المعالي شهاب الدين الحسيني الحسني المرعشي الموسوي الرضوي الصفوي المدعو بالنجفي (نسّابة آل رسول الله) عفا الله عنه وكان له، وقد فرغ من تحريرها في مجالس آخرها لثلاث مضين من صفر ١٣٥٨هـ ببلدة قم المشرفة حرم الأئمة. (الختم).

كما كتب لي كلٌّ من: ١٤ - الشيخ عبد الكريم الحائري، ١٥ - وآية الله السيد محمد حجت كوه كمري شهادتين بالاجتهاد، وقد سلّمت أصل إجازتيهما لوزارة الثقافة لتعيين تكليفي في مسألة الخدمة العسكرية (التجنيد الإلزامي) فالمفترض أن تكون محفوظتين في أرشيف الوزارة، وبناءً عليهما قد أصدرت الوزارة شهادة لي هذا نصها:

١٦ - وزارة الثقافة:

استنادًا إلى البند الأول والحاشية الأولى للمادة ٦٢ من قانون إصلاح بعض الفصول والمواد المتعلقة بقانون الخدمة العسكرية المصوَّب في شهر اسفند سنة ١٣٢١هـ. ش.، واستنادًا إلى القانون الخاص بمنح شهادات الاجتهاد المعدّل في ٢٥ شهر آذر ١٣٢٣هـ. ش.، في مجلس شورى التعليم العالي، فقد قُدِّمَتْ إجازة الاجتهاد المتعلِّقة بمعالي السيد أبي الفضل ابن الرضا (البرقعي) الحاصل على البطاقة الشخصية رقم: ٢١٢٨٥، الصادرة من قم، والمولود سنة ١٢٨٧ هـ. ش.، في الجلسة رقم (٧٥٤) لمجلس شورى التعليم العالي المنعقدة بتاريخ ٧/٨/ ١٣٢٩ هـ. ش.، وقد أُحْرِزَ صحة صدور الإجازة المذكورة مِنْ قِبَلِ المراجع ذوي الاجتهاد المُسَلَّم به.

وزير الثقافة: الدكتور شمس الدين جزائري.

والجدير بالذكر أنه على الرغم من القوانين التي اعتُمِدت في النهضة الدستورية والتي تنص على أنه لا يحق للدولة التعرُّض للمجتهدين بالأذى، أوقعت الحكومةُ التي تزعم أنها حكومة النهضة الدستورية، بيَ الكثير من الأذى والمصائب.

أختم الكلام بذكر أمرين هامين للقارئ الكريم: الأول أن دين الإسلام يُختصر في أمرين: تعظيم الخالق وخدمة المخلوق، وهذا ما بيّنه الخالق بنفسه في كتابه العظيم. أسأل الله الرؤوف الرحيم أن يوفق الجميع للقيام بهذين الأمرين.

وأذكر بعض الأبيات الشعرية التي نظمتُها من قبل في كتابي «دعبل الخزاعي وقصيدته التائية»، وفيها بيان حالي، وبعد ذلك أختم هذا الكتاب بأبيات أخرى نظمتها للشباب أثناء سفري إلى زاهدان، وألتمس من القراء الدعاء، والسلام على من اتبع الهدى.

[أنا ودعبل الخزاعي]

(قصيدة بالفارسية فيما يلي ترجمتها)

كتب دعبل ثناءه للإمام فنال من صاحب ذلك المقام الشكر والثناء.

وكتب البرقعي مئات الكتب لبيان العقيدة الصحيحة فلم يلقَ شكرًا ولا تقديرًا إلا

الشتائم وأنواع التهم المفتراة.

ولقد خاف دعبل من المضلين المتقدمين، وخاف البرقعي من أهل الخرافات المتأخرين.

وبكى دعبل لحال أهل الدين.. وبكى البرقعي على ضياع أصل الدين.

وتخوف دعبل من الأعداء.. لكن البرقعي تخوف من الأصدقاء.

شتان ما بيننا! فدعبل تكلم دون مضايقة وأنا اليوم لا آمن على نفسي أينما كنت.

امتدح دعبل الإمام لبيان الحقائق، واليوم يمتدحه المدّاحون طمعًا في أموال الناس.

إن كان دعبل بقي منبوذًا ثلاثين سنة، فأنا مطارد من ستين سنة.

إلهي! أنت ملجئي مما أنا فيه من البلاء.. أنت الشاهد! وأنت الحافظ يا لطيف بألطافك.

إلهي! قد اشتعل الرأس شيبًا، وبلغت من الكبر عِتيًا، وأحاطت بي الهموم، وأظلمت الدنيا من حولنا بالكفر والطغيان، وأنت المستعان، ها أنا في آخر عمري وقد هجرني الأحباب والأصحاب، فليس لي جليس ولا معين، فليس لي أنيس سواك، وغاية مناي أن تتغمدني برحمتك، وأن تثبتني على مرضاتك، وأن تقبض روحي إذا حانت ساعتي «راضية مرضية».

[قصيدة خطاب للشباب]

(أبيات بالفارسية فيما يلي ترجمة معانيها[1]):

أيها الشباب الصادقون! أخاطبكم لأنكم براعم الغد وصوته المشرق.

أملي أيها الشباب بألا تنسوا البرقعي بعد موته، وتذكروا أنه أحبكم بصدق.

لا تحرموني بعد موتي من صالح دعائكم، فقد كان أملي أن أخدمكم، وسوف أودّعكم يومًا فلا تنسوا شيخًا عانى أشد المعاناة، وامتحن من أشد الرجال دناءة؛ لأنه يدافع عن المبادئ، فلم يبق طغيان وظلم إلا صبوه عليه، ولا تهمة ولا بهتان إلا ألصقوه به!

---

(١) استفدت في ترجمة هاتين القصيدتين من الترجمة العربية المنشورة لكتاب «**سوانح ايام**» تحت عنوان: «**سوانح أيام – أيّام من حياتي، مذكرات حياة عالم دين مصلح في إيران**»، نشر الرياض، إذْ وجدت أن القصيدتين تُرْجِمَتا بشكل سَلِسٍ يُؤدي روح المعنى ولو لم يتقيد بالألفاظ. (المُتَرْجِمُ)

ولكن مهما ضعفت قوتنا في هذه الدنيا أمام الظالم، فإننا وإياه في طريقنا إلى محكمة الله العظمى، وسيقضي الله بيننا وبينه بعدله.

هذا آخر الكتاب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢/ ٢/ ١٣٧٠ هـ (الموافق يوم الأحد ١٢ نوفمبر ١٩٩١ م.).



المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لِـلَّهِ مالك الملك ديَّان الدِّين مجيب الدَّاعين والمضطرِّين ومغيث المهمومين وصريخ المكروبين وهادي المضلِّين، وصلَّى الله على رسوله وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

إحدى البدع التي تندرج تحتها آلاف البدع الأخرى والتي ابتُليت بها أكثر الشعوب وأَنِسَتْ بها وبدَّدَت فيها أعمارها وأموالها: زيارات القبور والاهتمام البالغ بها.

بدايةً لا بد من توضيح عدة أمور في موضوع زيارة القبور:

الأوَّل- هل أرواح العظماء من الأولياء والصالحين والأنبياء والشهداء توجد في جوف القبر أو فوقه أو في أطرافه وتشعر بزوّار القبر وتعلم بهم أم لا؟

الثاني- إن لم تكن تلك الأرواح موجودة حول القبر أو لم تكن في الدنيا أصلاً فهل تطَّلع على زوَّارها وهي في عالمها الأخروي أم لا؟

الثالث- ولو فرضنا أنها مُطَّلعة على زوّارها فهل تستجيب لطلبات زوّارها وتعود إلى الدنيا وتلبِّي حاجاتهم أم لا؟

الرابع- هل هناك فائدة من اطلاع تلك الأرواح على آلام الناس وعذاباتهم ومصائبهم أم لا؟ وهل تُسعَد وتُسَرّ بمديحها وتمجيدها وذكر فضائلها ومناقبها في نصوص الزيارات التي يقرؤها زُوَّارُها أم لا؟ وهل ترغب بأن يخضع الناس أمام قبرها ويخشعون مردِّدين أقصى ما يمكنهم من المدائح والإطراء أم لا؟ وهل يفيد مَن لا يملك الصبر والتقوى أن يثني على صبر أولئك العظماء وتقواهم أو هل يفيد من يبخل ببذل روحه وماله في سبيل الله ولا يكون مستعدًا للجهاد في سبيل الدين أن يثني على جهاد أولئك العظماء وشهادتهم بأبلغ العبارات أم لا؟ وهل ينفعُ من لا يعلم عن دينه ما يكفي ولا علم له بكتاب الله وشريعته، مدحُه

صاحب القبر لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر أم لا ينفعه؟

الخامس- هل وظيفة الإنسان الثناء والتمجيد والمديح للأموات السابقين، وهل طلب الله من الإنسان مثل هذا العمل؟ وهل كُلِّفَ العباد بذكر حسنات السابقين أو سيئاتهم أم لم يُكَلَّفُوا بذلك؟

السادس- هل من سنة الأنبياء والأولياء تزيين القبور وتشييدها أو بناء القباب والأضرحة والمنارات وتعمير الأفنية والأروقة للمقابر ووقف البساتين والمنازل والأراضي والدكاكين للأموات وصرف ريعها على حفظ مقابرهم أم أن ذلك من سنن الظلمة الجبارين الطغاة؟!

بعد توضيح هذه الأمور وإقامة البرهان عليها ننتقل إلى دراسة أحاديث الزيارات وتمحيصها وبيان صحة أو سقم عباراتها وهل هي حقٌّ أم باطل. وهدفنا من بيان هذه المسائل أن نوضِّح حقائق أحكام الدين ونميِّزها عن الخرافات المذهبية والأباطيل والأوهام التي تُعرَض على الناس باسم دين الإسلام.

ولكن قبل أن أبدأ بموضوع الكتاب أرى من اللازم عليّ أن أصرّح أنني كنت ولا أزال من شيعة إمام المتقين وأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وأتباعه وآخذ أصول ديني وفروعه عن ذلك الإمام الكريم ولكنني أختلف مع أولئك الذين خرّبوا دين الإسلام باسم ذلك الإمام، وادَّعَوْا محبَّتَه ومحبَّةَ أولاده الأطهار لكنَّهم أضعفوا بناء الدين وأهملوا أصول الإسلام وفروعه وتعاليم القرآن بزيارات خرافية، ولا أعتبرهم من مُحِبِّي عليٍّ عليه السلام أبدًا.

ولن أستدلَّ في دراستي لموضوع هذا الكتاب إلا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأدلّة العقليّة، وبالنسبة للحديث لا بد من التذكير بوجوب رفض كل حديث يخالف القرآن أيًّا كان صاحبه، كما أَمَرَنا بذلك اللهُ ورسولُهُ والأئمَّةُ عليهم السلام، أمّا إذا وافق الحديثُ القرآنَ الكريمَ فإننا نقبله ونضعه على رؤوسنا.

لقد جعل الله تعالى قرآنَهُ ميزانًا نفرّق به بين الحق والباطل وسمَّاه لذلك بالفرقان فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١] كما

اعتبر القرآن ميزانًا ومعيارًا لتمييز الصواب من الخطأ فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ [الشورى: ١٧]، كما اعتبره القول الفصل بين الحقِّ والباطل فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ١٣﴾ [الطارق: ١٣]، واعتبر القرآن أحسن التفاسير فقال: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: ٣٣]، واعتبره هداية للناس وبيانًا واضحًا لهم فقال عنه: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ وقال: ﴿بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾.

أما الأحاديث التي تدلُّ أيضًا على أن القرآن ميزانٌ لمعرفة الحقِّ وتمييزه من الباطل فهي كثيرةٌ ولكن لما كانت آيات القرآن ذاتها قد صرّحت بهذا المعنى بكل وضوح فهذا يغنينا عن ذكر الأحاديث في هذا الأمر، لذا سنكتفي بذكر ثلاثة أحاديث في ذلك نموذجًا:

١- في كتاب **وسائل الشيعة** (ج ١٨، ص٧٨) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَا وَافَقَ كِتَابَ اللهِ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللهِ فَدَعُوهُ**».

٢- وفي الصفحة ذاتها من **وسائل الشيعة** نقلاً عن كتاب الكافي بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**مَا لَمْ يُوَافِقْ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ فَهُوَ زُخْرُفٌ**».

٣- وفي **أصول الكافي** (ج ١، ص٩٦) عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «**إِذَا كَانَتِ الرِّوَايَاتُ مُخَالِفَةً لِلْقُرْآنِ كَذَّبْتُهَا**». (أي أن الأحاديث المعارضة للقرآن غير مقبولة في الحقيقة ومردودة، للقَطْعِ بعدم صدورها عن الشارع).

بناء على ما ذُكر، إذا أثبتنا بالبراهين والأدلة أن زيارات القبور والنذورات التي تُصرَف لها مخالفةٌ للقرآن الكريم، فالأجدر بمحبِّي الخرافات أن يردُّوا على كلامنا بالدليل والبرهان بدلاً من كيل الاتهامات لنا والافتراء علينا.

ولَمَّا كُنَّا نعتبر أن محاربةَ الخرافات أهمُّ من أيِّ جهاد آخر فإننا لا نهاب في هذا السبيل أيَّ إيذاء أو تهمة، إذ كلّما زادت أهمّيّة العمل زاد أجره وثوابه عند الله، ولما كنا نعتبر بعض الأعمال التي يؤديها بعض المتظاهرين بالتقوى نوعًا من الوثنية فإننا نعتبر محاربتها جهادًا في سبيل الله لأن مخالفينا أفسدوا أصول الإسلام بهذه الأعمال.

ولا يخفى أنَّ الأخ المجاهد والمحقِّق الجليل الأستاذ «**حيدر علي قلمداران**» -رحمه الله-

أَلَّف قبل كاتب هذه السطور كتابًا مفيدًا جدًّا في موضوع «**زيارة المزارات**»[1]، نقلتُ بعض مطالبه في الطبعة الأولى لكتابي هذا دون أن أذكر اسمه خشية أن يتعرّض إلى الأذى على أيدي أتباع الخرافات من جديد، أو أن يعتقله مسؤولو الحكومة، أَمَا وقد انتقل الآن إلى رحمة ربِّه، ولم يبقَ من عمر هذا العبد الفقير سوى أَيَّام معدودة فإنني قمتُ بعد خروجي من آخر اعتقالٍ لي بإصلاح كتابي هذا واختصاره بهدف إتمام ما أَلَّفه ذلك الأستاذ الكريم وإكماله، حيث ألحقتُ جزءًا من موضوعات النسخة الأولى من كتابي هذا بكتابه لِتَنَاسُبها مع موضوعه، ونقلتُ بعض موضوعات النسخة الأولى من كتابي هذا إلى كتابي الآخر الموسوم بـ «**عرض أخبار أصول بر قرآن وعقول**» (عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول)، واكتفيتُ في هذا التحرير الثاني لكتابي الحاضر بذكر الموضوعات التي لم يذكرها المرحوم «قلمداران» في كتابه، هذا رغم أنه قد لا يخلو كتابي الحاضر من بعض الموضوعات التي ذُكرت في كتابه أيضًا.

وعلى كلِّ حال، آمل أن تكون موضوعات الكتابين مفيدةً لطلاب الحقّ. وأسأل الله تعالى لي ولذلك الأخ الفاضل المثوبةَ والأجر. ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾.

خادم الشريعة المطهرة: **سيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي القمي**

١- علمًا أن هذا الكتاب للأستاذ قلمداران رحمه الله حول «زيارة المزارات» سيُنشر في هذه المجموعة ضمن كتاب طريق النجاة من شر الغلاة. (الناشر)

[زيارة القبور]

أين تستقرّ أرواح الأنبياء و الأولياء بعد وفاتهم؟

انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، فإن للروح مكان وليست مجرَّدة من الزمان والمكان، ومكان الروح هو البدن الدنيوي أو القالب المثالي البرزخي. والبدن مَرْكَب الروح وهذا الأمر واضح ومحسوس ولا يحتاج إلى برهان. ولما كانت هذه الروح محدودةً ذاتًا فإن صفاتها كالعلم والفكر محدودةٌ أيضًا لأن حدود العوارض هي حدود المعروض ذاتها ولا يمكن أن تزيد عليها.

فروح الكائن الحي لا تعلم كلَّ شيء وليست مطَّلعة على جميع الأشياء ولا هي حاضرة في جميع الأمكنة، بل إنما تستطيع بواسطة تحصيل العلم أو بواسطة الوحي الإلهي أن تكسب العلم كما قال الله لرسوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤]، ونحوها من الآيات الكثيرة.

وهذا عندما تكون تلك الروح في الدنيا، أما عندما تخرج من البدن بالوفاة وتدخل القالب المثالي البرزخي فإن حقيقتها تبقى كما هي ولا تتغيَّر.

فالصالحون والأولياء يذهبون من هذا المكان إلى عالم أرفع وأسمى من هذا العالم وإلى قالب ألطف من الجسم الدنيوي. يقول الحق تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩]، وقال كذلك: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ۞يَسۡتَبۡشِرُونَ

بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧١].

في هذه الآيات نقاط وأمور تحرِّر الإنسان من الأوهام والخرافات لذا نلفت نظر القراء الكرام إليها:

عندما يقول الحقُّ عزَّ وَجلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ....﴾ فمعناه أنهم أحياء رغم أنهم تُوُفُّوا أي قُبِضَت أرواحهم واستُوفِيَت نفوسهم من أبدانهم. وقوله: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ يدل على أنهم في الواقع نالوا حياةً أفضل في مكان أسمى وأرفع. فالجملة الأخيرة تدل على أنه رغم قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: ٣٠]، إلا أن المقرَّبين من الله ينالون عنده -بعد رحيلهم من هذه الدنيا الفانية- حياةً ونعيمًا لا يعلم كيفيتها سوى الله، في حين أن الكفار والفجار ينالون الألم والعذاب بعد موتهم.

إذا عرفنا ذلك فيجب أن نعلم أين هو المكان الذي يُشير إليه قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾؟ إن قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يُفيد أنهم عند الله وليسوا عند الخلق ولا عند القبر. فأين يكونون عندما يكونون عند الله؟ تُبيِّن الآية الكريمة: ﴿۞لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام: ١٢٧]، والآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]، أن «**عند الله**» هو «**دار السلام**»، فالأرواح تكون في مكان هو غير «عند الخلق» وغير «عند القبر» أي لا تكون في هذه الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، فلا شك أن الرزق الذي يرزقونه ليس مثل الرزق والطعام الدنيوي[1].

بناءً عَلَى ذَلك، فإن الرزق الذي وعد الله به المؤمنين بقوله أنهم: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ هو رزق عالَم البقاء لا رزق الدنيا الفانية، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

---

(١) سيأتي مزيد من التوضيح لهذا الموضوع في بحث عالم البرزخ القادم.

ويقول تعالى في تتمَّة الآية المذكورة من سورة آل عمران: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، فما يؤتيه الله لهم من فضله ليس هو الدنيا، لأن هذه الدنيا كانت لديهم ثم أُخِذت منهم ليُعطَوْا بدلاً منها مكانًا أوسع وأفضل.

أما الذين لا علم لهم بالقرآن فيتصوَّرُون أنَّ الشهداء لهم اتصال بهذه الدنيا. في حين أن جملة: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٠] تدلُّ على أن الشهداء يذهبون إلى عالم يُصبحون فيه بعيدين عمَّن خلّفوه وراءهم من الأحياء، آملين أن يلحق بهم أولئك الذين من خلفهم. فلو كان الشهداء لا يزالون في هذه الدنيا وكان لهم طريق إلى أقربائهم ومعارفهم لما كانت تلك الجملة صحيحة. فإذن الشهداء منفصلون عن أهل الدنيا. أضف إلى ذلك أن الله تعالى بيَّن في آخر تلك الآيات أن جميع المؤمنين سينالون ذلك النعيم والثواب: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾.

هل الأنبياء والأولياء يطّلعون على زوّارهم؟

بعد أن أثبتنا أن الأرواح تذهب بعيدًا عن الدنيا إلى عالم البرزخ نجيبُ فيما يلي عمَّا يقوله أهل الخرافات الذين يُقِرُّون بأن الشهداء أحياءٌ في عالم آخر غير عالم الدنيا، إلا أنهم يقولون: لَمَّا كان الشهداء أحياءً فإنهم يطَّلِعُون على أحوالنا [حتى ولو كانوا في «دار السلام» وفي عالم آخر غير عالمنا]!

فنقول: من الواضح أن قولهم هذا غير صحيح لأن حياة الشهداء لا علاقة لها بعلمهم ومعرفتهم بأحوالنا، لأنه ليس هناك تلازم بين الحياة وبين العلم بكل شيء والإحاطة بكل مكان، فرسول الله ﷺ أثناء حياته الدنيوية لم يكن له علم بما يجري لجيرانه ومجاوريه إلا إذا أعلمه الله أو أخبره الناس بذلك، كما حصل عندما قُتل عددٌ كبيرٌ من أصحابه في بئر معونة ولم يدرِ بذلك. وتأخَّرت زوجته عائشة عن القافلة في العودة من سفر بني المصطلق وبقيت في البادية وحدها ولم يكن له علم بذلك، وضاع جمله ﷺ ولم يكن له علم بمكانه، وفي معركة أُحد أُصيب بحجر في جبينه وشفته وكُسِرَت رباعيّته، ولو كان له علم مسبق بذلك لأبعد رأسه عن الضربة وانحرف بعيدًا عن الضارب حتى لا يُصاب بذلك الحجر. وقال الله تعالى:

﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠١]، مما يدلُّ على أن النبيَّ الأكرم ﷺ لم يكن له علم بنفاق بعض أتباعه، بل كان يعجبه كلام بعضهم دون أن يعلم بذات صدورهم وحقيقة نفاقهم كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤].

فإذا لم يكن رسول الله ﷺ حالَ حياته عالـمًا بكلِّ مكان ولا مُطَّلعًا على كلِّ شيء، فالشهداء أيضًا لا يلزم أن يطَّلعوا وهم في حال الحياة البرزخية على كلِّ مكان وكلِّ شيء، وبالتالي فالحياة الأخروية مثلها مثل الحياة الدنيوية لا تستلزم العلم بكلِّ شيء، فاطِّلاع الذاهبين على أحوال الباقين يحتاج إلى برهان ودليل.

إضافة إلى ذلك، أن قولَ الله عز وجل عن الشهداءَ: ﴿أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ يدلُّ على أن الشهداء لا اطِّلاع لهم على كل مكان، بل يذهبون إلى مكان «**لا خوف**» فيه «**ولا حزن**» ولا غمّ. في حين أنهم لو كانوا مُطَّلعين على أحوال أهل الدنيا الذين يرتكبون سيِّئ الأعمال ويعانون من مصائب الدنيا لأزعجهم ذلك وأحزنهم، كما أنهم لو اطَّلعوا على آلام زُوَّارهم وعذاباتهم ومعاناتهم لماتوا كمدًا وحُزنًا عليهم. فمثلاً لو اطَّلع رسول الله ﷺ أو عيسى عليه السلام أو مريم عليها السلام أو الإمام الرضا عليه السلام على آلام ومصائب ومشاكل الناس لأصابهم الحزن والغمّ وغَدَتْ «دار السلام» بالنسبة إليهم دار «غصَّة وحزن»، هذا إن فرضنا -والعياذ بالله- أن النبيَّ أو الإمام يستطيع أن يسمع أدعية جميع الناس ويطَّلع على حاجاتهم ويسمع أصواتهم وشكاويهم في آن واحد، فهذا يأتي إلى مزارهم ويقول: إن ابني مسجون ويتعرّض للتعذيب، والآخر يقول: لقد غزانا جيش الكفار وقُتل منا الكثير، والثالث يقول: ابني ابتُلي بالسرطان، والرابع يقول: إني مبتلٍ بمرض نفسيٍّ، وآخر يشكو من سرقة جيبه في الحرم وأنه أصبح غريبًا بلا مال، وآخر يشكو من أنه مستأجر ومالك منزله يُؤذيه كلَّ يوم ويريد أن يُخرجه من المنزل و... و... آلاف المفجوعين والمتألمين والمرضى والفقراء والمظلومين كلٌّ يبثُّ شكواه. هذا عدا عمَّن جاء إلى مراقدهم لا بقصد الزيارة بل بقصد السرقة في حرمهم أو جاء بقصد الفاحشة وثالث يقرأ المراثي المليئة بالأكاذيب وبخلاف ما أنزل الله،

وآخر مَلِكٌ أو وزيرٌ يدخل إلى الحرم وعلى كاهله آلاف الجرائم، وآخر عمله الخيانة وأكل أموال المستضعفين بالباطل فهو يكنز أموالاً طائلةً لقاء أراضٍ ميتة بُور باسم الأوقاف، أو يأخذ حق التنازل (خلوّ الرجل أو الفراغة) من الفقراء، وآلاف الخيانات والآثام والفواحش والجرائم الأخرى، فلو اطَّلع صاحب القبر على كلِّ ذلك لأصابه الغم والألم ولسُلبت منه الراحة في عالم البرزخ وتبدَّل نعيمه إلى ألم وعذاب!

فلاحظوا افتراء ذلك الكذَّاب الذي وضع زيارةً نسبها إلى الإمام قال فيها: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ تَرَى مَقَامِي وَتَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ جَوَابِي**» هذا مع أنه لم يسمع جواب صاحب القبر، فهو يشهد على ذلك كذبًا وزورًا!

***

وسنُثبت في هذا المختصر أنه ليس لأولياء الله بعد وفاتهم أي خبر عن الدنيا وأنهم في العالم الآخر (البرزخ) ليس لهم أي معرفة بأحوال عباد الله في الدنيا.

كما لاحظنا في الآيات التي تمّ الاستشهاد بها (من سورة آل عمران) في الفقرة السابقة، فإن قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ...﴾ و ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يدلُّ على أن الله يُنعم على المؤمنين الصالحين ولا يُضيّع أجرهم ويمنّ عليهم بمقام كريم في الجنَّة «دار السلام» ثوابًا على أعمالهم، ويمنحهم حياةً أفضل مئات المرات من الحياة الدنيا لا أنه يجعلهم يعيشون في حزن دائم ويُعانون من غصص أخبار الدنيا.

فاتضح أن عبارة «**عند الرب**» تعني ذلك المكان الذي أشارت إليه آسيا زوجة فرعون حين قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، فعند الله وعند الرب عالمٌ آخر غير هذه الدنيا الفانية.

فإن قال قائل: إن الله لا يحدّه مكان وتستوي عنده جميع الأمكنة فمن كان عند الله أو عند ربه فإنه يكون في كل مكان. قلنا: إن كان الأمر كذلك لصار كل كافر ومنافق وظالم بعد موته عند الله أيضًا حتى ولو كان يُعذَّب، لأن الله محيط بالجنة كما هو محيط بالنار، وعندئذ لا تبقَ

هناك خصوصية للشهداء بأنهم «**عند ربهم**» مع أن هذه العنديّة مقام قرب اختصهم الله به، ويُقصد به أنهم في الواقع في عناية الرب وعند رحمته وهو المقام الذي سماه الله بـ «دار السلام» تمييزًا له عن «دار العذاب» فلم يقل الله إن الشهداء والصلحاء سيصيرون إلى دار العذاب عند ربهم!

بناءً على ما ذُكر، فإن أرواح الأنبياء والصلحاء والشهداء لا علم لها بالدنيا، كما أن تلك الآية تدل على أنَّ أرواحهم ليست في قبورهم في الدنيا ولا حولها.

إنَّ الذي يُستفاد من كتاب الله «القرآن الكريم» أنه ليس للإنسان – سواء كان مؤمنًا أم كافرًا – سوى حياتين كاملتين: الأولى: «**الحياة الدنيوية**» والثانية: «**الحياة الأخروية**». أما عالَم «البرزخ»، ويُقال له أيضًا «عالَم القبر»، فهو عالم الصمت والسُبات وانعدام الوعي بالدنيا، وهو حياة غير كاملة وبلا حركة وفي الواقع تُشبه الغفوة في قاعة انتظار دخول يوم القيامة، و«البرزخ» فاصل بين حياتين كاملتين. فالحياة التي ذُكرت للأموات بعد الدنيا سواء الصالحين أم الطالحين حياةٌ ناقصةٌ قبل يوم القيامة.

ويجب أن نعلم أن «عالم البرزخ» يبدو بالنسبة إلى أهل المحشر بعد بعثهم ونشورهم وكأنَّه لم يكن أو ما يشبه ذلك، أي أن ذلك الفاصل الزمني يكون غير مفهوم بالنسبة إلى أهل الحشر ويبدو لهم – بعد بعثهم – وكأنه حلم أو كأن حشرهم وقع مباشرة بعد موتهم في الدنيا!

والنقطة التي ينبغي أن ننتبه إليها هنا أن القرآن المجيد يذكر أحيانًا جميع مراحل أمر ما وأحيانًا يحذف الوسائط ويذكر بداية الموضوع ونهايته على نحو الإجمال فقط، فمثلاً يقول تعالى عن خلق الإنسان: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝٢٠﴾ [الروم: ٢٠]، ولكنه يذكر في آية أخرى جميع مراحل هذا الخلق واحدةً واحدةً فيقول: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج: ٥].

كذلك يقول عن تحريك السُّحُب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ [النور: ٤٣]، والتي تدلُّ بظاهرها على أن الله يُحرِّك الغيوم مباشرةً!! ولكن الله يُفصّل الأمر في موضع آخر فيقول:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ....﴾ [الروم: ٤٨].

وكلام القرآن الكريم حول «عالم البرزخ» يسير على نفس ذلك المنوال، فغالبًا ما يُبيِّن القرآن الكريم المصير النهائي للإنسان بعد الموت دون أن يذكر فترة عالم البرزخ، كما قال في شأن قوم نوح مثلاً: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، والذي يبدو من ظاهره وكأنَّ قوم نوح الكفار أُدخلوا النار فور غرقهم. ولكننا نفهم تفصيل هذه الآية من آية أخرى تحدَّثت عن آل فرعون وهي قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦]، والتي تدلّ على أن الأشقياء يُعانون من الكدر والآلام قبل أن يدخلوا نار جهنم يوم القيامة.

يُمكننا أن نُدرك من مثل هذه الآيات أن هناك بعد الحياة الدنيوية نوعين من الجزاء: الجزاء البرزخيّ وجزاء يوم القيامة. الثاني يتمّ بصورة وافية وكاملة في الحياة الأخروية والأوَّل نوع من السرور واللذّة أو الكَدَر والآلام في فترة الحياة البرزخية التي هي في الواقع شبه حياة وليست حياةً كاملةً والتي أجملت معظم آيات القرآن ذكرها وأعرضت عن تفصيلها، لأن القرآن أراد في معظم الموارد أن يُجسِّم مسألة المعاد أمام الإنسان إذْ إنَّه عندما سيُبعث في الآخرة سيشعر أن فترة عالم البرزخ كانت قصيرةً جدًا، وحتَّى لو طالت فترة «عالم البرزخ» آلاف آلاف السنين فإنها ستبدو للإنسان بعد حياته الجديدة يوم القيامة وكأنها يوم أو بعض يوم أو ساعة من نهار شأن الإنسان في ذلك شأنه عندما ينام نومًا عميقًا بعد سفر طويل، ويرى رؤيا مفرحة أو كابوسًا محزنًا تمرّ عليه فيه أحداث كثيرة ولكنه إذا استيقظ أحسّ كأنه نام لِتَوِّهِ!

من هنا يقول القرآن الكريم عن الذين يُبعثون يوم القيامة: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [يونس: ٤٥]، ويقول أيضًا: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: ٥٢]، ويقول: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾ [الروم: ٥٥]، ويقول: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾

[المؤمنون: ١١٢، ١١٣]، ويقول كذلك: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ويقول أيضًا: ﴿كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

إحدى الآيات المتعلّقة بـ «عالم البرزخ» تقول بكل صراحة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، وتقول آية أخرى: ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ونحوها في سورة محمد: الآية ٢٧.

فمن الواضح أن الميّت يبقى جسمه في الدنيا وأما روحه فلا وجه لها ولا ظهر حتى تُضْرَبَ عليه، فلا بُدَّ أن يكون المراد بالآية الأخيرة القالب البرزخي للميت.

ومثلها قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]، فهذه جنة برزخية وليست بجنة الآخرة وإلا لو كانت كذلك لعلم قومه بدخوله فيها.

وعلى كل حال، فمن الواضح أن هناك بعد الموت نوع من الراحة والهناء أو نوع من الكَدَر والمرارة أو بعبارة أخرى هناك نعيم وعذاب برزخي لا يتمتع الإنسان خلاله بحياة كاملة بل تشبه حالة الإنسان فيه حالة الجنين في رحم أمه قبل خروجه إلى الحياة الدنيوية الذي يعيش حياة غير كاملة إذ لا يدري بما يجري خارج رحم أمّه. فالحياة البرزخية حياة غير كاملة يُمْضِي فيها الإنسان الفترة السابقة على الحياة الأخروية.

ولا يختص «عالم البرزخ» بالصالحين والشهداء بل يشمل المجرمين والكفار أيضًا، والكل مشترك في انقطاع الارتباط بالدنيا. وبناء عليه فليس المجرمون هم الذين تنقطع صلتهم في الدنيا فقط بل الشهداء والصالحون أيضًا يفقدون كل وعي واطّلاع على الدنيا وأهلها والأخبار الوحيدة التي يُمكن للأنبياء والصلحاء والشهداء أن يعرفوها عن الدنيا بعد وفاتهم هي ما يخبرهم به الصلحاء الآخرون الذين ماتوا بعدهم والتحقوا بهم. وهذا كله لأنه لا توجد حياة كاملة في «عالم البرزخ»، بل شبه حياة أو بعض حياة، حياة فاقدة لكثير من

الصفات مثل السمع والبصر، وبعبارة أخرى إنها عالم اللاوعي الذي يفقد فيه البشر - صالحين كانوا أم طالحين- السمعَ كما قال القرآن الكريم عن الأموات أنهم لا يسمعون شيئًا حتى يُبعثوا ويُحشروا يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: ٣٦]، حيث شبَّه اللهُ تعالى في هذه الآية الكفارَ بالأموات الذين لا يسمعون شيئًا، وقال أيضًا: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠ و الروم: ٥٢]. وقال أيضًا: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢]. فكلُّ مخلوق بعد موته حتى الأنبياء والأولياء وغيرهم يفقد الحياة الكاملة ولا يكون له اطِّلاع عما يجري في الدنيا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ [النحل: ٢٠، ٢١]، ومن المسلم به أن هذه الآيات تشمل الأنبياء والأولياء لأنهم لا يَخلقون شيئًا وهم يُخلَقون ولا علم لهم بيوم القيامة.

أضف إلى ذلك، أنَّ الله شبّه الحياة يوم القيامة والخروج من القبر بحياة النباتات في الدنيا. فكما تكون الأشجار والأعشاب في الشتاء بلا حياة ولا حركة ثم تدب فيها الحياة والحركة مجددًا في الربيع كذلك يكون البشر في «عالم البرزخ» في حالة سُبات وبلا حراك حتى إذا بُعثوا يوم القيامة تحرّكت أجسادهم وَحُشروا يهرعون إلى المحكمة الإلهية الكبرى. من هنا نفهم قول القرآن: ﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم: ١٩] وقوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ١١].

إذا علمنا أن الأرواح في عالم آخر فنقول: لو فرضنا على سبيل المحال أن الأرواح تطَّلع على حوائج زوار قبورها فهل تحضر على الفور وترجع إلى الدنيا وتستجيب لعرائض الزوّار وطلباتهم أم لا؟ من الواضح أن القرآن والعقل يقولان إن الأنبياء والأولياء لا اطِّلاع لهم على ما في الدنيا نهائيًا بل لا اطِّلاع لهم على أبدانهم، فضلاً عن أن يكون لهم علم بغيرهم كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ

وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ففي هذه الآية لم يكن لنبيِّ الله «**عُزَيْر**» عليه السلام الذي مات ورحل عن الدنيا مدّة مائة عام، أيُّ عِلْمٍ ببدنه أو براحلته (حماره) وحتى أنَّه لم يكن يعلم طول المُدَّة التي كان فيها ميتًا، مع أن عُزَيْرًا عليه السلام كان يتمتَّع بمقام النبوَّة وهو أعلى من جميع الأولياء، لأنه – طبقًا للقرآن الكريم- كل إمام ومأموم لا بُدَّ عليه أن يؤمن بالأنبياء بما فيهم عزير عليه السلام كي يكون مؤمنًا ومسلمًا وإلا فمن كذّب بنبيٍّ واحد لا يكون مؤمنًا مسلمًا، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وكما قال: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]؛ فيجب على جميع الشهداء والأئمة والصالحين أن يؤمنوا بكل رسول، وأصول الإيمان والإسلام هي تلك الأمور التي نصَّ الله عليها في كتابه. فإذا لم يكن لنبيٍّ عظيم من الأنبياء علمٌ ببدنه – بعد رحيله من الدنيا- ولا علم بمدّة موته فكيف سيعلم بأحوال الآخرين؟!! من البديهي أنه لو كان هناك قول يُخالف ما ذُكر فإنه لن يكون مقبولاً لكونه مخالفًا لآيات القرآن.

لم يكن النبيُّ **يعقوب** عليه السلام يعلم - وهو في فلسطين - بأحوال ابنه يوسف عليه السلام وعاش مدَّةً طويلةً حزينًا على فراقه!

ولما طعن قوم **نوح** عليه السلام بأتباعه وطلبوا منه أن يُقْصِيهم أجابهم قائلاً: ﴿وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الشعراء: ١١٢].

كما لم يعلم أبو الأنبياء **إبراهيم** عليه السلام بحقيقة ضيوفه الذين كانوا من الملائكة حتى قال: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الذاريات: ٢٥].

كما لم يعلم **موسى** عليه السلام أن أخاه **هارون** عليه السلام لم يكن له أي تقصير في عبادة قومه للعجل إلى أن بين له هارون ذلك (الأعراف: ١٥٠)، كما لم يعلم موسى بأن رفيقه في السفر نسي الحوت عند الصخرة (الكهف: ٦٢)، كما لم يعلم بأن عصاه التي أبدلها الله حية في بداية الأمر

ستصبح يوم التحدي ثعبانًا كبيرًا بل أوجس في نفسه خيفة أن ينجح السحرة في خداع الناس (طه: ٦٧-٦٨).

كما لم يعلم نبيُّ الله **سليمان** عليه السلام بأحوال قوم سبأ حتى أطلعه الهدهد على ذلك (النمل: ٢٢).

ولما استيقظ أصحاب الكهف بعد ٣٠٩ سنوات من النوم في الكهف سألوا بعضهم بعضًا عن مدّة لبثهم ولم يكن أحد منهم يعلم بحقيقة تلك المدّة لذلك قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] مع أن أصحاب الكهف كانوا من أولياء الله.

فإذا لم يكن للأنبياء والأولياء علمٌ بحالهم حال وفاتهم، فكيف يكون لهم علم بغيرهم؟ فإن قيل: إن قوله تعالى: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨] دليلٌ على أن أصحاب الكهف لم يموتوا بل كانوا نائمين....؛ قلنا: إن القرآن الكريم قال أيضًا عن الموتى إنهم يقولون عند بعثهم – تمامًا كما يقول المستيقظون من نومهم–: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣]، ولهذا يُسمّى قبر الإنسان بـ«**المرقد**»، أي مكان الرقود والسُّبات، وقد قال تعالى عن الموتى أنهم عندما يُبعثون يوم القيامة يقولون: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، ووصف الله النوم بقوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ**»[١]، وجاء في حديث آخر: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ**»[٢]، وكلُّها تدل على أن بين النوم والموت

---

(١) عوالي اللآلي لابن أبي جمهور الإحسائي (٨٨٠هـ)، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، قم، سيد الشهداء، ج٤/ ص٧٢. والحديث رواه من أهل السنة الحافظ «الهيثمي» في «مجمع الزوائد» عن جابر بن عبد الله قال: سُئِل رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله! أينام أهل الجنة؟ فقال ﷺ: «**النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون**». وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والبزار ورجال البزار رجال الصحيح. (انتهى مجمع الزوائد/ كتاب البعث/ باب في أكل أهل الجنة وشربهم). (المُتَرْجِمُ)

(٢) الشيخ الصدوق، الاعتقادات، ص ٦٤، والمجلسي، بحار الأنوار، بقية أبواب المعاد وما يتبعه، ج٧، ص٤٧. (المُتَرْجِمُ)

سنخيَّة وتشابه كبير والفرق بينهما أن الروح تعود إلى البدن بسرعة في النوم، ولكنها لا تعود إلى جسم الميت إلا يوم القيامة.

فمثل الصالحين في عالم البرزخ كمثل من ينام نومًا هنيئًا قريرًا يتمتَّع فيه بأحلام جميلة في حين أن المسيئين الطالحين مثلهم كمثل من ينام نومًا مضطربًا يعاني فيه من كوابيس مؤلمة. كما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(1).

اتَّضح إذن أن الحياة التي يعيشها أهل البرزخ حياة ناقصة أو شبه حياة، وليس في كونهم أحياء بهذه الصورة أيُّ دليل على اطِّلاعهم على الدنيا، بل آيات القرآن الكريم تنفي مثل هذا الاطِّلاع وتُبيِّن أن رسل الله ينقطع علمهم عن الدنيا بعد وفاتهم فلا يعلمون شيئًا عن أحوال أممهم، يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾ [المائدة: ١٠٩].

ويقول أيضًا: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ......﴾ [المائدة: ١١٦]، فهذه الآية تُبيِّن أن عيسى عليه السلام الذي كان من أولي العزم من الرسل ومن كبار الأنبياء لم يكن له علم بأحوال أمته، فكيف يعلم الإمام أو ابن الإمام بذلك؟!

فيبدو أن الذين يَدْعُونَ الأنبياءَ والأولياءَ والأئمَّة الراحلين و يستغيثون بهم ليس لهم أي علم بآيات القرآن، لأن القرآن يعتبر الذين يتوجّهون بالدعاء -الذي يُعدّ من العبادة- إلى مَدْعُوٍّ غَيْبِيٍّ آخرَ سوى اللهِ مشركين. وسنذكر فيما يلي عددًا من الآيات دليلاً على ما نقول.

---

(١) بحار الأنوار، ج٦، ص٢٨٤، والتاج الجامع للأصول، ج١، ص ٣٧٦-٣٧٧، وهذا الحديث الذي رواه الفريقان يتفق مع الآية ٤٦ من سورة غافر المذكورة أعلاه ومع آيات القرآن الكريم الأخرى.

ماذا يقول القرآن الكريم حول الاستمداد من غير الله؟

أثبتُّ في كُتُبي «**احكام قرآن**» (أحكام القرآن) و«**تابشى از قرآن**» (قبس من القرآن) و«**دعاهايى از قرآن**» (أدعية من القرآن)، أن الله تعالى يعتبر الذين يدعون غيره في مواقع الدعاء واللجوء مشركين، وفيما يلي بعض الآيات التي تدل على هذا الأمر:

١- ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف: ١٩٤].

٣- ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

٤- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

ولب الكلام أنه لا بُدّ أن يكون دين الإمام والمأموم ودين النبيِّ ودين الأمّة واحدًا. مهما كان للأئمّة والأولياء مقام عظيم عند الله فإنهم لم يكونوا يَدْعُونَ إلا الله، فعلى أتباعهم أيضًا ألا يَدْعُوا إلا الله كذلك وألا يُشركوا بالله، لأن جميع الأنبياء والأئمّة مخلوقون ولا علم لهم بالدنيا بعد رحيلهم عنها ولا يعلمون أيّان يُبعثون ومتى يُحشرون.

تدلُّ آيات القرآن على أن الأنبياء ورسل الله لا اطّلاع لهم بعد موتهم على الدنيا ولو اطّلعوا على الدنيا ومصائب أهلها ومعاناتهم لأصابهم الحزن والكآبة، في حين أن الله تعالى يُخبرنا أنهم في «دار السلام»، و ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٧٠].

وأساسًا لا يُمكن للإنسان أن يسمع صوت أهل الدنيا إلا بأذن دنيوية، في حين أن أذن الميت قد امتلأت بالتراب بل قد تحوّلت إلى تراب، ففقد الميت حاسة السمع وكما قلنا لقد أخبر اللهُ تعالى رسولَه الكريم فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]. ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ

ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠]

فإذا كان رسول الله وخاتَم النبيين ﷺ غير قادر على إسماع الموتى وكان الموتى غير قادرين على إجابة رسول الله ﷺ فكيف يُمكنهم أن يُسمعوا الآخرين ويجيبوهم؟!!

وبالطبع لا ينبغي الاعتناء والالتفات إلى كلام الرواة المفترين الذين قاموا بوضع الأحاديث واختلاق أدعية الزيارات التي وضعوا فيها جملا مخالفة للقرآن من قبيل: «**إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ سَلَامِي**»، والعجب كيف اتَّخذ الناسُ القرآنَ مهجورًا وأقبلوا على زيارات وضعتها الغلاة والتي تحتوي على عبارات مخالفة للقرآن الكريم!!

وبغضّ النظر عن آيات القرآن العديدة في هذا المجال، فبماذا يُجيب أولئك الرواة والمعتقدون بسماع الأموات عن الدليل العقلي الواضح الذي يقول: إنه لابُدّ أن يكون لدى الرسول أو الإمام أو سائر الناس أذنًا حتى يسمعوا، وقد أعطى الله للأنبياء والأولياء أذنًا للسماع في الدنيا فإذا رحلوا عنها فلا يُمكنهم أبدًا أن يسمعوا بتلك الأذن التي لم يعد فيها روح أو التي تحوّلت إلى تراب؟ ولهذا فقد أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى هذا الدليل العقلي، وقال عن الله عزّ وجلّ: «**سَمِيعٌ لَا بِآلَةٍ بَصِيرٌ لَا بِأَدَاة**»[1]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَة**»[2]، وقال الإمام الرضا أيضًا: «**إِنَّهُ سَمِيعٌ لَا بِأُذُنٍ وَقُلْنَا إِنَّهُ بَصِيرٌ لَا بِبَصَر**»[3]. فالله تعالى وحده هو البصير بلا آلة إبصار والسميع بلا آلة سمع فهو يسمع ويرى، وعلم الله بالُمبصرات والمسموعات لا يحتاج إلى وسيلة، وليس لغير الله مثل هذه الصفة.

والأنبياء عليهم السلام بشر كسائر البشر إلا ما استثناه الله في حقّهم وهو الوحي الذي اختصّهم الله تعالى به.

ما ذكرناه كان اعتمادًا على أنه بعد الوفاة وانفصال الروح عن البدن يتمتّع الإنسان بنوع من الحياة في عالم البرزخ مُشابهة لحياته الدنيوية أو الأخروية، أما إذا قلنا إن البرزخ معناه

---

(١) الشيخ الصدوق، كتاب التوحيد، مكتبة الصدوق، ص ٣٠٨.

(٢) الشيخ الصدوق، كتاب التوحيد، مكتبة الصدوق، ص ١٤٤.

(٣) الشيخ الصدوق، كتاب التوحيد، مكتبة الصدوق، ص ٢٥٢.

الحائل والحاجز بين شيئين وأن عالم البرزخ يُشبه عالم الغياب عن الوعي أو النوم وأن معناه البرزخ بين الحياتين فعندئذ يكون الأمر واضحًا بشكل كامل ولا يحتاج إلى تفصيل، كما قال تعالى عن الذين يُبعثون من قبورهم: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٥].

وَسِرُّ ذلك أن في الدنيا حياةٌ، وفي الآخرة حياةٌ، وبين الحياتين فاصل وبرزخ؛ وهو حالة غير حالتي الدنيا والآخرة أي حالة تُشبه حالة النوم أو فقدان الوعي، كما يُقال «برزخ» لقطة الأرض الضيقة التي تفصل بين البحرين، قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩- ٢٠].

كلامُ عَلِيٍّ عليه السلام عن حال الأموات

يُفيد كلامُ أمير المؤمنين عليه السلام أن عالم ما بعد الموت خال من حركات الحياة، وأنه عالمٌ ومقامٌ تنقطع فيه الصلة والارتباطات بالدنيا فلا يعلم الراحل عن الدنيا أي شيء عما يجري فيها.

قال الإمام عليه السلام: «**تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ وحَشَدَةُ الإِخْوَانِ إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ ومُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ**»(1)، وقال: «**فَهُمْ جِيرَةٌ لا يُجِيبُونَ دَاعِيًا ولا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا ولا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا وإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا جَمِيعٌ وهُمْ آحَادٌ وجِيرَةٌ وهُمْ أَبْعَادٌ مُتَدَانُونَ لا يَتَزَاوَرُونَ**»(2)! **وقال لأبنائه وسائر من حوله وهو يحتضر على فراش الموت: «أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ وغَدًا مُفَارِقُكُمْ**»(3).

لكن يبدو أن مُدَّعي التشيّع لا يقبلون كلام الإمام بل يعتبرونه حاضرًا عندهم وحاضرًا بشكل خاص في مرقده، لذا يذهبون إلى لقائه من وقت إلى آخر!

وقال عليٌّ عليه السلام أيضًا: «**وأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثًا وأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا لا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ**

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٨٣.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ١١١.

(٣) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٤٩.

ولا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ ولا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ»[1].

وقف أمير المؤمنين عليه السلام يتأوَّه أمام قبر الزهراء عليها السلام وقال:

ما لي وقفت على القبور مسلِّمًا	قبـر الحبيــب فلم يَرُدَّ جوابـي
أحبيبٌ ما لك لا تردُّ جوابَنا	أنسيت بعدي خُلَّةَ الأحباب؟[2]

في هذين البيتين ذكر الإمام عليه السلام أن حضرة الزهراء عليها السلام لا تردّ جوابه، فكيف يتوقّع مُدَّعُو التشيُّع لهُ الإجابةَ من الإمام أو ابنه أو حفيده لمن وقف أمام قبره وقال: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَشْهَدُ مَقَامِي... وَتَرُدُّ جَوَابِي**»؟!

وقد نقل الرواة[3] أن «جابر بن عبد الله الأنصاري» ذهب بعد أربعين يومًا من شهادة الحسين إلى زيارة قبره فسلّم عليه قائلاً: يا حسين، ثلاث مرات. ثم قال: «**حبيبٌ لا يُجيبُ حبيبَه**». ثم قال: «**وأنَّى لك بالجواب وقد شَحَطَتْ أوداجُك على أثباجك**[4]، **وفُرِّقَ بين بدنك ورأسك!**.. الخ». أفلم يكن لـ «جابر» رضي الله عنه من العلم ما لِمُدَّعي التشيع في زماننا حتى يقول بأن الإمام الحسين عليه السلام لا يُجيبه؟ وهل ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام أن الزهراء عليها السلام لا تردُّ جوابه صحيح أم لا؟ نحن نقول إنه صحيح.

ومثال آخر، عندما اعتقل أهل الكوفة «**مسلم بن عقيل**» وساقوه إلى دار الإمارة وأرادوا قتله قال: لديَّ وصيةٌ وخاطب عمر بن سعد فقال: وصيِّتي أن تُخبروا الإمام الحسين عليه السلام عمّا جرى وتكتبوا له ألا يقترب من الكوفة!

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢٣٠.

(٢) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٤٧، ص٢١٧. ونسبه إلى الديوان المنسوب إلى الإمام عليٍّ عليه السلام. (المُتَرْجِمُ)

(٣) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٦٥، ص١٣٠، و ج ٩٨، ص١٩٥ - ١٩٧، ناقلاً عن كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى» لعماد الدين الطبري (٥٢٥هـ)، وهو موجود فيه في ص ٧٤ من طبعة النجف الأشرف الثانية سنة ١٣٨٣هـ للكتاب. (المُتَرْجِمُ)

(٤) **أوداج**: جمع وديج وهو وريد العنق، وشحطت أوداجك أي تقطعت عروق عنقك وتدفَّقت الدماء منها. **وأثباج**: جمع ثبج: ما بين الكاهل إلى الظهر. (المُتَرْجِمُ)

فنسأل: ألم يكن «**مسلم**» نائب الإمام الخاص، ألم يكن يعلم أن الإمام مُطَّلع على كل الأمكنة ويُجيب جميع الخلق أم أن مُدَّعي التشيع في زماننا يفقهون أكثر منه؟!

إذا رجع شخصٌ إلى أدعية الأئمَّة عليهم السلام المروية عنهم في «**الصحيفة السجَّاديَّة**» و«**الصحيفة العلويَّة**» وهي كتب أدعية قويمة لا نكاد نجد فيها أيَّة عبارة تُخالف القرآن، فإنه سيستغرب عندما يرى أن الأئمَّة الأطهار عليهم السلام يُصرِّحون بعدم علمهم بأحوال أنفسهم يوم القيامة وأنَّهم أنفسهم خائفون جدًا من ذلك اليوم ويطلبون من الله دومًا السلامة والنجاة فيه، كما سيُلاحظ من جهة أخرى أن أدعية الأئمة عليهم السلام تلك ساكتةٌ تمامًا عن موضوع حياتهم في القبر أو عالم البرزخ أو عن اطِّلاعهم على أحوال الدنيا وليس فيها أيَّة إشارة إلى ذلك الأمر.

على كلِّ حال، فإن التقصير هو من الرواة الكذَّابين الذين قاموا بوضع الزيارات دون أن يكون لهم أيُّ معرفة بالقرآن ولا أيُّ اطِّلاعٍ على كلمات الأئمة عليهم السلام.

مسألة الزيارة في كتاب الله وسُنَّة رسوله

من المسلَّم بِهِ أن زيارات مراقد الأنبياء والأولياء والصالحين للاستمداد من أصحابها وكل تلك الآداب والطقوس المفصَّلة التي نجدها في كتب الزيارات لا أصل لها في شرائع الأنبياء ولا في الكتب المنزَّلة أي التوراة والإنجيل والقرآن، ولم يُشرع في الأديان الحقة مثل تلك العبادة ولم يُذكر في أي مصدر تاريخي بناء قبة وضريح ومزارات على قبور الأنبياء الراحلين الذين بلغ عددهم ١٢٤ ألف نبيّ. كما لم يُذكر في كتب الأنبياء السابقين أيُّ شيء حول زيارة قبورهم أنفسهم أو قبور أولادهم. ودين الإسلام دين جميع الأنبياء كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣]، فلم يأت فيه أيضًا أمرٌ بالذهاب إلى زيارات مراقد الأنبياء.

إن سورة «التكاثر» قد ذمَّت المتكاثرين الذين يذهبون لزيارة القبور، وقد وبّخهم على ذلك: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، وقد قال الإمام عليّ عليه السلام بعد تلاوته لهذه الآيات:

«﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ وزَوْرًا مَا أَغْفَلَهُ وخَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ وتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ وحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ ولَأَنْ يَكُونُوا عِبَرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا ولَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ وضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ ولَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ والرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الأَرْضِ ضُلالاً وذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً تَطَئُونَ فِي هَامِهِمْ وتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ وتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا وإِنَّمَا الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ ونَوَائِحُ عَلَيْكُمْ أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ وفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وسُوَقًا سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لا يَنْمُونَ وضِمَارًا لا يُوجَدُونَ لا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الأَهْوَالِ ولا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الأَحْوَالِ ولا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ولا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ غُيَّبًا لا يُنْتَظَرُونَ وشُهُودًا لا يَحْضُرُونَ وإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا وآلافًا فَافْتَرَقُوا ومَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ ولا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وصَمَّتْ دِيَارُهُمْ ولَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا وبِالسَّمْعِ صَمَمًا وبِالْحَرَكَاتِ سُكُونًا»[1].

لقد ابتدع الناس في زماننا بدعًا كثيرة راجت بين العوام، منها قيامهم ببناء هذه القبور الذهبية والفضية ونذر النذورات لها ووقف الأوقاف عليها حيث تُصرف الأموال الطائلة من قوت الشعوب الفقيرة على تلك القبور، وهذا عمل نهى الله عزّ وجلّ عنه في آيات عديدة كقوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ۝٥٦﴾ [النحل: ٥٦].

يجب أن نُفهم العوام أن الأولياء الذين رحلوا عن الدنيا ليسوا بحاجة لأن تُنذر إليهم النذور وتُوقف لهم الأوقاف، أو أن تُرمى الأوراق النقدية داخل أضرحتهم أو تُشترى لأجلهم الأعلام والعراضات والسلاسل، فكل ذلك إسراف لا يرضاه الشرع. ومن حيث المبدأ لا يُؤمن الإسلام بأي واسطة بين العبد وخالقه بل أمر الناس أن يدعوا اللهَ ويتوجهوا

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢١.

إليه مباشرة ويطلبوا منه حوائجهم دون واسطة. لقد ألغى الإسلام جميع أنواع العبادة لغير الله كعبادة القبور وعبادة الأحجار والأشجار وغيرها، ولكن للأسف الشديد كما يطلب النصارى حوائجهم من المسيح عيسى بن مريم ومن أمّه كذلك يطلب كثير من المسلمين حوائجهم من النبي والأئمة والأولياء، فيجب على العلماء أن يُعلِّموا الناس الأحاديث التي وردت حول تسوية القبور والنهي عن البناء عليها أو الكتابة عليها، وكذلك النهي عن تجصيصها والصلاة إليها أو عليها أو الذبح عندها، وما هو حكم الشرع في مثل هذه الأمور.

وسنذكر بعضًا من ذلك في كتابنا هذا، وذكرنا ما جاء في هذا المضمار في كتابنا «**جامع المنقول في سنن الرسول**».

هل تعود أرواح الأولياء إلى الدنيا؟

ما الذي يتصوَّره الذين يحضرون عند قبور أولياء الدين وينتظرون منهم الشفاعة وتلبية الحوائج؟ هل يتصوّرون أن أولياء الله يعودون في كل لحظة وفي كل ساعة من عالم البقاء إلى عالم الفناء ليُصغوا إلى طلبات زوّارهم؟

إن مثل هذا التصوّر لا يعدو وهمًا محضًا وجهلاً، لأن كل من رحل عن هذا العالم الفاني لا يعود إليه، لاسيما أولياء الله وعظماء الدين الذين خرجت الدنيا من قلوبهم وكانوا مقبلين بكليتهم على الله ولم يكونوا يُعيرون متاع الدنيا اهتمامًا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

بناءً على هذه الآية لا يُمكن لأرواح الأنبياء والأولياء أن يعودوا في كل لحظة إلى عالم الدنيا بناء على رغبة هذا أو ذاك، وليسوا مُطيعين لأمر أحد من الناس في ذلك. وإذا ادَّعى بعض الناس أنهم قادرون على إحضار الأرواح.

فنقول: **أولاً**: إنهم كاذبون في دعواهم، **وثانيًا**: إنهم لا يملكون السيطرة على أرواح الأنبياء والأولياء لأن أرواحهم أقوى من أن تكون خاضعةً لإرادة أصحاب هذه الدعوى التي يتَّخذونها تجارة يتكسَّبون من ورائها، **وثالثًا**: يُمكن أن نقول إن ما يُحْضِرُهُ هؤلاء هم

الشياطين قرناء الإنسان (لأن كل إنسان يُولد في عالم الدنيا يولد معه قرينه الموكّل بالوسوسة له وإغوائه فإذا رحل الإنسان عن الدنيا كان شيطانه مُطّلعًا إلى حدّ ما على أحواله لأنه كان يُراوده على الدوام) فيقولون أشياء ويظنّ محضري الأرواح أنهم قد أحضروا روح ذلك الفرد!

هل واجب المسلم الانشغال بمدح الراحلين أو ذمّهم؟

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف أهل الإيمان: «**عَظُمَ الخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ**»[1]. إن عظمة الله تعالى أخذت بقلوب أوليائه فكان حضور الله ورقابته شاغلاً لهم عن الاهتمام بمدح الناس لهم أو ذمِّهم، بل كانوا يكرهون أن يقوم الناس بتمجيدهم وإطرائهم خشية أن يُفتنوا بالغرور والعُجب بالنفس، وكانوا ينهون عن الإطراء وكثرة المديح[2] كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن كان يُبالغ في مدحه والثناء عليه: «**فَلا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا وفَرَائِضَ لا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الجَبَابِرَةُ ولا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ولا تُخَالِطُونِي بِالمُصَانَعَةِ ولا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي ولا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ولا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لا رَبَّ غَيْرُهُ يَمْلِكُ مِنَّا مَا لا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا وأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلالَةِ بِالهُدَى وأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى**»[3].

إن أمير المؤمنين عليه السلام هو ذلك الإمام الهمام ذاته الذي لما رأى الفرس من أهل «ساباط» في

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

(٢) كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**» (البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء) و«**خلاصة عبقات الأنوار**» للسيد حامد النقوي (١٣٠٦ هـ)، قم: مؤسسة البعثة، ١٤٠٥ هـ، ج٣/ ص ٣٠١. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ٢١٦.

المدائن قد جاؤوا إلى لقائه وترجَّلوا عن مراكبهم تكريمًا واحترامًا له، لَامَهُم على فعلهم ولم يرضَ أن يخضعوا له بهذه الطريقة ونهاهم عن ذلك[1]، كما لم يكن يعتبر نفسه معصومًا[2]، فهل يرضى مثل هذا الإمام بما يقوم به المدَّاحون وقُرّاء الزيارات من الغُلوّ في حقه والتجاوز في مدحه والمبالغة في تمجيده ونسبة الصفات الإلهيّة إليه؟!!

على كل حال، لا علاقة للاحقين بما عَمِل السابقون من أعمال حسنة أو سيئة، فلذلك نهى الله تعالى في كتابه عن مدح الأمم السابقة أو ذمّها لأن كلَّ إنسان مسؤولٌ عن نفسه ولا يُسأل عن غيره: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: ١٣٤ و ١٤١].

إذن ما جاء في متون بعض الزيارات من لعن السابقين أو الإغراق في مدح الماضين لغوٌ لا طائل تحته ومُخالف لنهج الشرع لاسيما أن رسول الله ﷺ قال: «**احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ**»[3].

ما الذي يستفيده من لا يُجاهد في سبيل الله إذا صرف وقته على مدح المجاهدين والثناء عليهم؟ وما الذي يجنيه من استولت عبادة الدنيا على قلبه ولم يمتنع عن عبادة الشهوات إذا قام بمدح أولياء الله؟ هل كان واجب مسلمي صدر الإسلام العمل بأحكام الله أما واجب المسلمين اللاحقين فهو مدح هؤلاء السابقين وتمجيدهم؟ وهل للإسلام برنامجَي عمل للأسلاف والأخلاف يُخالف أحدهما الآخر؟! هل هؤلاء الذين يدّعون حبَّ رسول الله ﷺ واتِّباعه أو حبّ الإمام الفلاني واتّباعه ولكنهم لا يهتدون بهدي الرسول أو الأئمة ولا يسيرون على نهجهم بل يعملون على نهج اخترعوه من عند أنفسهم وملؤوا الكتب والمجالس بالمغالاة في المدائح والثناء والتمجيد للنبيِّ والأئمَّة، يعتقدون أن الأئمة أيضًا كانوا يقومون

---

(١) انظر **نهج البلاغة**، قسم الحكم والأمثال، الحكمة رقم ٣٥. (المُتَرْجِمُ)

(٢) كما جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**فَلا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ولا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إلا أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي....**». (**نهج البلاغة**، الخطبة ٢١٦). (المُتَرْجِمُ)

(٣) **وسائل الشيعة**، الحر العاملي، ج١٢، ص١٣٢، الحديث الأول. (المترجم)

بمثل ذلك تجاه النبيّ ﷺ ومن سبقهم من الأئمة؟ أليست عقائد الإسلام وأعماله واحدة بالنسبة إلى جميع الناس بلا أي فرق بين الإمام والمأموم؟ وليت شعري! هل هناك أيُّ فرق بين دين الإمام ودين المأموم؟ ماذا كانت أصول الدين لدى عليّ عليه السلام؟ هل أصول الدين لدى هؤلاء القوم مختلفة عما كانت لدى الإمام عليه السلام؟! إنها أسئلة يجب على شعبنا أن يُجيب عنها، فمنذ أن ترك شعبنا الجهاد وصَدَفَ عن العدالة واكتفى بالبكاء على مجاهدي صدر الإسلام والنوح عليهم أصابه الذل والهوان وتخلّف عن شعوب العالم الراقية. إنهم يظنُّون أن الإسلام معناه التزلّف إلى الرسول والإمام، فهل يخدعون الله بذلك أم يخدعون أنفسهم؟ وهل يظنُّون أن الإمام حاضر ويرضى بهذه البدع؟! هل من المعقول أن يأمر الإمامُ -(الذي كان أثناء حياته يكره من التملّق والمبالغة في مدحه)- الناسَ أن يأتوا إلى قبره ليقفوا بخشوع أمامه ويقرؤوا صفحات من التمجيد والإطراء المغالي؟! حتى يقوم الذين يدَّعون التشيّع له، بعد ألف سنة من رحيله، بصرف الأموال والإغراق في المدائح المغالية والإطراءات المبالغة ويخترعون القصائد الشعرية [المليئة بالغلوّ] التي لا سند لها ظنًا منهم أن الإمام تعجبه تلك المدائح والمبالغات؟!

هل كان من سُنَّة الأنبياء بناء المشاهد والأضرحة على القبور؟

لقد قام السلاطين الأنانيون المستبدُّون الظالمون الذين لم يكن لديهم أدنى علم بدين الله وأحكام شرعه ببناء المشاهد والقباب والأضرحة على قبور الأئمّة عليهم السلام وذراريهم من الأموال المحرَّمة التي سُرِقَتْ من قوت الشعب وسعوا إلى جذب الناس إلى تلك الأضرحة الذهبية المزخرفة الفخمة وعَمَروا تلك المشاهد والمقابر وأخلوا مساجد الله من المصلين وذلك مثل السلاطين الصفوية والقاجارية الذين لم يكن لهم شغل سوى الانغماس في الشهوات والقتل وسلب أموال الشعب وخدمة الأجانب وإشاعة الخرافات وتخلّفت إيران بسبب تلك الحكومات الفاسدة حتى أصبحت [في عهدهم] من أكثر دول العالم تخلُّفًا. كان أولئك السلاطين يجمعون الأموال من الرشاوى والضرائب المفروضة على كاهل الشعب ولكي يكسبوا ودّ الناس قاموا -بدلاً من خدمة الرعية وعمران البلاد- بالبناء حول مقابر الأئمة والأولياء وبذلوا كل ما أوتوا من قوّة في بناء القصور والقباب والمنارات المرتفعة، وكلُّها

تبذير وإسراف وإفراط، لاسيما في البلد الذي ليس لأكثر أهله بيوت يسكنونها ويأوون إليها وكثير من قراه مدمرة وليس فيها تمديد للمياه ويُعاني كثير من أهلها من البطالة، ففي مثل تلك الأوضاع كان أولئك الظلمة الفسقة ينفقون المليارات على المقابر ويفرشونها بأحجار الرخام ويُزيّنون جدرانها بالنقوش والمنحوتات الفضية والذهبية والمرايا والكريستال. أحد أولئك السلاطين السفّاحين الذي قام بقتل كثير من وزرائه بل قتل بعض أولاده وأقربائه، هو الشاه «صفي الدين» حفيد الشاه «عباس الصفوي» الذي يقع قبره في جهة القبلة من حرم حضرة المعصومة في قم والذي زُيّن سقفه وجدرانه بالبلاط القيشاني المعرّق. ويقع إلى جانبه قبر الشاه «عباس الثاني» الذي بُني من مرمر رفيع وفي داخله صناديق مُذهّبة وألماسيَّة وقد رفعه بعض الشعراء المتملّقين إلى درجة الأنبياء والعياذ بالله، فقيل في مدحه:

در ايــام خاقــان جــم بارگــاه — **خــديو جهــانگير عبــاس شــاه**

ســليمان غلامــى ز خيــل درش — **به اقبال شه ساخت اين بارگـاه**

بهشــت بــرين بــود مــاواى او — **همين گشت تاريخ آن قبله گـاه**

أي:

في أيام السلطان الخاقان الملك الكبير — ملــك الــدنيا الشــاه عبــاس

قــام غلامــه ســليمان بجماعــة بابــه — بنى هذا الضريح لسعادة الشاه

لــتكن جنّــة الخلــد مــأواه — هكــذا شُــيِّدت تلــك القبلــة

كان السلاطين يرتكبون الظلم والجرائم الأخرى ولكن المدّاحين والشعراء والأدباء وعلماء السلطة والمتعالمين كانوا يمدحونهم طمعًا في أموالهم فيُطهّرون أعمالهم القبيحة ويزينوها بمدائحهم المليئة بالعبارات الكفرية. كل تلك الأبنية لحرم قبور الأئمة والأروقة والقباب والمنارات هي من بناء أولئك السلاطين الظلمة ووزرائهم الخونة. ولقد قام الشاه «بهلوي» الذي لم يكن له دين أساسًا، ببناء باب فخم لحرم الإمام الرضا، وكان الأتابك الأعظم وابنه أمين السلطان هو الشخص ذاته الذي أخذ من إنجلترا مبلغ ٤٠٠ ألف جنيه إسترليني لكي يسمح لمتطفلي الإنجليز بعقد اتفاقية «ريجيه» التي تُعطي إنجلترا الحق الحصري في صناعة التبغ إلى أن نهض الشعب واستطاع إجبار الشاه على إلغاء تلك الاتفاقية

بعد كثير من المشقة والعناء. أجل، هذا الوزير ذاته هو الذي بنى الفناء الكبير لضريح حضرة المعصومة في قم كما صرف ١٠٠ ألف تومان على قبره، وجعله أحد الأدباء المتملّقين صنوًا - والعياذ بالله- لخليل الرحمن إبراهيم الذي قام بتجديد بناء الكعبة، فقال في مدحه:

زمين شد از دو بنا رشك آسـمان　　　يكى بناى خليل و يكى بناى امين

خليل الرحمن گشت او بدان بناى　　　امين سلطان گشت اين بدين بناى

أي:

حسدت السماء الأرض على بناءَين فأصبح الخليل

أحدهما بناء الخليل (الكعبة) والثاني بناء الأمين بن أتابك!

خليـــل الـــرحمن بـــذلك البنـــاء القـــويم

وأصـــبح الأمـــين أمـــين الســـلطان بهـــذا البنـــاء المتـــين

وكم من النفوس البريئة التي قتلها الشاه عباس الصفوي الأوّل، ومن جملة ذلك أنه غزا مدينة «هراة» -وكانت مدينة إسلامية- وحاصرها أربعة أشهر ثم اقتحمها بعسكره من القزلباش وقتل فيها حوالي أربعين ألف مسلم ثم أمر جنده بالإغارة عليها وأباح لهم السلب والنهب فلم يتركوا فيها درهمًا ولا دينارًا ولا فضة وذهبًا إلا وأخذوها وأتوا بها إلى الشاه وعبَّؤُوها في الشوالات عنده، وقد جاء في كتاب «**عالم آراى عباسى**» وسائر كتب التاريخ أنهم قاموا بتحميل تلك الشوالات على ظهور الجمال والبغال ونقلوها من «**هراة**» إلى «**مشهد**»؛ وعندما قدم إلى مشهد حضر العلماء وكبار القوم فاستشارهم الشاه ماذا يفعل بتلك المسكوكات والأموال والذهب والفضة؟ فأشاروا عليه ببناء ضريح للإمام الرضا عليه السلام من الفضة والذهب وبناء المنارات والقبة وطلائها بالذهب وأن يبنى منها فناء الحرم وأروقته. فأمر الشاه بذلك ونقشوا اسمه في أطراف الحرم والقبّة[1]. والآن كيف تكون الجنَّةُ مأوىً للملك الذي قتل

(١) للاطّلاع على عقائد الشاه عباس الأول الصفوي راجعوا الصفحة ١٠١ من كتاب «**سفرنامه برادران شرلي**» [رحلة الإخوة شيرلي]، (انتشارات منوچهري)، حيث نقرأ أن الشاه عباس قال للإخوة شيرلي: «أنا مسيحي تقريبًا». وقد جاء في الصفحة ٧٢ من ذلك الكتاب ذاته أنه شرب الخمر في حضور هذين

أربعين ألف مسلم؟! ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]؟! وليت شعري: إذا كانت الصلاة في غرفة تحتوي في جدرانها على لبنتين مغصوبتين فقط باطلة، فما حال الصلاة في الحرم والأروقة التي بُنيت كلها بالأموال المغصوبة والمسلوبة؟ هل يُمكن أداء الصلاة فيها؟ ولماذا يُقيم العلماء فيها صلاة الجمعة؟ هل هناك في شرع الله فرق في حكم هذه المسألة بين مرقد الإمام وبيوت سائر المسلمين؟! ومثلها القبة الذهبية والفناء الخاص بمقبرة حضرة المعصومة التي بناها «**فتحعلي شاه**» القاجاري، كما بنى الملك «**نادر شاه**» حرم أمير المؤمنين عليه السلام وقبته وضريحه المذهّبة كلها، في النجف، بالأموال التي حصل عليها من السلب والنهب في حروبه بما في ذلك غاراته على مناطق في شمال العراق. فهل يرضَى اللهُ وأنبياؤه وأولياؤه عن هذه القصور وأبنية حرم المقابر أم الشياطين والسلاطين؟ هل يحق لكل ملك ووزير أن يصرف أموال الشعب على مثل هذه الأعمال اللغو والباطلة بدلاً من أن يُعمّر البلاد ويصرف الضرائب على تقدّم البلاد وتحسين الصناعة والزراعة؟

عندما كانت أوربا مشغولة بالأبحاث والاختراعات وإعداد القوات المسلحة وصناعة المدافع والطائرات هل كان من الجدير بسلاطين إيران أن يصرفوا ثروات البلاد على بناء القباب والمنارات الذهبية فوق القبور ويُبْقُوا إيران متأخِّرةً ومحتاجة إلى أوربا لأجل شراء

الشخصين. والشاه عباس الأول هذا الذي كان من المفترض أن يعتني برعيّته ويؤمِّن لهم العمل ويقوم بعمارة ما خرب من الطرق والجسور والأبنية وما إلى ذلك، قام بدلاً من ذلك بزيارة مدينة مشهد مشيًا على الأقدام وبرفقته ستة آلاف عسكري ونسائه وإسطبل خيوله لخداع العامة وكان ينصب الخيام على رأس كل فرسخين ويُعيّن مكانًا للحريم بين الخيم كي يكنّ في الليل في أحضان هذا الشاه وفي اليوم التالي كان يقطع فرسخين آخرين وهكذا قضى هؤلاء الجنود والموكب الملكي ستة أشهر حتى وردوا مشهد وأظهر الملك أنه يريد أن يكون حارس حضرة الرضا عليه السلام وقام بإصلاح شموع الحرم بالمقراض! وقد ذكّره آية الله في عصره أن هذا الحرم مهبط الملائكة ولا ينبغي أن يؤذي أجنحة الملائكة بمقراضه!!

نعم، مثل هؤلاء الأشخاص كانوا يبنون الأضرحة والمشاهد على مراقد الأئمة خداعًا للعوام!! ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

بندقية واحدة؟ هل كان أولئك الملوك والعلماء مطيعون للعقل والشرع أم للهوى والهوس؟ هل مجرد قيام أولئك الملوك والعلماء بإظهارهم الحب لقبور الأئمة وذراريهم أو احترامهم البالغ لـ«**شاهزاده عبد العظيم**» و«**الشاهزاده حمزة**» و«**الشاهزاده جعفر**» و«**الشاهزاده قاسم**» و«**الشاهزاده يحيى**» كافٍ لمحو ما ارتكبه أولئك الملوك من الجرائم والخيانات ولتكفير عن أعمالهم السيئة؟ إذا سألت الشيخية والصوفية أو المدّاحين الغلاة وقرّاء المراثي في المآتم وسدنة القبور ومستخدميها والمتولين عليها فإنهم سيقولون نعم سيكفيهم، أما القرآن الكريم فيقول كلا. هل يستحق شخص مثل «أحمد بن موسى» المعروف بـ«شاهچراغ» الذي ادعى الإمامة، أو «أبو السرايا» الذي خرج وألقى بالناس إلى الموت أن يُبنى على قبره ضريح وفناء وتُكتب الزيارات الخاصة به ويُشغل بها الناس؟ للأسف لما كان يمتلك قبة وضريحًا ذهبيًا فإنه يُعتبر من عظماء الدين والأولياء الصالحين!!

أجل، لقد أبعد هؤلاء السلاطين الظلمة المسلمين عن حقائق دينهم بتلك الخرافات واستطاعوا الركوب على أكتافهم، كما قام علماء السلطة والمتلبّسون بلباس أهل العلم والمسترزقون باسم الدين بإشاعة مثل تلك الأعمال. ومن جهة أخرى، عُطِّلَتْ أحكام الإسلام الحيوية والضرورية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار ووحدة المسلمين واتحادهم والمساواة والأخوَّة والعدالة، وتمَّ ترويج أحاديث تعطي وعودًا جُزافًا مبالغًا بها على زيارة مرقد إمام وأنها تساوي مائة ألف حجة أو ألف حجة مع رسول الله ﷺ، هذا مع أن رسول الله ﷺ لم يحجَّ بعد هجرته إلى المدينة سوى حجَّة واحدة، أما زائر القبر الفلاني فكأنه حجَّ ألف حجة!

أجل، قام جماعة من الكذَّابين المفسدين الغلاة بوضع الأحاديث ونشر البدع لأجل تضعيف الإسلام وزعزعة أعمدة الشرع والاستهزاء بقوانين الله عزَّ وجلَّ، كي يغترّ الذين يحسبون حسابًا للقيامة وعذاب الآخرة فينشغلوا بهذه الأعمال التي لا طائل تحتها ويتصوّروا أنها ستُنجيهم من العذاب يوم الحساب، ويتجرَّؤُوا على المعاصي ولا يجدوا حاجة إلى تعلّم حقائق الدين الإلهي وبذل الأنفس والأموال في سبيل الله بل يَقْتَنعوا بتلك الأعمال التي لا تعدو تملّقًا وتزلّفًا ولا ينتج عنها سوى التخلّف والانحطاط ويرجوا أن يقوم الأئمة

وذراريهم بالشفاعة لهم يوم القيامة ويُدافعوا عنهم. لقد أرادوا بمثل تلك الأحاديث الموضوعة أن يُقلِّلوا من أهمّيّة الحجّ وعظمته، والذي هو وسيلة لتواصل المسلمين وارتباط بعضهم ببعض، ويجعلوا زيارة قبر أو إقامة مأتم أهم من جميع السنن الشرعية.

أيًّا كان الهدف فقد كانت تلك السياسة مفيدة للاستعمار وخلّفت أثرها حتى أصبح أهم عمل ديني في نظر شعبنا اليوم الذهاب إلى زيارة القبور أو عقد مجالس العزاء التي لا تزيد معارف شعبنا سوى جمل مشوبة بالشرك تجعل لِلَّهِ وزراء وشركاء وتعتبر الأئمة «**عين الله الناظرة ويده الباسطة**» وتجعل حساب الخلق يوم القيامة بأيديهم أي بأيدي من هم على مذهبهم ومن ربعهم وجماعتهم!!

أما الإسلام الحقيقي الذي يُوجب النهضة والعزَّة والشهامة وكسب العلوم فقد كان معارضًا لطريق السلاطين والأمراء السوء فكانوا يخافون من الإسلام الأصيل لذا كانوا يُبْعِدُون الناسَ عنه ويحضُّونهم على التذلُّل وعبادة القبور والتملّق لأصحابها والتزلّف للأموات.

أجل، لقد بدأ بناء المشاهد والمقابر بين المسلمين منذ زمن العباسيين وانطلقت القوافل من الشرق والغرب تشدّ الرحال لزيارة قبور الأولياء والصالحين، التي كانت تُضرب عليها في بداية الأمر القباب الطينية ثم صارت قبابًا من الطوب والقرميد إلى أن وصل الأمر إلى القباب الفضية والذهبية وأصبح كل فقير مسكين يُنفق ما جمعه خلال سنة من الكد والسعي على الرحلة إلى زيارة قبر أو دفع مبالغ طائلة كحق التنازل (خلو الرجل) لاستئجار العقارات الموقوفة على تلك القبور أو رمي المال الذي كسبه من عرق جبينه داخل الأضرحة ليأخذه الطفيليون العالة على المجتمع من سدنة تلك المقابر تحت أسامي الأمناء والنظّار والمتولين لأمور الموقوفات وغيرها من العناوين ويصرفوه على أهوائهم وشهواتهم في أماكن للترفيه مثل جزيرة «كيش» وأمثالها. أجل، فإن السلاطين الظلمة والمسترزقين باسم الدين أشغلوا الناسَ بتلك الأعمال الخرافية وأفرغوا جيوبهم من الأموال. لقد غرق الناس في الخرافات إلى حدّ أصبح فيه كل مَن يكتب -مثل كاتب هذه السطور- أي شيء ضدها يُوصم بأنه عديم الدين ومهدور الدم، أو على الأقل مستحقًا لقطع رزقه أو ملعونًا ومطرودًا في نظر البعض الآخر!!

لم يكن لهذه القباب والمشاهد والزيارات وجود في صدر الإسلام في سيرة عليٍّ عليه السلام وعند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكما ذكر الأستاذ «**قلمداران**» في كتابه حول «**الزيارة**» عندما ذهبت **عائشة** زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى زيارة قبر أخيها «**عبد الرحمن بن أبي بكر**» لامها الصحابة واعتبروا أنها قامت بعمل نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد دُفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحجرة ذاتها التي تُوفي فيها، أي في حجرة عائشة وطيلة فترة حياة عائشة أي مدّة خمسين عامًا تقريبًا لم يأت أحد إلى تلك الغرفة قائلاً افتحوا لي أريد أن أزور قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**!** مما يُبيّن أن زيارة القبر لم تكن عملاً رائجًا، وكان أحد التابعين ويدعى «أبو عمرو بن شراحيل الكوفي» (المتوفى سنة ١٠٤هـ) يقول: «**لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ نَهَى عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ لَزُرْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ** صلى الله عليه وآله وسلم». وقد وُجدت بدعة زيارة القبور في القرون المتأخرة وازدادت بشكل تدريجي، وذلك بعد أن اختلط المسلمون بأهل الملل والنحل المختلفة كاليهود والنصارى والمجوس والبوذيين والأقباط ورأوا في دولهم مقابر الفراعنة والملوك أمثال «كورش» و«داريوش» فراجت بين المسلمين مثل هذه الأمور حتى أنهم أطلقوا على ذراري الأئمة لقب «**الشاه**» - التي معناها الملك - تعظيمًا لهم واحترامًا وانتشرت قبور: «شاهزاده عبد العظيم» (أي ابن الملك: عبد العظيم) و«شاهزاده حمزة» و«شاهزاده جعفر» و«شاهزاده جلال الدين» و«شاهزاده إبراهيم» و«شاهزاده فلان» و...الخ**!!** وانطلق الناس إلى زيارة قبورهم وقام سدنتها وخدّامها بتشجيع الناس على تلك الزيارات لما تدرُّه عليهم من منافع وأصبحت تلك الأماكن محلاً لتجمُّع كلِّ عاطل عن العمل ومتسوّل وعالة طفيلي يسترزق على النذورات الكثيرة من الذهب والفضة والأموال والسُجّاد والأشياء الثمينة التي يأخذونها من الناس، أو يبنون قبورًا في فناء تلك المزارات ثم يبيعون تلك القبور بأثمان باهظة**!**

ومن جهة أخرى، بدأ أعداء القرآن بوضع الأحاديث التي تشجّع هذه الأعمال العبثيّة فجعلوا زيارة قبر أفضل من مائة حجّ أو ألف حجّ وابتدعوا زيارات وفضائل، وقام الغلاة والكذّابون والوضّاعون بنشر هذه الأخبار، وظن بعض الجهلة من المنتسبين إلى الحديث

والمحدثين أن هذه الأحاديث صحيحة فقاموا بتأليف كُتُبٍ احتسابًا وقُرْبةً إلى الله، جمعوا فيها تلك الأحاديث الموضوعة وقالوا بأن أصل الزيارة من المستحبّات، والمستحبّات يُتَسامَح في أدلَّتها، وأدلة السنن لا إشكال فيها!! وأرضوا بذلك الشيطان وشغلوا الناس بالشرك والخرافات حتى أنهم وضعوا حديثًا في فضل البناء على القبور وتعميرها وقد محّص الأستاذ الفاضل «**قلمداران**» في كتابه حول الزيارة ذلك الحديث سندًا ومتنًا، ولكن قبل أن أذكر مزيدًا من التمحيص لذلك الحديث لا بدّ أن نعلم رأي أئمة الدين حول تعمير القبور.

الأحاديث المتعلِّقة ببناء القبور وتجديدها

لو أردنا أن نذكر جميع الروايات التي وردت في ذمّ بناء القبور وتزيينها لطال بنا الكلام، لذا سنكتفي بذكر عدد من الروايات مما يكفي لإيقاظ كل منصف طالب للحق ولإتمام الحجة:

١- روى الشيخ الصدوق والشيخ الحُرّ العاملي صاحب «**وسائل الشيعة**» أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي قِبْلَةً وَلَا مَسْجِداً، فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْيَهُودَ، حَيْثُ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[1]. بناء على هذا الحديث، فإن جميع الروايات التي ذُكرت في كتب الزيارة والتي تأمر باتخاذ قبر الإمام قبلة هي من وضع أشباه اليهود الذين افتروها على لسان الأئمة عليهم السلام.

٢- وروى المحدِّث النوري في «**مستدرك الوسائل**» نقلاً عن العلامة الحليّ في كتابه «النهاية» رواية «**عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ أَوْ يُبْنَى عَلَيْهِ، أَوْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ**[2]**، لِأَنَّهُ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا فَلَا حَاجَةَ بِالْمَيِّتِ إِلَيْهِ**»[1].

---

(١) **وسائل الشيعة**، ج٢، باب ٦٥، ص٨٨٧.

(٢) مع الأسف، إضافة إلى أنه لا يُعمل بهذا الحديث، فإنه تُكتب على مشاهد (أحجار) قبور العلماء والأكابر جمل طويلة مبالغة في مدحهم والثناء عليهم. والأسوأ من ذلك، إنهم يخصصون حُجرة للقبر. ولو أن مصاريف هذه البنايات صُرفت في توفير السكن للفقراء والمساكين وقضاء حاجاتهم الضرورية لجلب ذلك رضا الله سبحانه وتعالى. (المصحح)

٣- وروى المحدِّث النوري أيضًا: «عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: **لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً وَلَا تَتَّخِذُوا قُبُورَكُمْ مَسَاجِدَكُمْ[2] وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً**»[3].

٤- وروى الشيخ «الحرّ العاملي» في «**وسائل الشيعة**» عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «**لَا تَرْفَعُوا قَبْرِي فَوْقَ أَرْبَعِ أَصَابِعَ مُفَرَّجَاتٍ**»[4].

٥- وجاء في ج٢٢ من «**بحار الأنوار**» للعلامة المجلسي، وفي كُتُبٍ حديثيَّة موثوقة أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**لَا تَشْرَبْ وَأَنْتَ قَائِمٌ وَلَا تَبُلْ فِي مَاءٍ نَقِيعٍ وَلَا تَطُفْ بِقَبْرٍ**»[5].

٦- و روى «زيد بن علي بن الحسين» عليهما السلام عن جدِّه علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِي أَنْ تَدَّخِرُوهَا فَوْقَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ... وَنَهَانَا عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ**»[6].

٧- الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**أَنَا عِنْدَ الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ وَالْقُبُورِ الْمُنْدَرِسَةِ**»[7].

فهذا الحديث يدلُّ على أن الحقّ جلَّ وعلا لا ينظر إلى القبور المزيَّنة المزخرفة والمجدَّدة والمحلّاة بالمرايا والذهب ويمقتها.

---

(١) **مستدرك الوسائل**، الطبعة الحجرية، ج١، ص١٢٧.

(٢) في الأصل: مساجد. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **مستدرك الوسائل**، الطبعة الحجرية، ج١، باب ٥٥ من أبواب الدفن وما يناسبه، باب كراهة بناء المساجد عند القبور، ص١٣٢.

(٤) **وسائل الشيعة**، ج٢، باب ٣١ من أبواب الدفن، ص٨٥٨.

(٥) **وسائل الشيعة**، ج١٠، باب ٩٢ من أبواب المزار في كتاب الحج، وج١/ ص٢٤١. **وسفينة البحار**، ج٢/ ص٩٩.

(٦) مسند الإمام زيد، كتاب الحج، باب الأكل من لحوم الأضاحي.

(٧) الحديث لا أصل له مرفوعا، وقد ذكره العجلوني في «**كشف الخفاء**» ج٢، ص ٣٢٥، في التعليق على الحديث رقم ٢٨٣٦. ولفظه فيه: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم المندرسة قبورهم وما وسعني أرض ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**». (المترجم)

٨- رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**قَبْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُحَصَّبٌ حَصْبَاءَ حَمْرَاءَ**»[١].

٩- وروى «عبد الرزاق الصنعاني» الذي كان من قدماء الشيعة، عن ابن طاووس: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ قُبُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا أَوْ تُجَصَّصَ أَوْ تُزْرَعَ، فَإِنَّ خَيْرَ قُبُورِكُمُ الَّتِي لَا تُعْرَفُ**»[٢].

١٠- ونقل المرحوم آية الله «شريعت سنكلجي» رحمه الله عن كتاب «**الذكرى**» أن: «**الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ** صلى الله عليه وآله **سَوَّى قَبْرَ ابْنِهِ إِبْرَاهِيْمَ**» ونقل أيضًا أن القاسم بن محمد قال: «**رأيتُ قبرَ النبي الأكرم** صلى الله عليه وآله **والشيخين مسطَّحة**» ونقل أن قبور المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة كانت مسطّحة[٣].

١١- وروى الحرّ العاملي عن الإمام الصادق أنه قال: «**لَا تُطَيِّنُوا الْقَبْرَ مِنْ غَيْرِ طِينِهِ**»[٤].

١٢- وروى المحدِّث النوري عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صلى الله عليه وآله **نَهَى أَنَّ يُزَادَ عَلَى القَبْرِ تُرَابٌ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ**»[٥].

لاحظوا إلى أي حدّ كان رسول الله صلى الله عليه وآله دقيقًا حتى أنه نهى أن يُزاد ولو مقدار قليل على تراب القبر، فما بالك بالفضة والجصّ وأحجار الرخام وغيرها من الأحجار الثمينة**!**

ولكن أمتنا لم تُلق بالاً لهذه الأوامر بل أسرفت في تعمير قبور عظماء الدين **ووصل الأمر إلى وضع الكذابين الغلاة رواية نسبوها إلى رسول الله** صلى الله عليه وآله **في فضل تعمير القبور، وفيما يلي نقوم بدراسة هذه الرواية متنًا وسندًا:**

روى الحر العاملي في «**وسائل الشيعة**» (باب ٢٦ من كتاب المزار) بسنده عن عَبْدِ الله بْنِ

---

(١) **وسائل الشيعة**، ج٢، باب ٣٧ من أبواب الدفن، ص٨٦٤.

(٢) المصنف لعبد الرزاق، ج٣، ص٥٠٦.

(٣) توحيد عبادت (أي كتاب توحيد العبادة)، انتشارات دانش، ص١٤٩.

(٤) **وسائل الشيعة**، ج٢، باب ١٦ من أبواب الدفن، ص٨٦٤.

(٥) **مستدرك الوسائل**، الطبعة الحجرية، ج١، باب ٣٤ من أبواب الدفن، ص١٤٦.

مُحَمَّدٍ الْبَلَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَارَةُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَامِرٍ السَّاجِيِّ وَاعِظِ أَهْلِ الْـحِجَازِ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال (ضمن حديث طويل): **يَا عَلِيُّ! مَنْ عَمَرَ قُبُورَكُمْ وتَعَاهَدَهَا فَكَأَنَّمَا أَعَانَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَى بِنَاءِ بَيْتِ الْـمَقْدِسِ، ومَنْ زَارَ قُبُورَكُمْ عَدَلَ ذَلِكَ لَهُ ثَوَابَ سَبْعِينَ حَجَّةً بَعْدَ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ وخَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ زِيَارَتِكُمْ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ...**"[1].

هذا الحديث فاسد السند كما هو فاسد المتن، فراويه الأول «**عبد الله بن محمد البلوي**» ضعّفه علماء الرجال واعتبروه كذّابًا ووضّاعًا وطعنوا به وقالوا: لا ينبغي الاعتناء بحديثه. وقد روى عن «**عمارة بن زيد**» الذي صرّح علماء الرجال بشأنه أنه رجل لا وجود له وأن ما نُسب إليه من روايات كله كذب. حتى أنهم لما سألوا «**عبد الله بن محمد البلوي**» من «**عمارة**» هذا الذي تروي عنه؟ فقال: رجلٌ نزلَ من السماء فحدَّثني ثم عَرَجَ!![2].

والراوي التالي هو **أبو عامر وَاعِظُ أَهْلِ الْـحِجَازِ** وهو مجهول الحال ومهمل.

فبالله عليكم! لاحظوا كيف امتلأت بلاد الشيعة من القباب المطلية بالذهب والأضرحة والأفنية والأروقة المبنية على القبور وكيف وُقِفَتْ الأوقاف على القبور استنادًا إلى مثل هذا الحديث المتهافت -وهو بالمناسبة الحديث الوحيد الوارد في تعمير القبور- الذي يرويه كذاب وضّاع عن شخص معدوم عن شخص مجهول! أوقاف ذات عائدات هائلة أُوقفت ليُنفق ربحها على صيانة تلك المزارات ولكي يسترزق منها جماعة من الطفيليين العالة على المجتمع في حين أن أكثر الناس لا يجدون قوتهم وأن البلد من أكثر البلدان تخلّفًا وتأخرًا من الناحية الصناعية.

والعجب من العلماء الذين ينقلون في كتبهم مثل هذا الحديث الفاضح!! وانظروا أي مصائب حلّت بالإسلام من ورائه، إذ ظنّ من جاء بعده من المسلمين أن هذه القباب والأضرحة وما فيها من الزينات والتشكيلات ليست بلا سند [وأن لها دليلا من قول الإمام الصادق]. لقد افترى «أبو عامر» المجهول هذه الرواية على الإمام الصادق عليه السلام كي يخدع بها العوام الذين لا علم لهم بكتاب الله، ولكن حبل الكذب قصير وسرعان ما يكتشف كذبه،

---

(١) الشيخ الطوسي، «**تهذيب الأحكام**»، ج٦، ص ٢٢٧.

(٢) رجال العلامة الحليّ، ص٢٤.

فإن هذا الراوي لم ينتبه إلى أن قبر أمير المؤمنين عليه السلام كان مخفيًا زمن الإمام الصادق عليه السلام ولا أثر له! ولا يعلم أحد على وجه الدقة مكانه، وبالتالي فلم يكن له بناء حتى يُعمَّر وحتى يشترك من يعمّره مع سليمان في الأجر والثواب!!

وأما **متن الحديث** فإنه يشجع الناس على الذهاب إلى مجاورة قبر الإمام والتعطّل عن الكسب والعمل والصناعة مما يجعل البلاد بحاجة للأجانب ويجعل أهلها مستهلكين فقط، كما كان الشعراء ومدّاحو السلاطين يروّجون لهذه الخيانة أيضًا. من ذلك ما ورد في ديوان غزليات حافظ الشيرازي:

قبر امام هشتم و سلطان دين رضا　　　از جان ببوس و بر در آن بارگاه باش

أي: قبر الإمام الثامن وسلطان الدين «الرضا»

قبِّلْهُ من روحك وكن عند باب تلك العتبة

لقد ظن الشاعر أن الدين له شاه وسلطان وبلاط وأن كل من ذهب إلى بلاطه وجاور عتبته حصل على عين ثواب من ساعد سليمان في بناء بيت المقدس، وثواب سبعين حجة، هذا في حين أنه ليس لدينا أي دليل شرعي قويم واحد يدل على أن المشاركة في بناء بيت المقدس تعادل ثواب حجة.

أجل، لقد رغّب هذا الحديث الموضوع الناسَ بعمل لا طائل تحته وشجّع الناس على المعاصي قائلاً إنكم لو زرتم قبر الإمام الفلاني غُفرت لكم ذنوبكم ورجعتم كيوم ولدتكم أمكم!! إذا كانت الذنوب تُغفر بهذه السهولة فلا خطر في ارتكاب كل جرم إذ إن زيارة واحدة ستزيح عن كاهلنا عقاب ذلك الجريمة، وعندئذ فلماذا الخوف من يوم الجزاء والحساب، ولا بد أن جهنم خاصة بمن ليس لديهم مقابر وقباب وعتبات وأضرحة!! لو كان تعمير القبور مهمًا وله كل هذه الفوائد ولو كان مشروعًا أصلاً فلماذا لم يقم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببناء قبر عمّه «حمزة» سيد الشهداء أو ابنه «إبراهيم» أو سائر الشهداء، ولم يضع على قبرهم لبنة واحدة، وهل علينا أن نقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونتبع سنته أم نتبع سنن الملوك الذين يخدعون العوام؟

مسألة تعظيم الأموات وزيارة القبور

ينبغي أن نعلم أن مسألة الاهتمام بالأموات مسألة قديمة في الأمم السالفة وكان لها عندهم طقوس و شعائر وآداب خاصة فيدفن الميّت ويوضع ما يلزم من الطعام والمصابيح في غرفة الأموات وكانوا يظنون أن رضا الأموات أو سخطهم ودعاءهم للأحياء أو لعنهم لهم يؤثر في الأحياء، وقد جاء في كتاب «تاريخ جامع اديان» (أي التاريخ الجامع للأديان) تأليف «جان ناس» أن بعض الأقوام القدماء كانوا يعتقدون أن السماء بَلَدٌ مسكونٌ مثل الأرض وأن فيها الأشجار والأنهار وتعيش فيها أرواح الأموات التي يمكنها أن تأتي إلى الأرض وتلتقي في الرؤيا ببني آدم وإذا جاؤوا إلى أحد في منامه فلا بد عليه أن يهيّئ لهم طعامًا يأخذه إلى قبرهم ويشعل لهم فيه نارًا. وكان الآريون القدماء يحترمون أرواح الأجداد إلى حد التمجيد، وكذلك كان الطورانيون، وتمارس بعض الأديان كالبراهمة في الهند والبوذية في الصين آداب وطقوس مفصلة أكثر تجاه الأموات، وكان الهندوس يحملون زوجة الميت بزينتها على محمل إلى جانب جثمان زوجها لتحرق معه. وكانت بعض الملل الأخرى تضرب أعناق عبيد وإماء الميت كي يكونوا أعوان سيِّدهم في العالم الآخر! وخلاصة الكلام أن الأمم القديمة كانت تخاف الأموات وترجوهم.

لما ظهر دين الإسلام، دين التوحيد الخالص، كان العالم غارقًا في ظلمات الجهل والأوهام لذا بدأ بمحاربة الأوهام منذ فجر دعوته وأمر المؤمنين أن لا يتّكلوا على أحد سوى الله سبحانه وألا يعتبروا أحدًا سوى الله مؤثرًا في تقدير الأمور، وألا يعتقدوا في أحد أنه قاضي الحاجات وباب الحوائج سوى الله تعالى، وأن يعلموا أن لا وسيلة توجب النجاة سوى العلم والإيمان والعمل الصالح، فيجب أن لا يتوسَّل المؤمنون إلى الله بشيء سواها وألّا يعتبروا أحدًا سوى رب العالمين مؤثرًا حقيقيًا في هذا الوجود. ونهى الإسلام في بداية أمره عن زيارة الأموات ولم يسمح بذلك فيما بعد إلا لأجل العزة والعبرة ونهى النساء مطلقًا عن زيارة القبور كما جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «**لَعَنَ اللهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ**»[1]، كما نهى عن تعمير

(١) الحديث رواه: الترمذي وابن ماجه في سننهما وأحمد في مسنده، وقال الترمذي: وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن ابن عباس قال:

القبور وتزيينها، كما جاء في دعاء الجَوْشَن الكبير ومناجاة الله: «**يَا مَنْ فِي الْقُبُورِ عِبْرَتُهُ**».

ولكن مع الأسف سرت إلى المسلمين شيئًا فشيئًا روح عبادة الأوهام وعادت إليهم العادات الشركية وانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٥].

وقد قال الله العليم بعباده: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٤٥﴾ [الزمر: ٤٥]، أي إذا ذُكر الذين من دون الله كأرواح الأموات وأرواح الأولياء والأنبياء وغيرهم استبشروا بها.

الحفاظ على توحيد العبادة وأن لا يرجوا الإنسان غير الله أمر في غاية الصعوبة، ولم يكن المؤمنون في صدر الإسلام يتردَّدون إلى زيارة القبور وإذا فعل أحدهم ذلك تعرّض إلى اللوم.

وفي آخر ساعات عمره الشريف توجّه رسول الله إلى ربِّه داعيًا متضرِّعًا وقال: «**اَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[1] لأنه كان يعلم أن روح عبادة الأموات راسخة في نفوس الناس وكان يخشى أن تُبتلى أمته بذلك. ولم يطل الزمن مع الأسف الشديد حتى قام محترفو الدين الذين يتخذونه حانوتًا يتكسّبون به، ببناء مئات القباب والعتبات المزينة بالزخارف والمرايا التي تخدع العوام على قبور الأموات واخترعوا الثواب العظيم على شدِّ الرحال إلى زيارتها

«**لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذَاتِ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ**». انظر مصنف ابن أبي شيبة: ج٢، ص ٢٦٩. (المُتَرْجِمُ)

(١) روى الشيخ **الصدوق** في «**علل الشرائع**» بسنده عن زرارة عن أبي جعفر ؈ قال: قلت له الصلاة بين القبور؟ قال: "صلِّ في خلالها ولا تتخذ شيئًا منها قبلةً، فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك وقال: «**ولا تتخذوا قبري قبلةً ولا مسجدًا فإن اللهَ تعالى لَعَنَ الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد!**»". «**علل الشرائع**»، باب العلة التي من أجلها لا تتخذ القبور قبلة، (ج ٢، ص ٣٥٨)، وروى الصدوق نحوه أيضًا في كتابه «من لا يحضره الفقيه» (ج١، ص ١٧٨) باختلاف يسير. (المُتَرْجِمُ)

ومن طرق أهل السنة أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**اَللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُصَلَّى له، اشْتَدَّ غضبُ اللهِ على قَومٍ اتخذُوا قُبُورَ أنْبِيائِهِم مَسَاجِدَ**». المنصف لابن أبي شيبة: ج٢، ص٢٦٩. (المُتَرْجِمُ)

وأوقفوا لها الأوقاف ونذروا لها النذور إلى حدِّ أن أحد المتصدِّين لأمور الأوقاف ادَّعى أن ربع أملاك إيران موقوفة على قبور الراحلين. ورغم أن كل العائدات التي تأتي من هذه البدع غير شرعية ومحرّمة وأنه يتم أخذ ملايين التومانات شهريًّا في كل قرية باسم الآجار أو حقّ التنازل (خلو الرجل أو الفراغة)، فإن القليل منها يُصرف على تعمير القبور وسائر ما يتعلق بها من البدع في حين تُصرف البقية على القرّاء في المآتم وعلى مصاريف متولي شؤون المقابر والقائمين عليها والأمناء والمستأجرين ونتيجة لذلك يزداد الضغط يومًا بعد يوم على الفقراء والمساكين وتزداد ديونهم ومشاكلهم. ولهم أيضًا دخْل كبير من بيع القبور المجاورة للإمام أو ذراريه وقد بلغ سعر بعض هذه القبور مئات آلاف بل ملايين التومانات.

كل عدة سنوات يتم بيع الأشياء الثمينة مثل السجاد والثريات والذهب والمراوح وغيرها من النذور والهدايا المقدَّمة لقبر كل إمام أو حفيد الإمام بالمزاد العلني لتُصرف أثمانها في مصارف باطلة إضافة إلى الأموال النقدية التي تُرمى داخل الأضرحة أو التي تعود من الأملاك الموقوفة وأكثر قبور ذراري الأئمة تلك بل جميعها تمتلك مثل تلك العائدات، كقبر المعصومة في قم الذي يدر كل شهر ملايين التومانات من الأموال النقدية أو من عائدات الأوقاف غير الشرعية. هذا، في حين أن أكثر الشعب لا يجد قوت يومه وضروريات حياته وأكثر القرى لا تمتلك الماء وتمد الحكومة أيديها إلى الخارج لأجل إبرة أو برغي وحزقة. أليس من الحماقة أن يتم صرف تلك الأموال الطائلة على القبور أو وقفها عليها؟ جاء في صحيفة «كيهان» العدد ٨٦٤٢ الصادر بتاريخ ١٧/ ٢/ ١٣٥١ هـ. ش. أن «الحاج السيد حسين ملك» الذي بلغت قيمة أمواله الوقفية ثلاثة مليارات تومان! أوقف السنة الماضية أربعمائة مليون تومان المتبقية من أمواله والموجودة في متحف «مَلك» على شكل عملات مسكوكة ولوحات زيتية وسجاد وكتابات خطية للملوك وأشياء عتيقة على العتبة الرضوية المقدّسة... وهذه الأموال والأملاك ستُصرف على مصاريف وملذات متولّي تلك القبور من الطفيليين العاطلين عن العمل.

علمًا أن وقف الأوقاف ونذر النذور على قبور الأموات بدعة وعمل مخالف للشرع.

ونتيجةً لهذه الأوقاف أصبح كثيرٌ من الأراضي الموات التي يتم وقفها تُبَاع أو تُؤَجَّر بعد أخذ خلو رجل (فراغة) باهظة، أي لو استأجر أحدهم مائة متر من الأرض الموقوفة فعليه أن

يدفع مثلاً مائة ألف تومان خلو رجل دون أن يحصل على أي وصل إضافة إلى الإيجار السنوي الذي عليه أن يدفعه. أليس هذا ظلمًا؟ في نظرنا إن موقوفات إيران ليست من الباقيات الصالحات بل معظمها من الباقيات الطالحات، ويشهد الله أن عديدًا من أوقاف القبور تُصرف مواردها على أمور لا ترضي الله ولا رسوله. هذا، رغم وجود عشرات الأحاديث في حرمة أو كراهة هذه الأعمال لاسيّما الأحاديث الناهية عن تعمير القبور أو تزيينها أو الاعتكاف فيها، فضلاً عن وقف الأملاك عليها مما يكون إثمه أكبر.

ويا ليت أولئك الأغنياء الذين يوقفون أموالهم على تلك العتبات ويساعدون الطفيليين على المزيد من الانغماس في الملذات والشهوات وزيادة الفساد في المجتمع يومًا بعد يوم، أن ينفقوها لوفاء ديون الغارمين وتزويج الأيامى والعزّاب. هذا فضلاً عن الأضرار الأخرى الناجمة عن تلك الأعمال مثل ابتلاء المجتمع بالشرك والخرافات.

وكما نقل المرحوم قلمداران عن كتاب «**الذكرى**» للشهيد الأول فإن وضع قطعة قماش على قبر نبي الله ﷺ لا دليل شرعي عليه، وتركه أولى، كما لم يكن عليٌّ عليه السلام يجيز المبالغة في بناء المساجد حيث نقرأ: «**عَنْ عَلِيٍّ** عليه السلام **أَنَّهُ مَرَّ عَلَى مَنَارَةٍ طَوِيلَةٍ فَأَمَرَ بِهَدْمِهَا وَقَالَ: لَا تُرْفَعُ الْمَنَارَةُ إِلَّا مَعَ سَطْحِ الْمَسْجِدِ**»[1]. ونقول لفقهاء وعلماء عصرنا: لماذا لا تعلِّمون الناس كما فعل الشهيد الأول وتقولون لهم بأن هذه الزينات والزخارف والتزيين بالمرايا وأحجار المرمر والطلاء بالذهب إسراف وحرام وإتلاف للمال ويجب أن تُصرف الأموال على المنفعة العامة ويُساعد بها الفقراء والضعفاء. إذا كان رمي قطعة قماش فوق قبر رسول الله ﷺ إتلاف للمال، فما حكم تعطيل ملايين التومانات من الأموال برميها تحت القباب الذهبية للقبور؟

أجل، لقد راج شيئًا فشيئًا بناء مثل هذه القصور والزخارف على القبور وقراءة الجمل المشوبة بالعبارات الكفرية ودفع عوام الناس إلى التملّق والتزلّف إلى القبور، وأصبحت تلك الأمور في زماننا جزءًا من العقائد الأساسية للشيعة التي يُعدّ إنكارها كفرًا!! ولو نطق شخص بكلمة خلافًا لذلك لسارع محترفو الخرافات الدينية الذين اتخذوا الدين حرفةً

(١) وسائل الشيعة، ج٣، ص٥٠٥، باب كراهة طول المنارة.

وحانوتًا يتكسَّبون به إلى تكفيره متجاهلين جميع الأدلة العقلية والنقلية التي جاء بها ووجهوا له آلاف التهم حتى أصبحت محاربة هذه البدع ومجاهدة هذه الخرافات أصعب من مجاهدة عباد الأوثان وكل من أظهر الحق طُرد من المجتمع.

ذكرٌ لخاطِرَةٍ وبيانٌ لِفِكْرَةٍ

عندما كان كاتب هذه السطور في السجن[1]، قال لي أحد الشيوخ مُشيرًا إلى الآية ٢١ من سورة «الكهف» الشريفة ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾: كيف لا نبني ضريحًا على قبور أئمة أهل البيت الذين مقامهم أرفع من مقام أصحاب الكهف ولا نُجدِّد قبورهم في حين أن القرآن يذكر أنهم بنوا على أصحاب الكهف مسجدًا؟

فأجبته قائلاً: **أوَّلاً**: لقد ذُكرت في الآية الكريمة كلمة «يَتَنَازَعُونَ»، وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، لا بُدّ أن نتبيَّن: أيُّ الفريقين كان قوله موافقًا لتعاليم الله، وقد شرح آخرون كما فصّلتُ أنا في كتابي «**الخرافات الوافرة في زيارات القبور**» هذا الموضوع. ثم إن الفريق الأول الذين قالوا: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡ﴾ ذكروا الحق وذكروا اسم الله المبارك أما الفريق الثاني فلم يتمسكوا بأي دليل شرعي بل أرادوا مستبدّين برأيهم أن ينفذوا هذا الرأي ببناء المسجد على رفات أصحاب الكهف.

وأضفتُ قائلاً له: إنَّ النبيَّ الأكرم ﷺ وعَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كانا يعلمان بهذه الآية فلماذا لم يستنبطا منها ما تذكُرُهُ ولم يعملا بما تميل إليه، فلم يبنيا على قبر أحد ضريحًا ولا مسجدًا ولم يأمرا الناس بضرب القباب وبناء الأضرحة، بل تمَّ دفنُ بعض عظماء الإسلام سرًّا كي لا تتحول قبورهم إلى مزارات، كما نَهَيَا عن تعمير القبور وتزيينها؟ فهل مقام حمزة سيد الشهداء الذي استُشهد تحت لواء الرسول ﷺ أقل من «سيد نصر الدين» في طهران ولم يبنِ رسول الله ﷺ على قبره مزارًا؟!

---

(١) لا يخفى أن أحد أسباب غضب مسؤولي الدولة عليّ وسجنهم لهذا العبد الفقير هو تأليفي لعدد من الكتب من جملتها هذا الكتاب أي الإصدار الأول لكتاب «**الخرافات الوافرة في زيارات القبور**».

وثانيًا: جاء في الآية كلمة «**مسجد**» ولم تقل الآية: «**لنتخذنّ عليهم قبة وضريحًا ومزارًا**»!! فهل كلُّ هذه المقابر والقباب والأضرحة في إيران والعراق التي بُنيت على قبور الأئمة أو قبور أبنائهم وأحفادهم وبعضها يقع في أماكن نائية يصعب الوصول إليها ويتحمَّل المسافرون إليها متاعب جمة «مسجدٌ» أم شيء آخر؟ هل ضريح وعتبة الإمام الرضا في مشهد «مسجدٌ»؟

ثم قلتُ له: إن مقبرة «امام زاده زيد» في بازار (سوق) طهران و «امام زاده داوود» و«امام زاده عبد الله» و«امام زاده قاسم» و«سيد نصر الدين» و«امام زاده صالح» و... ليست بمسجد، فليس لدينا في المسجد «ضريح». هل يستأذن أحد قبل الدخول إلى المسجد ويقرأ صفحة كاملة من دعاء الزيارة ويقول: «**السلام عليك يا**....»؟ وهل يشدّ أحد الرحال من أصفهان إلى «مسجد الشاه» في بازار طهران ليُصلي فيه؟ هل ينطلق أحد من خوزستان ويسافر لأجل أن يُصلي في المسجد الأزرق في تبريز أو مسجد السلطانية في زنجان؟ هذا في حين أن كثيرًا من الناس يشدُّون الرحال لأجل زيارة مراقد الأئمة أو أولادهم أو أحفادهم لأنهم يعتبرون أن مراقد الأئمة شيء غير «المسجد»!

وقلتُ له أخيرًا: قمْ بتغيير مقابر الأئمة وذراريهم التي لا تخلو منها مدينة ولا قرية وأعدْ بناءها بما يتطابق مع أحكام الإسلام وأزلْ الضريح وأدعية الزيارات منها واجعلها مسجدًا بسيطًا فقط وخاليًا من الزخارف والزينات وانْهَ الناس فيها عن دعاء غير الله فسأكون أول من يصلي في هذه المساجد وأدعو لك بعظيم الأجر والثواب لأنك أصبحت من عمار المساجد.

تمحيص آداب الزيارة

قبل أن ندرس موضوع الزيارات يجب أن ننظر في أمر الآداب الخاصة بزيارة المراقد والمذكورة في كتب الدعاء وغيرها ونرى هل لها من مستند صحيح أم لا؟

توجد في الكتب الخاصة بالزيارات مثل «**مصباح المتهجِّد**» للشيخ الطوسي و«**مفاتيح الجنان**» للشيخ عباس القُمّيّ و«**بحار الأنوار**» للمجلسيّ وكتب ابن طاووس [مثل «**إقبال الأعمال**»] وكتاب «**كامل الزيارة**» لابن قولويه، مطالب وجمل وتعليمات تخالف العقل والشرع والتاريخ وهي من وضع الجهلة أو المغرضين. فمثلاً في فصل آداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام نسبوا إلى الإمام الصادق عليه السلام قوله: إذا أردت أن تدخل الحائر فادخل من الباب الشرقي، هذا

في حين أنه لم يكن هناك بناء على قبر الإمام الحسين عليه السلام في زمن الإمام الصادق عليه السلام، وبالتالي لم يكن هناك باب شرقي ولا غربي، بل إن كتابَيْ «**مفاتيح الجنان**» و«**بحار الأنوار**» عينهما يذكران أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**مَنْ نَظَرَ إِلَى قَبْرِ ابْنِهِ [الحسين] عِنْدَ رِجْلِهِ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ لَا حَمِيمَ قُرْبَهُ وَلَا قَرِيبَ... الحديث**» وسبب ذلك أنه لما لم تكن في ذلك الزمان أَيَّة علامة للقبر فكان صعبًا أن تجده لأنه لم يكن هناك حرم ولا قبة، فكيف قال الإمام ادخل من الباب الفلاني للمرقد؟!

أضف إلى ذلك أنه من القبيح جدًا أن يقول الإمام بأن كل من أتى إلى منزلنا أو حرمنا فعليه أن يُقبّل عتبتنا ويتمسّح بباب وجدرانها ويقبّلها، ويستأذن للدخول! وهي لم تكن موجودةً أساسًا. ثم إنه لا معنى لأن يقول الإمام: عليك بقراءة إذن دخول من صفحتين ثم ادخل رغم عدم صدور الإذن والسماح بالدخول بعد!

هل كانت هذه الأعمال من سنة عليّ عليه السلام وطريقته أنه كلما أراد أن يأتي إلى منزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يتلو صفحتين لإذن الدخول!!

إن أحكام دين الإمام والمأموم واحدة ولا فرق بينها، وفي الإسلام سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطريقته هي التي يجب اتّباعها، وليس طريقة الملوك الذين يحتاج من يريدون الدخول عليهم أن يستأذنوا للدخول ويقفوا ساعات للانتظار.

جاء في كتابَيْ «**بحار الأنوار**» و«**مفاتيح الجنان**» وغيرها من كتب الشيعة منسوبًا إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه ذكر أنَّ من آداب الزيارة، تقبيل عتبة الحرم والذهاب إلى قرب الضريح وتقبيله والتمسّح به! هذا في حين أن الأضرحة لم تُبنَ إلا بعد قرون من زمن الأئمة عليهم السلام وقد بناها سلاطين الجور والوزراء الخونة، فهذا يبين بوضوح أن هذه الروايات وُضعت في زمن أولئك السلاطين وإلا فإنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لم ينطقوا بمثل هذا الكلام. ولا ندري لماذا ابتدعوا كل هذه الطقوس والآداب باسم الدين؟

كما جاء في تلك الكتب أنَّ كلَّ مَن أراد الذهاب إلى الحرم فعليه أن يغتسل ويقف بجانب باب الحرم حتى يرقّ قلبه ثم يضع قدمه اليمنى وخده الأيمن على الضريح ومن آداب الزيارة أيضًا، أنه يجوز أن يستدبر القبلة ويستقبل قبر الإمام في صلاته!! **(ولاحول ولا قوة إلا بالله**

والله المستعان وإليه المشتكى، وأعوذبك يا الله من هذا الغلو) وأن يعطي لخدّام الحرم شيئًا من المال -أي يفتح مركزًا للتسوّل- وأن يتصدّق على الفقراء الموجودين هناك لأن ثوابه يكون مضاعفًا!! هذا مع أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِيْ قِبْلَةً**»، وطبقًا للأحاديث التي جاءت في كتاب «**الوسائل**» باب ٢٢ من أحكام الطواف أن أئمّة الإسلام قالوا: كل من نذر أو أوصى للكعبة أو المسجد الحرام فلا يجوز أن يعطي هذا النذر أو الوصية لخدّام الحرم أو حَجَبَة الكعبة حتى لا يُحوِّل حرم الله إلى مركز للتسوّل![1]

لقد وُضعت في كتب الدعاء والزيارة نصوص استئذان للدخول إلى الحرم والأروقة وآداب للزيارة منسوبة إلى الإمام كذبًا، وأوضح دليل على كذبها أنه لم تكن في زمان الأئمة عليهم السلام قباب وأروقة وحرم للقبور فلم تكن مثل تلك الأشياء قد بُنيت بعد بمال السلاطين الحرام. لماذا أضاف المجلسيّ والقمّيّ وابن طاووس هذه الآداب والأحكام التي ما أنزل الله بها من سلطان إلى دين الله؟ هم أنفسهم نقلوا في كتبهم عن «**محمد بن علي الشيباني**» أنه قال: ذهبتُ أنا وأبي وعمِّي ليلاً خفيةً سنة ٢٦٠هـ إلى زيارة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام ورأينا القبر وسط البادية قد وُضِعَ حولَه عددٌ من الأحجار السوداء، ولم يكن عليه بناء.

---

(١) إذا نذر أحدهم للكعبة نذرًا فبما أن الكعبة لا تحتاج إلى المال فعليه أن يُعطي هذا النذر للحُجَّاج الذين لا يملكون زاد السفر أو تعرّضوا إلى السرقة أو فقدوا مالهم وأضاعوه أو لمن هم فقراء من الأصل. جاء في كتاب «**وسائل الشيعة**» الباب ٢٢ من أبواب مقدمات الطواف عدّة روايات تُفيد أن الإمامين الخامس والسادس قالا: إن من نذر أو أوصى إلى الكعبة شيئًا فعليه أن يذهب إلى المسجد الحرام ويقوم على الحِجْر ويُنادي زوّار الكعبة أَلَا مَنْ قَصَرَتْ نَفَقَتُهُ أَوْ قُطِعَ بِهِ طَرِيقُهُ أَوْ نَفِدَ طَعَامُهُ فَلْيَأْتِ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ، **ولا يعطي ما نذره إلى الحَجَبة**. (انظر، **وسائل الشيعة**، أبواب مقدمات الطواف وما يتبعها، ٢٢-بَابُ تَحْرِيمِ أَكْلِ مَالِ الْكَعْبَةِ وَ مَا يُهْدَى إِلَيْهَا أَوْ يُوصَى لَهَا بِهِ وَ وُجُوبِ صَرْفِهِ فِي مَعُونَةِ الْمُحْتَاجِ مِنَ الْحَاجِّ **وَعَدَمِ جَوَازِ دَفْعِهِ إِلَى الْخُدَّامِ**، ج ٩، ص ٣٥٢، الحديث ١).

ويمكننا أن نستنتج - استنادًا إلى هذه الروايات - أن من نذر للمساجد المعمورة التي لا تحتاج إلى تعمير أو إصلاح، أو أوصى لها بمال، فعليه أن يدفع هذا المال للزائرين و رواد المسجد من الفقراء والمحتاجين، وأن لا يعطي ذلك المال لخدَّام المسجد و الحَجَبة. ولعل الحكمة في ذلك أن لا يزداد عدد الطفيليين الذي لا شغل لهم والذين يعملون في المساجد باسم الخدَّام والحَجَبة.

إذن حتى سنة ٢٦٠هـ التي توافق سنة وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام آخر أئمة الشيعة الظاهرين، لم يكن لمرقد أمير المؤمنين عليه السلام حَرَمٌ ولا قُبَّةٌ ولا رُوَاقٌ ولا فِنَاءٌ ولا صَحْنٌ، فلنا أن نسأل من السادة ابن طاووس والشيخ الطوسي والمجلسي والقمي لماذا أوردتم هذه الروايات المنسوبة إلى الأئمة عليهم السلام حول الرواق والحَرَم؟

ورد في كتابَيْ «**بحار الأنوار**» و«**مفاتيح الجنان**» في الزيارة المطلقة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إذا ظهرت قبّة الإمام فَقُلْ كذا، وإذا وصلتَ إلى باب النجف فاقرأ الدعاء الفلاني، وإذا وصلتَ إلى صحن الحرم فقل كذا، وإذا وصلت إلى الرواق فقل: «**يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُكَ**»!! فما معنى هذه التعليمات في الوقت الذي لم يكن في زمن الإمام فناء ولا باب ولا قبَّة؟ لا ندري متى وفي أي زمنٍ نُسبت هذه الأقوال إلى الأئمّة عليهم السلام ووُضعت على ألسنتهم؟!

فهل يجوز للسادة ابن طاووس والمجلسي والكفعمي والشهيد والشيخ الطوسي أن يضيفوا أشياء حسب ذوقهم إلى دين الإسلام سواء كان ذلك الأمر مستحبًا أم غير مستحب؟ ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حَلَالُ مُحَمَّدٍ حَلَالٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»؟[1]، كما قال: «**لَا رَأْيَ فِي الدِّينِ إِنَّمَا الدِّينُ مِنَ الرَّبِّ أَمْرُهُ وَ نَهْيُهُ**» (**وسائل الشيعة**، ج١٨، ص٤٠)، مما يعني أنه لا يحق لأحد أن يزيد على آداب وأحكام الدين أو ينقص منها؟

لقد أبعد الناس – للأسف– عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشْغلوهم بالبِدَع وغروهم بها. وقد رُوي عن الإمام عليّ عليه السلام في الكافي قوله: «**السُّنَّةُ مَا سَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْبِدْعَةُ مَا أُحْدِثَ مِنْ بَعْدِه**»[2].

وللأسف اخترع العلماء والمتقدّسون هذه الآداب لإظهار محبتهم للأئمة عليهم السلام وحسبوا أنهم يحسنون صنعًا. وظن اللاحقون استنادًا إلى حسن ظنهم بهؤلاء السابقين أن تلك الأعمال هي فعلاً من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجزءًا من الدين، فمثلاً ذكروا في زيارة أئمَّة البقيع أنه

---

(١) رواه الشيخ الكُلَيْنِيّ في الكافي بسنده عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ فَقَالَ: «**حَلَالُ مُحَمَّدٍ حَلَالٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَكُونُ غَيْرُهُ وَلَا يَجِيءُ غَيْرُهُ وَقَالَ: قَالَ عَلِيٌّ** عليه السلام: **مَا أَحَدٌ ابْتَدَعَ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكَ بِهَا سُنَّةً**». (**أصول الكافي**، ج١، ص٥٨، الحديث رقم ١٩) (المُتَرْجِمُ)

(٢) **بحار الأنوار**، الطبعة الجديدة، ج٢، ص٢٦٦، حديث ٢٣. (المُتَرْجِمُ)

عند دخولك حَرَمِهِم: اقرأ إذن الدخول وقُلْ لهم كذا وكذا، مع أنه لو كان الإمام قد قال للراوي فعلاً مثل هذا الكلام لكان من الطبيعي أن يسأله الراوي أيُّ حرم؟

وكذلك كتبوا في زيارة قبر رسول الله ﷺ أنه إذا ذهبتَ إلى زيارة رسول الله فقبّل منبره وافعل كذا وكذا عند عمود «حنانة» وامسح العمود بعينيك فإذا وصلت إلى باب جبريل ووقفت تحت الميزاب فقل كذا وكذا، فكأنَّهم يتصوَّرون أن رسول الله ﷺ رحل حديثًا عن الدنيا وأن باب بيته والميزاب والمنبر والعمود هي عينها التي كانت في زمانه ﷺ؟! ويبدو أنهم لم يقرؤوا التاريخ ولم يفكِّروا ولو ساعة أن الباب والعمود والميزاب والمنبر وسواها التي كانت زمن رسول الله ﷺ قد زالت منذ أكثر من ألف عام وهُدمت وجُدّد بناؤها مرات عديدة، فليت شعري! هل أوكل اللهُ تعالى إلى هؤلاء أمرَ دينِهِ -والعياذ بالله- حتى يضيفوا إليه كلَّما أرادوه؟!

الآن نبدأ بتمحيص متون وأسانيد نصوص الزيارات لنرى هل تتَّفق مضامينها مع أحكام الإسلام وتعاليم القرآن أم لا؟ فإذا لم تتوافق مع القرآن كان ذلك دليلاً كافيًا على أنها موضوعة مُخْتَلَقَة.

جُمَلُ الزيارات وآيات كتاب الله

للإجابة عن هذا السؤال نبدأ بدراسة متون نصوص الزيارات، ولكن لما كانت بعض تلك الزيارات طويلةً جدًا وكان التحقيق في جميع جُمَلِهَا يطول فإننا سنضطرُّ إلى الإشارة إلى بعض جملها فقط ويُمكن للقرّاء أن يُراجعوا القرآن في الموارد الأخرى ويُقارنوا متون الزيارات بكتاب الله سبحانه.

١- ذكر المجلسيُّ في كتاب «**المزار**» من «**بحار الأنوار**» في باب «**زيارة النبيّ وسائر المشاهد في المدينة**»[1] [نقلاً عن كتابَي علل الشرائع وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق] عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِذَا حَجَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَخْتِمْ حَجَّهُ بِزِيَارَتِنَا، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْحَج**»!

---

(١) قمنا في أغلب هذا الفصل بتمحيص روايات «**المجلسي**» في «**بحار الأنوار**» لأن المطالب التي ذكرها موجودة في كتب سائر محدثي الشيعة أيضًا.

وهنا نتساءل: **أولاً**: عندما كان النبيُّ ﷺ أو الإمامُ يحجُّ فإلى زيارة قبر أيِّ إمام كان يذهب؟! وهل هناك فرق بين حجّ الإمام وحجّ المأموم؟ ولماذا لم يُبيِّن الله تعالى في كتابه شرط كمال الحجّ هذا؟

ثانيًا: لم يكن الإمام مُتكبّرًا حتى يجعل من زيارة قبره إتمامًا للحجِّ، خاصَّةً أن الله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ويقول أيضًا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

ثالثًا: لو أن الإمام قال مثل هذا الكلام حقًّا، فإنَّ قصده كان أن يزوره الناس ليستفيدوا من علمه حال حياته، وليس قصده أن يزوروا قبره، ولكن الرواة أخطؤوا واعتبروا أن هذا الكلام دليلٌ على وجوب زيارة قبر الإمام!!

هل من الممكن أن يكون أئمة الهدى من آل الرسول ﷺ قد علَّمونا تلك الزيارات المملوءة بالغُلوّ في حقِّهم والمبالغة في المديح والإطراء إلى حدّ أن ثلاثة مجلدات من «**بحار الأنوار**» خُصِّصت لها، يَدْعُونَ الناس فيها أن يأتوا إلى قبورهم ويخشعوا أمامها ويُمجِّدوهم بتلك العبارات المغالية كي يُرضوهم فيشفعوا لهم في المحكمة الإلهية؟!

٢- روى المجلسيُّ في الباب ذاته [نقلاً عن كتاب «**قُرب الإسناد**» للحميري] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ زَارَنِي حَيّاً وَ مَيِّتاً كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَة**». يُفهم من هذا الحديث أنَّ اختيار الشفيع وانتخابه بيد الزوّار، هذا في حين أن الله تعالى جعل اختيار الشفيع حقًّا خالصًا له وسلب عن الخلقِ هذا الحقَّ، وقال بشأن شفاعة الملائكة: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ٢٦﴾ [النجم: ٢٦]. وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبا: ٢٣]، وكما قال الشاعر:

اگر خدای نباشد ز بنده‌اش خشنود   شفاعت همه پيغمبران ندارد سود[١].

---

(١) من المناسب هنا أن أنقل بعض الفقرات من كتاب «العدل الإلهي» للشيخ مرتضى المطهّري، هذا رغم أن رأيه في موضوع الشفاعة غير صحيح في بعض الموارد لأنه لا يذكر الآية الكريمة حتى آخرها، كما يفعل سائر مشايخ الشيعة (انظر ص٢٨٣ من الطبعة العاشرة لكتابه العدل الإلهي)، ولكن مع ذلك فقد ذكر

مطالب ممتازة حول الشفاعة جديرة بالانتباه إليها، إذ يقول:

"الشفاعة المرفوضة بأدلة عقلية ونقلية إنما هي التي تعني أن يجد المجرم وسيلة ينفذ بها إلى الحكم الإلهي ويحول دون تطبيقه، تمامًا كما يحدث في المجتمعات البشرية المتخلفة من لعب بالقانون بنفوذ الوساطة.

يظن كثيرٌ من عامَّة الناس يتوهَّم أنَّ شفاعة الأنبياء والأئمَّة –عليهم السلام– إنما هي من هذا النوع؛ إذ يظنون أن النبيَّ ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والزهراء والأئمة الأطهار –لاسيما الإمام الحسين عليه السلام– لهم نفوذ في الساحة الإلهية وهم يستغلون نفوذَهُم لتغيير إرادةَ الله ولنقض قوانينه.

وهذا هو التصور ذاته الذي كان للعرب زمن الجاهلية تجاه أصنامهم التي جعلوها شركاء لِـلَّهِ، إذْ كانوا يقولون إن الخلْق منحصر بيد الله ولا شريك له فيه، ولكن الأصنام تشارك الله في إدارة الكون، فشرك عرب الجاهلية إذن لم يكن شركًا في «الخالق» أو «الخالقية» بل كان شركًا في «الربّ» أو «الربوبيَّة».

أحيانًا يحصل في حياة المجتمعات البشرية أن يقوم أحد الناس بإنشاء مؤسَّسة ثمَّ يسند أمر إدارتها إلى شخص آخر، أو يشترك هو في لجنة تتولى أمر إدارتها. كانت عقيدة المشركين في الله والعالم وإدارته على ذلك النحو. وقد حارب القرآن الكريم هذا الشرك بشدَّة وأعلن مرارًا أنه ليس لِـلَّهِ شريك في الخلْق والإيجاد كما لا شريك له في الأمر والتدبير والربوبية، فهو وحده الذي ابتدع العالم وهو وحده المدبّر له. هو وحده ملك الناس وهو وحده ربّ العالمين.

كان المشركون الذين يتخيلون أن «ربوبية الكون» مقسمة بين الله وغيره، لم يروا من اللازم جلب رضا الله وحبه، بل قالوا إننا نستطيع بواسطة تقديم القرابين للأصنام وعبادتها أن نرضي الأرباب الآخرين ونكسب حبهم، حتى ولو كان ذلك مخالفًا لرضا «الله»، إذ أننا لو استطعنا الحصول على رضا تلك الأصنام الآلهة فإنها تستطيع أن تدبِّر لنا الأمر وترتِّب لنا وضعنا مع «الله» وتؤمّن لنا إرضاءه بنحو من الأنحاء!

إذا وُجد بين المسلمين من يعتقد بمثل هذا الاعتقاد بأنه إلى جانب نظام السلطة الربوبية الإلهية، توجد سلطة أخرى تمتلك القدرة على التصرف مثلها، فإن ذلك شرك لا شبهة فيه. وإذا ظن أحد أن طريق الحصول على رضا الله تعالى هو غير طريق الحصول على رضا الإمام الحسين مثلاً وأن كلاً من واحد من هذين يستطيع وحده أن يؤمِّن سعادةَ الإنسان، فهو لا شك واقعٌ في ضلال مبين. هذا الظن الخاطيء سيجر إلى القول بأن الله ترضيه أشياء والإمام الحسين عليه السلام ترضيه أشياء أخرى؛ فمثلاً الله يرضى عن العبد إذا أدّى فرائضه من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد وصدق وأمانة وخدمة للخلق وبرّ للوالدين وأمثالها وَتَرَكَ المعاصي مثل الكذب والظلم والغيبة وشرب الخمر والزنا، أما الإمام الحسين عليه السلام فلا شأن له بمثل هذه الأعمال والوصول إلى رضاه يتم بأن يبكي الإنسان على ابنه علي الأكبر أو على الأقل يتباكى! ويستنتج من هذا التقسيم أن تحصيل رضا الله صعب للغاية لأنه لا يحصل إلا بأعمال متعددة وعسيرة، في حين أن الحصول على رضا الإمام الحسين عليه السلام سهل إذ يتم من خلال البكاء ولطم الصدور.

أي:

إن لم يكن الله راضيًا عن عبده   لم تنفعه شفاعة جميع الأنبياء.

وأضيف قائلاً [في نقد متن هذه الرواية]:

أولاً: لو استحقَّ الإنسان الشفاعة لمجرَّد زيارته لقبر فيجب أن تشمل شفاعة رسول الله ﷺ جميع أصحابه الذين زاروه حال حياته وجميع الفسّاق والفجّار الذين زاروا قبره وقبر الأئمة فيما بعد وأن يدخل جميعهم الجنة بشفاعتهم. وبالتالي فإن القرآن والعقاب والحساب ستصبح كلُّها لغوًا!!

ثانيًا: تُبيِّنُ آياتُ القرآن الكريم، -خلافًا لما يتخيله عوام الناس-، أن الله تعالى لم يعطِ أفراد البشر حتى الأنبياء الإذن المطلق بالشفاعة لمن يريدون، ولا توجد آيةٌ تصرّح بإذن الله المطلق

وعندما يحصل على رضا الإمام الحسين عليه السلام فإنه يتوسط له في نظام الله ويشفع له ويسيِّر له أمره، بل يمكنه حتى أن يصفي له حساب الصلوات والصوم والحج والجهاد والإنفاق في سبيل الله التي لم يقم بأي شيء منها ويمحي له جميع الذنوب والآثام بجرّة قلم كما يُقال.

مثل هذا التصور للشفاعة ليس باطلا فحسب بل هو شركٌ في الربوبية وإهانةٌ لشخصية الإمام الحسين عليه السلام الذي كان يفتخر بعبوديته الكاملة لِلَّهِ سبحانه وتعالى ويتبرأ إلى الله من هؤلاء، كما كان أبوه شديد الغضب جدًا على «الغلاة» الذين رفعوه فوق منزلته ونسبوا إليه ما ليس فيه ويستعيذ بالله من أقاويلهم ويتبرأ إلى الله منهم. إن الإمام الحسين عليه السلام لم يُقتل كي يُنشئ – والعياذ بالله- نظامًا ندًا لنظام الله تعالى أو أن تكون له شريعة في مقابل شريعة جدِّه أو ليفتح طريقًا للهروب من قوانين الله عز وجل. لم يستشهد الحسين من أجل إضعاف القوانين القرآنية أو البرامج العملية للإسلام، بل على العكس إنما نهض لإحياء الدين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وضحَّى بنفسه وتقدّم نحو الشهادة لإحياء شرعة الإسلام". انتهى.

قلتُ: فأنصف أيها القارئ العزيز! هل صيغت أدعية الزيارات الموجودة إلا على أساس ذلك التصوُّر الشركيّ؟ وهل رأيتَ حتى الآن قارئًا للمراثي أو مدّاحًا على المنبر يقول كلامًا مغايرًا لذلك التصوّر الذي اعتبره المطهّري باطلاً أو رأيته يخالف ذلك التصوّر ويحاربه ويبين للناس أنه خلاف للشرع؟!

أجل، ينقل مؤلف «العدل الإلهي » في موضع آخر من القسم ذاته من كتابه هذا عن المجلد الثاني لشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جزءًا من خطبة النبيّ -صلى الله عليه وآله- التي قالها في أواخر عمره: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ وَلَا أَمْرٌ يُؤْتِيهُ بِهِ خَيْرًا أَوْ يَصْرِفُ عَنْهُ شَرًّا إِلَّا الْعَمَلُ أَلاَ لَا يَدَّعِيَنَّ مُدَّعٍ وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ مُتَمَنٍّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ لَا يُنَجِّي إِلَّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ، وَلَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْتُ. اَللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ**»؟

لأحد بأن يشفع لمن يشاء، بل لقد نفى الله الشفاعة [بهذا المعنى] يوم القيامة حتى للمؤمنين إذ قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَـٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَـٰعَةٞۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ثالثًا: لقد حصر بعض آيات القرآن الشفاعةَ بالله تعالى كقوله: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [السجدة: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٤٤﴾ [الزمر: ٤٤].

رابعًا: إذا كانت بعض آيات القرآن التي تتحدَّث عن شفاعة الملائكة تفيد أن الله أعطاهم الإذن بذلك، فلا يمكن أن نقيس على ذلك الأنبياء والأولياء، فمثلاً يذكر القرآن أن الملائكة تقبض أرواح بني آدم في حين أنه لا يمكن القول بأن الأنبياء والأولياء أيضًا يقومون بمثل ذلك. أضف إلى ذلك، أن شفاعة الملائكة والأنبياء والأولياء ليست سوى الرحمة الإلهية التي يتم إبلاغها للمشفوع له عبر الملائكة وربما الأنبياء والأولياء. لأن الله تعالى هو الوحيد البصير بعباده والخبير بأعمالهم وتصرّفاتهم، وآيات القرآن تدلُّ على هذا الموضوع بكلِّ وضوح.

٣- وذكر المجلسيُّ في الباب ذاته [نقلاً عن كتاب علل الشرائع للشيخ الصدوق] حديثًا منسوبًا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ أَتَى مَكَّةَ حَاجّاً وَلَمْ يَزُرْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ جَفَوْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ جَاءَنِي زَائِراً وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي وَمَنْ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ**»!. فانظروا كيف اتّهم هذا الراوي الكاذب الوضَّاع رسولَ الله ﷺ بأنه سيجفو كل من لم يأتِ إلى زيارته، فهل رسول الله ﷺ مجحف جافٍ حتى يتوعَّد كلَّ من لم يأت إلى زيارته بأنه سيجفوه يوم القيامة؟ حاشاه من ذلك، ولا أظن أن يقبل ذلك عاقل بشأن الرسول الكريم الذي وصفه ربُّهُ بأنه ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] و﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التوبة: ٢٨].

أضف إلى ذلك، أن هذه الرواية تذكر أن كلَّ من شفع له رسول الله ﷺ وجبت له الجنة، أي أن الله مجبر على قبول شفاعة رسول الله ﷺ بحقِّ كلِّ شخص وأن يدخله الجنَّة بذلك، وهذا قلبٌ لمفهوم الشفاعة القرآني، إذْ إن القرآن الكريم يبيِّن لنا بأوضح العبارات أن الله تعالى هو صاحب الشفاعة وليس مطيعًا في شأنها لأحد بل يقول لرسوله: ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ

كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ [الزمر: ١٩]، فمتن هذا الحديث مخالف للقرآن ويجرِّئُ الناس على الذنوب و يغريهم بالمعاصي.

٤- وذكر المجلسيُّ في الباب ذاته [نقلاً عن كتاب «**كامل الزيارة**» **لابن قولويه**[١]] حديثًا آخر منسوبًا إلى رسول الله ﷺ قال فيه: «**مَنْ مَاتَ فِي أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ- مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةِ لَمْ يُعْرَضْ إِلَى الْحِسَابِ، وَمَاتَ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَحُشِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ أَصْحَابِ بَدْرٍ**»!.

وهذه الرواية تخالف قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾ [الأعراف: ٦]، فهل رسول الله ﷺ الذي تُوفِّيَ في المدينة يُعرض إلى السؤال والحساب أم لا؟ القرآن يقول إنه حتى المرسلين سيُسألون، فما بالك ببقية الناس! في رأينا إن هدف الوضَّاعين من اختلاق هذه الأحاديث أن يصبح القرآنُ وتعاليمه مهجورةً.

٥- وذكر المجلسيُّ والحُرُّ العامليُّ في الوسائل (ج ١٠، الباب التاسع عشر الموسوم بباب «**استحباب النزول بالمعرّس**[٢] **لمن مرّ به**») حديثًا جاء فيه أن رسول الله ﷺ نزل في منزل بين المدينة ومكة وعرّس بإحدى زوجاته[٣]، ثم أخذه النوم حتى طلعت الشمس فصلّى الفجر

---

(١) معظم الروايات التي أوردها المجلسي في كتاب «**المزار**» منقول عن كتاب «**كامل الزيارة**» لـ«**ابن قولويه**» لذا يجدر بنا أن نعرِّف القارئ عليه: فهو الشيخ أبو القاسم، جعفر بن محمد بن جعفر **بن قولويه القمِّي**، من أبرز الشخصيات بين رواة الشيعة في القرن الرابع الهجري، ويُعَدُّ من أشهر تلامذة محمد بن يعقوب الكُلَيْنِيّ صاحب «**الكافي**»، ومن أبرز مشايخ الشيخ المفيد، ولد في قم وتوفي فيها سنة ٣٦٧ هـ، ومن أشهر مؤلفاته: «**كامل الزيارات**» المليء والمشحون بالروايات الضعيفة والموضوعة. (الُمتَرْجِمُ)

(٢) جاء في حاشية «**وسائل الشيعة**» للحُرِّ العامليِّ (ط. مؤسسة آل البيت، ١٤١٤هـ) نقلا عن معجم البلدان (٥/ ١٥٥): "**المعرّس**: مسجد ذي الحليفة، كان رسول الله ﷺ يعرِّس فيه ثم يرحل لغزاة أو غيرها **والتعريس**: **نومة خفيفة**". (الُمتَرْجِمُ)

(٣) ليس في أحاديث الباب التي رواها المجلسيُّ في «**البحار**» ولا الحُرُّ العامليُّ في «**الوسائل**» أي إشارة إلى أن رسولَالله ﷺ جامع أهله أو بنى بإحدى زوجاته في ذلك المكان، ومن الواضح أن المؤلِّف البرقعي -رحمه الله- اشتبه عليه المعنى العربي لألفاظ الحديث وخلط بين لفظ «**التعريس**» الذي معناه: نزول القوم من السفر آخر الليل للاستراحة والنوم الخفيف، وبين «**الإعراس**» مصدر أَعْرَسَ فلانٌ بأهله أي بنى بها، أو غشيها. (الُمتَرْجِمُ).

قضاءً، لذا من المستحبّ لكل من حجَّ أن يذهب إلى ذلك المنزل وينام فيه!

أقول: إذا صحّ أن رسول الله ﷺ قد أخذه النوم حتى صلّى صلاته قضاءً فهذا يدلُّ قطعًا على أنَّ النبيَّ ﷺ كان يكره ذلك المكان الذي فاتته فيه الصلاة، وبالتالي فلا ينبغي على أحد أن يذهب للنوم في ذلك المكان بل عليه أن يمرّ به بسرعة[١].

هذا إضافةً إلى أنه ما حاجةُ الحجَّاج الذين لن يعاشروا زوجاتهم[٢] [بحكم إحرامهم] إلى النوم في ذلك المكان؟ أليس هذا الحديث استهزاء بالدين؟ والطريف أن كتاب وسائل الشيعة يروي في الباب عشرين من ذلك الجزء العاشر/ ص٢٩١ عن الإمام الرضا عليه السلام روايةً في استحباب الرجوع إلى المعرِّس لمن تجاوزه و«**أن شخصًا لم يعرِّس فأمره الرضا عليه السلام أن ينصرف فيعرِّس**»!!

٦- وذكر المجلسيُّ في الباب ذاته [نقلاً عن كتاب ثواب الأعمال للشيخ الصدوق] روايةً أخرى أن الحسين صلوات الله عليه سأل رسول الله ﷺ فقال: «**يَا أَبَتَاهْ! مَا لِمَنْ زَارَنَا؟ قَالَ: يَا بُنَيَّ! مَنْ زَارَنِي حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَنْ زَارَ أَبَاكَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَنْ زَارَ أَخَاكَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَمَنْ زَارَكَ حَيًّا وَمَيِّتًا كَانَ حَقِيقًا عَلَيَّ أَنْ أَزُورَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**»![٣].

أقول: هذه الرواية تُصَوِّرُ الإمام الحسين عليه السلام وكأنه كان منذ صغره ينتظر زيارة الزائرين

---

(١) كما ذكرتُ في كتابي «**جامع المنقول في سنن الرسول**» نقلاً عن «**وسائل الشيعة**» (ج٣، ص٢٠٧)، والمصنف لعبد الرزاق (ج١، ص٥٨٧)، أنه لما فاتت النبي الأكرم ﷺ الصلاة أدّاها قضاءً وقال جملة فحواها: «**قُومُوا فتَحَوَّلُوا عَنْ مَكَانِكُمُ الَّذِي أَصَابَتْكُمْ فِيهِ الْغَفْلَةُ**». أما رواية المجلسي فعلى العكس من ذلك تقول إذا مررتم من ذلك المكان فعودوا إليه من جديد!

(٢) كما قلت في الحاشية قبل السابقة: اشتبه على المؤلف البرقعي فهم معنى «**التعريس**» بالعربيَّة فظنَّه المبيت لمعاشرة الأهل، مع أن التعريس هو الاستراحة من السفر والنوم الخفيف فقط لاغير، ولا علاقة له بغشيان الأهل مطلقًا، والواقع أن روايات وسائل الشيعة واضحة في ذلك إذ جاء في بعضها: "عن العيص بن القاسم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الغسل في المعرس؟ فقال: ليس عليك فيه غسل، والتعريس هو أن تصلي فيه وتضطجع فيه، ليلاً مَرَّ به أو نهارًا". (المُتَرْجِمُ)

(٣) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص١٤٠. (المُتَرْجِمُ)

ويستفهم عن أجرهم! وَ تُصَوِّرُ رسول الله ﷺ وكأنَّه غفّارٌ للذنوب أو كأن الشفاعة ملك يديه أو يدي أهل بيته، هذا في حين أن القرآن الكريم يبين لنا قول الله تعالى لنبيِّه الكريم – صلوات ربِّي وسلامه عليه وآله–: ﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠] فالله تعالى ليس تابعًا مطيعًا لرسوله أو لغيره بل الأمر كلُّه بيديه تعالى وحده، وهو الوحيد الذي يملك غفران الذنوب.

٧- وذكر المجلسيُّ في الكتاب ذاته [نقلاً عن أمالي الصدوق] أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ زَارَ الْحَسَنَ فِي بَقِيعِهِ ثَبَتَ قَدَمُهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ**».

أقول: فهل تكفي زيارة الإمام الحسن عليه السلام حتى تُغفر جميع زلات الإنسان؟ هل هذه الزيارة رشوة لنقض قوانين الله؟ ولماذا يُخَصَّصُ كلُّ هذا الثواب والأجر لزيارة قبر الإمام بعد موته ولا يوجد مثله لمن زار الإمام حال حياته؟!

٨- وذكر المجلسيُّ في الباب ذاته [نقلاً عن كتاب كامل الزيارة لابن قولويه] عن الإمام الجواد عليه السلام أنه سُئِلَ: «**جُعِلْتُ فِدَاكَ! مَا لِمَنْ زَارَ رَسولَ الله** صلى الله عليه وآله **مُتَعَمِّدًا؟ قَالَ: لَهُ الجَنَّةُ**»!.

قلت: إذا كان الأمر بهذه البساطة فجميع أصحاب النبيِّ ﷺ ومعاصريه زاروه وبالتالي فطبقًا لهذه الرواية يجب أن يدخلوا الجنَّةَ جميعًا، فلماذا إذن تعترضون على بعض أصحاب النبي ﷺ وتقدحون بهم؟ إلا أن يقول بعضهم إن هذا الأجر والثواب هو لمن زار القبر لا لمن زار رسول الله ذاته ﷺ. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾!

٩- وروى المجلسيُّ في الباب ذاته عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**مَنْ زَارَنِي غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَمْ يَمُتْ فَقِيراً**».

قلتُ: فهل يُحِبُّ الإمامُ زيارةَ الناس له إلى هذه الدرجة التي تجعله يحكم بغفران جميع ذنوب زائره وأن كل من جاء إليه لا يموت إلا غنيًا؟!

يقول علماء الاقتصاد إن الوصول إلى الرفاهية وسعة العيش يتطلَّب اتِّباع القوانين الاقتصاديّة الصحيحة والجدّ والنشاط ولكنّ رواة تلك الأحاديث يقولون إن من أراد الغِنَى فعليه أن يذهب لزيارة القبور!! فأيُّ القولين صحيح؟ أترك الحكم في ذلك إلى القارئ!

في رأيي إن أعداء الإسلام أرادوا إضعاف دين الإسلام بأمثال تلك الروايات وأن يُغروا الناس بالمعاصي ويصوِّروا لهم أن زيارة القبر كفيلة بغفران جميع جناياتهم وآثامهم.

١٠ - وفي الباب ذاته روايةٌ عن الإمام العسكري عليه السلام قال فيها: «**مَنْ زَارَ جَعْفَراً وَأَبَاهُ لَمْ يَشْكُ عَيْنَهُ وَلَمْ يُصِبْهُ سُقْمٌ**».

فلنا أن نتساءل: لماذا كان الذين يزورون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرونه يمرضون إذن؟ بل عليٌّ عليه السلام ذاته أصابه رمد العين كما مرض عددٌ من المهاجرين في سبيل الله من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عندما وصلوا إلى المدينة وأصابتهم الحمّة. فكيف لا يمرض زائرُ قبر حفيد حفيد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم؟! إن هذا الحديث مخالفٌ لكتاب الله وللعقل السليم. وروايات هذا الباب أغلبها من هذا القبيل. فاقرأ أنت الحديث المفصّل من هذا الكلام المجمل وقُس عليها بقية الروايات.

روايات الباب الثاني من أبواب زيارة النبيّ ﷺ

١- أورد المجلسيُّ في هذا الباب رواياتٍ فيها دعوة الزائرين إلى تقبيل أسطوانة (عمود) التوبة وأسطوانة (عمود) حنانة ومنبر رسول الله ﷺ وأن يمسحوا أعينهم بها، وأن يزوروا مقام جبريل والميزاب الذي كان فوق رأس جبريل... الخ. ولنا أن نتساءل: هل تلك الاسطوانات ومنبر رسول الله ﷺ لا تزال موجودة بعينها الآن؟ ألم يكن المجلسيُّ أو رواةُ هذه الأحاديث يعلمون أن تلك الأعمدة والمنبر قد اندثرت منذ مئات السنين؟!

٢- وذكر المجلسيُّ في هذا الباب أدعيةً مفادها أن يقول زائر قبر سيدنا رسول الله ﷺ - بعد وقوفه أمام قبره وقراءته ألفاظ الزيارة وما فيها من عبارات الغلوّ في الإطراء والتمجيد - في آخر كلامه: «**اللّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ**: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] **وَإِنِّي أَتَيْتُ نَبِيَّكَ مُسْتَغْفِراً تَائِباً مِنْ ذُنُوبِي... الخ**».

فنسأل: هل يجب على كلّ مذنب عاصٍ أن يذهب إلى قبر رسول الله ﷺ لأجل غفران ذنوبه كما يفعل النصارى عندما يذهبون إلى قسِّيسيهم ويعترفون بذنوبهم لتُغفر لهم؟ أليس هذا نوعٌ من اللعب بآيات القرآن والتحريف المعنوي لها؟

إن الله تعالى لم يقل أبدًا إن كلَّ من أذنب عليه أن يذهب إلى رسول الله ﷺ، والآية التي ذُكرت في الرواية لا علاقة لها بذلك الموضوع، لأن سياقها الكامل كالتالي: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٤، ٦٥]، فهذه الآيات تتعلق بالمنافقين الذين تخاصموا مع اليهود فقال اليهودي: أنا أقبل بحكم محمَّد ولكن المنافق قال: أنا لا أقبل بحكمه. كما أشارت إلى ذلك الآيات التي جاءت قبلها أي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ [النساء: ٦٠، ٦١]، ثم قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]، وذلك أن المنافقين الذين كانوا يدّعون الإسلام كانوا مستعدِّين للقبول بحكم «كعب بن الأشرف» اليهودي ولكنهم غير مستعدين للقبول بحكم نبيِّ الإسلام الأكرم ﷺ!! وهذا معناه أنهم لم يكونوا يؤمنون بقوانين الله تعالى وأحكام شرعه ولا يعتبرونها صحيحةً عادلةً! أو أنهم لم يكونوا يعتبرون رسول الله —والعياذ بالله- عادلاً، وهذا أوضح دليل على كفرهم وإهانتهم لنبيِّ الإسلام ﷺ. ولهذا السبب بيَّنت الآية الكريمة أن علامةَ الإيمان قبولُ حكم الشرع، وقالت: إنْ أراد هؤلاء القوم أنْ يُكَفِّروا عما ارتكبوه من إهانة وظلم بحقِّ النبيِّ الأكرم ﷺ وعن اتِّهامهم له بالحيف وعدم العدل فعليهم أن يأتوا إليه ويطلبوا رضاه، وعلى الرسول الكريم ﷺ أن يطلب من الله المغفرة لهم علامةً على عفوه عنهم ورضاه عنهم.

ولكنهم لم يفعلوا ذلك، لذا قال الله تعالى لرسوله في هذه الآيات: ﴿... فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، ثم قال في الآية التالية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] فهذا الاستغفار وطلب الاستغفار من الرسول هو بالنسبة إلى الظلم والإهانة التي فعلوها بحق النبيِّ ﷺ وليس بالنسبة إلى جميع الآثام. فلاحظوا أن هذه الآية لا تعود للمؤمنين أصلاً. لذا يجب أن نقول لواضع تلك الرواية:

أولاً: الآية تتعلَّق بالمنافقين، فهل أنت من المنافقين حتى تقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَتَيْتُ نَبِيَّكَ**»؟!

ثانيًا: إن اللهَ تعالى لم يقل إنَّ على كلِّ من ارتكب ذنبًا أن يحضر إلى قبر رسول الله ﷺ، بل إن كلمة القبر لم تأت في الآية أصلاً، فالآيةُ متعلِّقةٌ بزمن حياة الرسول ﷺ وتُبيِّنُ أن على

الناس أن يذهبوا إليه في منازعاتهم ودعاويهم فهذا كان واجبهم أثناء حياته ﷺ.

فلاحظوا كيف تلاعب هذا الوضّاع بمعاني القرآن واستخرج الشرك من آية التوحيد ليسوق الناس نحو عمل شركي! إن دين الإسلام ليس كالمسيحية في دعوته على أن كل من ارتكب ذنبًا أن يذهب إلى مخلوق مثله فضلاً عن أن يذهب إلى قبر مخلوق، ويطلب منه غفران ذنبه، بل قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال كذلك: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: ٥٥] ولم يَقُلْ: «ادعوا نبيّكم»! وقال: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [غافر: ١٤]. وقال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [نوح: ١٠] وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقال: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، وقال: ﴿أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]، فأمرهم أن يستقيموا إلى الله أي يتجهوا مباشرةً إليه بوصفه إلههم ومعبودهم الأوحد ويطلبوا منه غفران ذنوبهم، ولم يقل لهم اذهبوا وابحثوا عن شفيعٍ ليأتيني ويشفع لكم.

كيف لم ينتبه المجلسيّ وسائر المحدثين إلى هذه الآيات واستسلموا إلى هذا الحدّ إلى الرواة الكذبة؟!

وينقل المجلسيّ في «البحار»، باب «**زيارة النبيِّ من قريب**»، الحديث رقم (٤١) بدون سند عن ابن طاووس والشيخ المفيد وفيه: «**إِذَا وَرَدْتَ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- مَدِينَةَ النَّبِيِّ** ﷺ **فَاغْتَسِلْ لِلزِّيَارَةِ...**» (إلى قوله عن كيفية الزيارة): «**ثُمَّ يَمْشِي إِلَى الْحُجْرَةِ فَإِذَا وَصَلَهَا اسْتَلَمَهَا وَقَبَّلَهَا وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ...**» ويذكر الحديث أن على الزائر أن يقف مقابل قبر رسول الله ﷺ ويتلو جملاً في مدح وإطراء رسول الله ﷺ والثناء عليه وتمجيده. ونسأل: هل الرسول ﷺ كسائر الناس يُسرّ من كيل المدائح له وإطرائه والثناء عليه أم لا؟ وهل يطلع ﷺ - كالله تعالى- على أحوال جميع الناس والزوّار ويسمع ثناءهم وتمجيدهم له أم لا؟

٣- ويروي المجلسيّ في الباب الأخير ذاته روايةً أخرى تقول: إنَّ على الحاجّ أن يذهب إلى المدينة ويزور قبور الشهداء و... **ويزور بيت علي بن أبي طالب ودار جعفر بن محمد** عليهما السلام ثم

يقرأ نصّ الزيارة -التي لا سند لها- التي أوردها الشيخ المفيد وابن طاووس[1]. ولنا أن نسأل: هل بيت علي بن أبي طالب عليه السلام ودار جعفر عليه السلام لا تزال موجودة؟ هل لأولئك السادة العلماء الحق في وضع زيارات؟ لقد جمع المجلسيّ في هذا الباب وأبواب أخرى كل دعاء وصلاة كتبها أي عابد أو شيخ وجعل العمل بها أمرًا مشروعًا ومستحبًا! فهل لغير الله أن يشرع «عبادات»؟!

ما رُوِيَ في باب زيارته (صَلَّى اللّهُ عَلَيه وَآلِهِ) من بعيد

١- روى المجلسيّ في هذا الباب [نقلاً عن أمالي الطوسي] عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ سَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَهُ سَمْعَ الْعِبَادِ فَأَعْطَاهُ اللَّهُ. فَذَلِكَ الْمَلَكُ قَائِمٌ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَعَلَيْكَ ثُمَّ يَقُولُ الْمَلَكُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فُلَاناً يُقْرِئُكَ السَّلَامَ. فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وآله وسلم: **وَعَلَيْهِ السَّلَام**»[2]. أي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيقول كل دقيقة: وعليه السلام... وعليه السلام... ويصبح هذا هو عمله!

٢- ثم قال المجلسيُّ أيضًا في الباب ذاته[3]: «**قَالَ الْمُفِيدُ وَالسَّيِّدُ [ابن طاووس] وَالشَّهِيدُ فِي زِيَارَةِ الْبَعِيدِ: إِذَا أَرَدْتَّ ذَلِكَ فَمَثِّلْ بَيْنَ يَدَيْكَ شِبْهَ الْقَبْرِ وَاكْتُبْ عَلَيْهِ اسْمَهُ وَتَكُونُ عَلَى غُسْلٍ ثُمَّ قُمْ قَائِمًا [أمام القبر الخيالي] وَأَنْتَ مُتَخَيِّلٌ مُوَاجَهَتَهُ ثُمَّ قُلْ: كذا وكذا** [وذكروا عدَّة صفحات من جُملٍ وعبارات وضعوها حسب ذوقهم]!!! وأقول: وهل القبر التخيُّليّ يحتاج أيضًا إلى زيارة ودعاء وثناء ومديح؟! نسأل الله أن لا يقرأ عقلاء الدنيا كتبنا المذهبية فقد يظنوا أن ما فيها هو شريعة الإسلام فيستهزئوا بها.

٣- أكثر الزيارات التي وردت في أبواب كتاب «**المزار**» (في كتاب بحار الأنوار) تضمَّنت عبارة تقول: «**مُقِرٌّ بِرَجْعَتِكُم**»، و«**الرَّجْعَة**» هي عودة الأئمّة وأعدائهم إلى عالم الدنيا قبل يوم القيامة ومقاتلة كل إمام لعدوِّه والانتقام منه والانتصار عليه، فمثلاً الإمام الحسين عليه السلام يقاتل

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص ١٦٠، الحديث رقم ٤٠. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص١٨١، الحديث رقم ٢. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص١٨٢، الحديث رقم ١١. (المُتَرْجِمُ)

يزيدًا ويقتله ويأسر أهل بيت يزيد ويثأر لما كان قد فعله بالحسين وأهل بيته!! وهذه «**الرَّجْعَة**» في الواقع عقيدةٌ باطلة لأنها تخالف القرآن الذي يقول: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦]. ثم إذا كان الإمام سيرجع إلى الدنيا ليثأر من أعدائه ويجازيهم بما فعلوا فلماذا إذن الوعد والوعيد الإلهي والحساب والكتاب والعقاب يوم القيامة؟ أضف إلى ذلك، أن في كتاب الله تعالى آياتٍ تفيد أن الظلم والشرك والكفر باقٍ في الدنيا حتى يوم القيامة، كما قال سبحانه بشأن بقاء اليهود والنصارى مثلاً إلى يوم القيامة: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤]، وقال أيضًا: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ ... وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ٦٤]. فإذا كان إمام الزمان أو سائر الأئمة سيأتون ويجازون جميع المسيئين ويطوون بساط الكفر والشرك من عالم الدنيا ويصبح جميع الناس مسلمين فإن ذلك سيكون مخالفًا لما تفيده الآيات المذكورة.

روايات باب زيارة حضرة الزهراء عليها السلام

١- أوصت الزهراء عليها السلام عليًا عليه السلام أن يخفي قبرها، ولكن المجلسيّ وبعض المحدّثين حاولوا في كتبهم جعل قبرها معلومًا محددًا، لكن لما لم يكن موضع قبرها معروفًا اخترعوا قراءة زيارات متعددة في أمكنة متعددة!!

ينقل المجلسيّ عن «**الكافي**» أن الإمام الصادق عليه السلام سُئِلَ: «**الصَّلَاةُ فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ** عليها السلام **مِثْلُ الصَّلاةِ فِي الرَّوْضَةِ؟ فقال: وَأَفْضَلُ**»[1].

ولنا أن نسأل: هل بيت فاطمة عليها السلام لا يزال موجودًا؟ وكيف تكون الصلاة فيه أفضل من الصلاة في المسجد وفي بيت الله؟ فلماذا إذن كان أمير المؤمنين عليه السلام يُصَلِّي في المسجد ويترك العمل الأرجح والأولى؟ ألا تؤدِّي مثل هذه الروايات إلى التقليل من شأن المساجد وأهمّيّته وإلى عمارة المقابر؟

٢- وروى المجلسيّ في الباب ذاته [نقلاً عن مصباح الأنوار]: عن أمير المؤمنين عليه السلام عن فاطمة عليها السلام قالت: **قال لي رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: «**يَا فَاطِمَةُ! مَنْ صَلَّى عَلَيْكِ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَأَلْحَقَهُ بِي حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْـجَنَّة**». فطبقًا لهذه الرواية يجب أن نقول: إننا وصلنا إلى مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنكون رفقاءه في الجنة لأننا نقول «صلى الله عليكِ»!!.

كما رووا أنه يجب أن نقول في زيارة فاطمة عليها السلام: «**يَا مُمْتَحَنَةُ! امْتَحَنَكِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ، فَوَجَدَكِ لِمَا امْتَحَنَكِ صَابِرَةً وَزَعَمْنَا أَنَّا لَكِ أَوْلِيَاءُ وَمُصَدِّقُونَ..... فَإِنَّا نَسْأَلُكِ إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاكِ إِلَّا أَلْحَقْتِنَا بِتَصْدِيقِنَا لَهُمَا بِالْبُشْرَى لِنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوَلَايَتِكِ**»[2].

أقول: يا تُرى لو أراد شخص أن يفهم معنى هذه الجمل وكيف امتحن الله فاطمة قبل أن

---

(١) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص١٩٣، الحديث رقم٥. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص١٩٣، الحديث رقم١١. وهو في **الكافي** للكليني، ج ٤، ص ٥٥٦. (المُتَرْجِمُ)

يخلقها؟! لربما قيل له: إن الراوي لهذا الحديث هو وحده الذي يعلم معنى هذا الكلام مصداقًا لما يُقال: «**المعنى في بطن الشاعر**»!

ثم إن اللحاق بالدرجات العالية ليس بيد الزهراء عليها السلام، بل درجة كل شخص رهينة بإيمانه وعمله، اللهم إلا أن تكون جملة أو جملتان من الإطراء والمديح والتملّق كافيتان للحاق بالدرجات العالية!

وقد ذكر المجلسيّ هنا وفي موارد عديدة أخرى نصوص زيارات طويلة مليئة بصنوف المديح والإطراء منقولة عن الشيخ الطوسي والصدوق والمفيد وابن طاووس وغيرهم وقال في آخر كلامه: **"قالوا: ليست هذه الزيارات مأخوذة عن الله ورسوله بل رأيناها مناسبة"!!** وكلامهم هذا يثير العجب إذ كيف يمكن لشخص أن يضيف أي شيء إلى دين الله حسب ذوقه دون الاستناد إلى دليلٍ شرعيٍّ صحيحٍ؟

فمثلاً يقول المجلسيّ في الباب ذاته: لم يرد أيُّ حديثٍ في زيارة الزهراء عليها السلام ولكن أصحابنا رأوا هذه الزيارة مناسبة**!!** أي مثلاً اعتبروا هذه الجمل مناسبة: «**وزوجة الوصيّ، والحجة والسلام عليكِ يا والدة الحجج**» فاعتبروا من المناسب أن يكون زوج فاطمة عليها السلام وأولادها حُجَجًا، في حين أن القرآن يقول: ليس هناك أي شخص بعد رسل الله حجَّة وذلك في قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وحضرة علي عليه السلام أيضًا اعتبر أن الأنبياء فقط هم الحجَّة وقال: «**.. تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْـخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ومُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاتِهِ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ...**»[1].

هل يجب أن نقبل كلام القرآن الذي يقول إنه لا حجّة بعد رسل الله أم قول الآخرين؟ نحن نعتبر دين الله أهم وأكبر وأعزّ من أي شيء آخر ونعتبر حضرة الزهراء عليها السلام والأئمة عليهم السلام دُعاةً للدين ومبلِّغين له وتابعين له، وأنهم لا يرضون أن يزيد أحدٌ على دينهم شيئًا أو ينقص منه بحجّة محبته لهم، ولا نشكّ أنهم أنفسهم لا يرضون بمثل هذا الكلام بل يرفضونه ويعارضونه.

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٩١.

باب زيارة الأئمّة بالبقيع

١- أورد المجلسيّ[١] والشيخ الطوسي وابن طاووس عن رجل لم يُذكر اسمه عن أحد الأئمة دون بيان اسمه[٢] زيارة تحتوي على كثير من الجمل المخالفة للقرآن. ففي أحد المواضع فيها: «**أَيُّهَا الْقُوَّامُ فِي الْبَرِيَّةِ بِالْقِسْطِ**» ويا ليت كان الأمر كذلك واستطاع الأئمة الكرام عليهم السلام أن يبسطوا العدل بين الناس، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك مع الأسف وأُجبروا على أن يلزموا بيوتهم ويعيشوا مقهورين. ثم جاء في الزيارة: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ النَّجْوَى**» فإذا قُصد من النجوى مناجاة الله فلا إشكال في ذلك، أما إذا قُصد منها تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم الأسرار الإلهية على نحو خفيّ خاص فإن ذلك لا يصحّ لأن دين الإسلام ليس فيه أمور مخفية أو أشياء خاصة بأناس دون آخرين بل الناس فيه سواء. قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: ٢٨]، فالإسلام إذن ليس سرِّيًّا ولا نجوائيًا.

وجاء في الزيارة: «**وَأُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ**» فنقول: إذا كان الأئمّة عليهم السلام قد غفروا فماذا تقولون أنتم؟ ولماذا تنوحون وتلعنون وتطعنون بحجّة مظلوميّة الأئمّة عليهم السلام؟ أتريدون أن تكونوا أحرص على الأئمّة من أنفسهم؟ ثم جاء في الزيارة: «**وَأَنْتُمْ دَعَائِمُ الدِّينِ وَأَرْكَانُ الْأَرْضِ**»، هذا في حين أن الأئمة عليهم السلام أنفسهم كانوا يقولون: نحن مُتَّبِعُون للدِّين ومرشدون للناس إلى الدِّين ولم يقولوا إنهم أركان الدين ولا أصوله ولا فروعه. ثم ما معنى أنهم أركان الأرض؟ وما المقصود من كل هذا الإطراء؟ هل أَمَرَ الأئمةُ أَنْفُسُهُم بهذه المدائح والإطراء المبالغ به لهم أم أنكم تقومون بذلك من عند أنفسكم؟ وهل سيمنع الأئمة بهذه الكلمات مِنْ

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ٦- باب زيارة الأئمة عليهم السلام بالبقيع ، ص٢٠٣، حديث ١. (المُتَرْجِمُ)

(٢) هل سند الدين و تكليف المؤمنين بالأحكام الشرعية على هذه الدرجة من الوهن والضعف حتى يتم إبلاغه عن طريق رجل مجهول لا يعرف اسمه وعن إمام غير معين؟

تَعَرُّضِكُم لجزاء أعمالكم ويصبحون مطيعين لكم محامين عنكم في محكمة العدل الإلهية حتى يُصرف النظر عن خطاياكم وآثامكم؟ إن لم يكن الهدف من الزيارة كذلك فلماذا تقولون في آخرها: «**هَذَا مَقَامُ مَنْ أَسْرَفَ وَأَخْطَأَ وَأَقَرَّ بِمَا جَنَى وَرَجَا بِمَقَامِهِ الْـخَلَاصَ وَأَنْ يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقِذُ الْهَلْكَى مِنَ الرَّدَى فَكُونُوا لِي شُفَعَاء...**»!

ونتساءل: هل الإمام حاضرٌ في جوف القبر ومطَّلعٌ على زائره ويمكنه أن يشفع له عند الله تعالى كي يصرف النظر عن جرائم هذا الفرد الطمّاع ويتجاوَزَ عن سيِّئاته وذنوبه وخطاياه وإسرافه وخياناته؛ فيجيب الله فورًا طلب الإمام ويطيعه في رجائه وشفاعته، ويضرب صفحًا عن كل قوانينه وتشريعات كتابه؟! أم أن الإمام لا علم له بكل هذا الإطراء والمدائح والتزلُّف لأنه ليس في عالم الدنيا بل في عالم البرزخ بعيدًا عن سماع هذه الأمور، ويَبْرَأُ من أهل الإسراف والإثم والفجور، والله تعالى لا يعطّل قانونه ولا يُلغي العمل بعدالته وتطبيق جزائه العادل على الآثمين المجرمين.

ليت أحدهم يقول لمثل هذا الزائر: عزيزي! استحِ من الله وَدَعْ الإطراء والتملّق ولا تتوجَّه إلا إلى الله الذي جعل التوبة الطريق الوحيد إلى النجاة؛ فَتُبْ إليه واترك الإسراف والجرائم. أتظن أن الإمامَ مأمورٌ بالدفاع عن الجُناة والآثمين؟ أو أنه مطيع لك فيما تريد؟ فأيُّ إمام هذا الذي تتخيَّلُهُ وأيُّ دين وأيُّ إسلام وأي كتاب قانون هذا الذي اخترعته لنفسك؟!

هنا يقدّم المجلسيُّ والشيخ الطوسيُّ وآخرون تعليمات للزائر حول كيفية أداء صلوات معيَّنة ما أنزل اللهُ بها من سلطان وليست إلا من اختراع الآخرين وظنونهم.

٢- ثم أورد المجلسيُّ زيارةً طويلةً أخرى وقال في بدايتها: **"وجدتُ في نسخةٍ قديمةٍ من مؤلَّفات أصحابنا زيارةً لهم عليهم السلام فأوردتُها كما وجدتُها"**![1]، أي هي نسخةٌ لكتابٍ لا يُعْرَف اسم مؤلِّفه ولا المصادر التي رجع إليها. وفي هذه الزيارة توجد جملٌ مخالفةٌ للقرآن وأكاذيب لا أساس لها ولا برهان عليها، فمن ذلك أنها تقول في إطراء الأئمّة عليهم السلام: «**وَشُرَكَاءَ الْفُرْقَانِ**» أي شركاء القرآن! هذا مع أنه ليس لِـلَّهِ تعالى شريك في الملك ولا في الحكم، وهو القائل:

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ٦-باب زيارة الأئمة عليهم السلام بالبقيع، ص٢٠٦، حديث ٨. (المُتَرْجِمُ)

﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، ومشاركته في الملك وفي الحكم شرك تشمله الآية الكريمة التي يقول اللهُ تعالى فيها لنبيه الكريم ﷺ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

وذنب الشرك لا يُغفر، فانظروا كيف يُساق الناس نحو أفكار شركية بواسطة زيارات لا يُعلم من كاتبها، ولا سند لها.

وجاء في هذه الزيارة أيضًا: «**وَحَفَظَةُ سِرِّهِ وَمَهْبِطُ وَحْيِهِ وَمَعَادِنُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ**»!

ونسأل: هل أتى الله تعالى بدين سرّيّ؟ أليس هو القائل: ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]. أي أعلمتكم جميعًا على حد سواء، فلم يجعل بعض مطالب دينه أسرارًا اختصَّ بها بعض عباده فقط.

ثم نسأل: هل من الجائز أن يبقى هذا السرّ مستورًا مخفيًا أم لا بد من كشفه؟ إذا كان الجواب هو الأول فما علاقة الناس بمثل هذا السرّ وما فائدته لهم؟ إذن ينبغي عليهم أن لا يكونوا فضوليين كما لا يحق للأنبياء والأئمّة أن يفشوا تلك الأسرار. أما إذا كان المطلوب أن تُنقل تلك الأسرار في الكتب وتُعلّم للناس فلماذا تسمّى أسرارًا إذن؟

والنقطة الثانية أنه لا معنى لقوله: «**وَمَهْبِطُ وَحْيِهِ**» لأنَّ الوَحْيَ انقطع بوفاة خاتم النبيين ﷺ، كما أكَّد ذلك الأئمّة عليهم السلام أنفسهم، بما فيهم الإمام عليّ عليه السلام الذي قال: «**فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ وخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ**»[1]. فكلُّ من ادَّعى الوحيَ بعد النبيِّ ﷺ لإمام أو لغيره فقد خرج عن أصول الإسلام، فمهبط الوحي هو رسول الله ﷺ فقط.

كما تقول الزيارة أيضًا: «**اِجْتَبَاكُمْ لِلْخِلَافَةِ وَعَصَمَكُمْ مِنَ الذُّنُوبِ**». ونسأل: إذا كان الله قد اجتباهم للخلافة فلماذا لم يُوفّق أكثرهم للخلافة ولماذا اعتبر عليٌّ عليه السلام في نهج البلاغة أن الخلافة تتم باختيار المهاجرين والأنصار، وقال في رسالته: «**وإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِـلَّهِ رِضًا**»؟[2]، والأهم من ذلك

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ١٣٣.

(٢) **نهج البلاغة**، الرسالة رقم ٦.

أنه عليه السلام أبدى عدم رغبته بالخلافة وعدم حاجته لها، فهل يمكن أن يجتبيه اللهُ تعالى للخلافة فعلاً فيُظهر عدم رغبته بها ويقول: «**واللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْـخِلافَةِ رَغْبَةٌ ولا فِي الْوِلايَةِ إِرْبَةٌ**»[1] بدلاً من أن ينهض بهذا الواجب الذي اختاره الله له؟!

كما لا تصحّ عبارة: «**وَعَصَمَكُمْ مِنَ الذُّنُوب**» لأن أمير المؤمنين عليه السلام ذاته يقول في إحدى خطبه: «**فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ولا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلا أَنْ يَكْفِيَ اللّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي**»[2]. ويقول في «دعاء كميل»: «**فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْضِ حُدُودِكَ وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوَامِرِكَ**».

علاوةً على ذلك إذا قبلنا بعبارة «**وَعَصَمَكُمُ اللّهُ**» واعتبرنا العصمة من إرادة الله التكوينية كانت النتيجةُ أنَّ المعصوم سيكون مجبورًا تكوينيًا على الطاعة وغير قادر على المعصية، فيكون بذلك – من هذه الناحية - مثل النباتات وسائر المخلوقات التي لا خيار لها من أمرها ولا تستطيع أن تعصي مراد الله التكوينيّ منها، وليس في هذا أيُّ فضل للإنسان بل مثل هذا يخالف ما نصَّ عليه القرآن الكريم من أن الله تعالى خلق البشر وجعلهم جميعًا مُخيَّرين وأصحاب إرادة حرّة يختارون من خلالها الطاعة أو العصيان إمَّا شاكرين وإمَّا كفورين.

أما إرادة التطهير في سورة الأحزاب، أي قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والتي يعتبرها بعضهم –خطأً- دليلاً على «العصمة التكوينية» لأهل البيت، فهي في الواقع إرادة تشريعية للطهارة وليست تكوينية، لذا نجد أن الله ذكر تكاليف شرعية وأوامر ونواهي قبل آية التطهير هذه وبعدها، وإرادة التطهير الشرعية هذه أرادها الله أيضًا لجميع المسلمين؛ فكما قال تعالى لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ قال أيضًا لجميع المؤمنين: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦][3].

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ٢٠٥.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ٢١٦.

(٣) حول هذه الآية تُراجَع الكتب الكلامية ومنها «**رهنمود سنت در رد اهل بدعت**» [أي منهاج السنة في رد

وجاء في الزيارة أيضًا: «**وَفَضَّلَكُمْ بِالنَّوْعِ وَالْجِنْسِ**» أي أنكم [أيها الأئمّة] أعلى في جنسكم من سائر البشر، هذا في حين أن الله تعالى قال في كتابه: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [ابراهيم: ١١]، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، فرسول الله ﷺ من حيث بشريَّته إنسانٌ كسائر البشر، من جنسهم عينه ونوعهم ذاته، ولا يمتاز من هذه الناحية على الآخرين، وإنما يمتاز بالوحي الذي أوحاه الله إليه [والرسالة الخاتمة التي بُعث بها ومقام الاصطفاء على العالمين].

هذه الزيارة إذن تتضمن جمل كفرية باطلة وخرافات كثيرة. من ذلك أنه جاء فيها: «**وَأَوْدَعَكُمْ..... مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ كَتَابُوتِ الْـحِكْمَةِ وَشِعَارِ الْـخَلِيلِ وَمِنْسَأَةِ الْكَلِيمِ وَسَابِغَةِ دَاوُدَ وَخَاتَمِ الْـمُلْكِ وَفَضْلِ الْـمُصْطَفَى وَسَيْفِ الْـمُرْتَضَى...**». فجعل سيف المرتضى رديفًا لمواريث الأنبياء، ولا ندري ربما كان واضع الزيارة من الغلاة الذين يريدون أن يجعلوا عليًّا عليه السلام في عداد الأنبياء. وهنا ذُكرت في الزيارة ألفاظ مفصّلة في الإطراء والثناء والمدائح المبالغ بها مما نهى الله عنه ومما لا يرضى به أيُّ إمام. وهنا نتذكر أنه عندما أثنى على أمير المؤمنين عليه السلام أحدُ أصحاب في صفين، نهاه الإمام عن ذلك وقال له: «**إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلالُ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ وجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلُّ مَا سِوَاهُ... وقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ واسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ ولَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ كَذَلِكَ...**»[1]. وبالطبع كان جميع الأئمة عليهم السلام كذلك.

والعجب أن المحدّثين ينتظرون أن يعمل الناسُ بمثل هذه الزيارات الفاضحة ويحثُّونهم على قراءتها في أيام مخصوصة، فلذلك قد جعلوا خمسَ أيام السنة، أيامًا مخصوصة!. وقد جمع المجلسيُّ في «**البحار**» كل زيارة كتبها أي عالم حسب ذوقه، مع أن أهل التحقيق يعلمون أن جميع أذون الدخول المذكورة في الزيارات لا سند صحيح لها.

أهل البدعة] ترجمة كاتب هذه السطور، أو الكتب الأخرى. [البرقعي]

ولمزيد من التفصيل حول آية التطهير، يُراجع أيضًا، كتاب «آية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة» للدكتور طه الدليمي وكتاب «تأمل في آية التطهير» للشيخ مصلح توحيدي. [الناشر]

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ٢١٦.

وينقل المجلسيُّ عن كتاب «**كامل الزيارة**» **لابن قولويه** زيارةً لمن يزور حمزةرضي الله عنه وإبراهيم ابن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، ليس لها سند! ويروي عن راوٍ كذاب اسمه «**سهل بن زياد**»[1] روايةً تَنْسِبُ إلى أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام أنه قال: «**كُنْتُ أَنَا وَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَاعِدَيْنِ فِيهَا** [=أي الوهدة القريبة من مَسْجِدَ الْفَضِيخِ كما في الرواية] **إِذْ وَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِي ثُمَّ خَفَقَ حَتَّى غَطَّ وَحَضَرَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُحَرِّكَ رَأْسَهُ عَنْ فَخِذِي فَأَكُونَ قَدْ آذَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى ذَهَبَ الْوَقْتُ وَفَاتَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَبَهَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا عَلِيُّ! صَلَّيْتَ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قُلْتُ: كَرِهْتُ أَنْ أُوذِيَكَ. قَالَ: فَقَامَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَ مَدَّ يَدَيْهِ كِلْتَيْهِمَا وَقَالَ: اللَّهُمَّ رُدَّ الشَّمْسَ إِلَى وَقْتِهَا حَتَّى يُصَلِّيَ عَلِيٌّ، فَرَجَعَتِ الشَّمْسُ إِلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ حَتَّى صَلَّيْتُ الْعَصْرَ ثُمَّ انْقَضَّتْ انْقِضَاضَ الْكَوْكَبِ**»[2].

لقد أراد هذا الراوي أن يختلق معجزة للإمام ولكنه لم ينتبه إلى أنه بهذه الرواية الموضوعة نزّل من مقام عليٍّ عليه السلام وإخلاصه إلى درجة أدنى من مرتبة مسلم عادي، لأنه نسب إلى حضرة الأمير سلام الله عليه أنه ترك صلاةً مفروضةً أي ارتكب حرامًا لأجل أن لا يوقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهل يظنُّ أيُّ مسلم –مهما كان ضعيف الإيمان- بنبيِّ الإسلام عظيم الشأن الباذل ذاته في سبيل الله أنه –عليه آلاف التحية والثناء- يرضى أن يصلِّي إحدى الصلوات المفروضة قضاءً حتى لا يوقظه أحد من قيلولة العصر كما ادَّعى ذلك الراوي الجاهل؟! بكلِّ تأكيد كان عليٌّ عليه السلام – بما له من معرفة بأحوال النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم – يعلم أكثر من أي أحد آخر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزعجه ويحزنه أن تفوته صلاة العصر، وبكلِّ تأكيد لم يكن عليٌّ عليه السلام ليرتكب معصية ترك الصلاة المستوجبة لحزن النبيِّ وانزعاجه، ومختصر الكلام إنه من المحال أن يرتكب عليٌّ عليه السلام عملاً يسخط اللهَ ورسولَهُ، فكيف يمكن أن يعيد الله تعالى الشمس لمن ارتكب معصيةَ تركِ فريضةٍ عامدًا؟

---

(١) قال الشيخ الطوسي في **الفهرست والاستبصار** عنه: "**ضعيف جدًا عند نقّاد الأخبار**". وقال ابن الغضائري عنه: "**سهل بن زياد أبو سعيد الآدمي الرازي، كان ضعيفًا جدًا فاسد الرواية والدين... يروي المراسيل ويعتمد المجاهيل**". (المُتَرْجِمُ)

(٢) **الفروع من الكافي**، (ج١، ص٣١٩). (المُتَرْجِمُ)

أضف إلى ذلك أنه لا يمكن العودة بالزمان إلى الوراء فإذا غربت الشمس وانقضى وقت العصر، فإن هذا الزمن لن يعود ثانيةً حتى ولو أُعيدت الشمس مجددًا إلى الظهور بعد غروبها لأن الوقت الذي انقضى قد انقضى ولا يمكن إحياؤه من جديد، غاية ما في الأمر أن رجوع الشمس ينشئ زمنًا جديدًا غير الزمن السابق. وأساسًا، لو كان واجب عليٍّ في ذلك الظرف ترك الصلاة، لما كان هناك من داعٍ لإعادة الشمس، وبالتالي فإن الراوي الوضّاع لم يكن يدري ما يقول! والطريف في الموضوع أن أحدًا على وجه الأرض لم يشعر بعودة الشمس للظهور بعد غروبها سوى «**سهل بن زياد**» ذلك الراوي الغالي الكذّاب؟! (هذا بمعزل عن أن عبارة «عودة الشمس» خطأ علمي لأن الأرض هي التي تدور حول الشمس، لذا ينبغي أن يُقال «عودة الأرض»).

ثم هل تتفق هذه الرواية مع القرآن الكريم؟

يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [ابراهيم: ٣٣]، ويقول أيضًا: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٨] و ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٤٠]؛ وعليه فالله تعالى خلق للشمس نظامًا زمنيًا ومكانيًا خاصًا تسير عليه، وسخّر الشمس والقمر لمصلحة عباده وجعلهما يدوران بنظام خاص وحسبان دقيق، فإذا تحرك كل كوكب من مكانه أو اختلّ دورانه لاختلّ نظام الكون وتغيّر وضع العالم، وهذا طبعًا مما يعلمه جميع أهل العلم.

وليت شعري! هل يمكننا أن نحكي هذه القصة لعلماء الفيزياء والفلك في القرن العشرين؟!

أجل، لقد قام الوضّاعون، على قدر ما استطاعوا، بوضع متون زيارات مليئة بالإطراء وعبارات الثناء والتمجيد المفرط ودوّنوا في ذلك كتبًا. من ذلك أنهم أوردوا مثلاً في متن زيارة إبراهيم بن النبيِّ ﷺ الذي تُوفِّيَ وهو ابن ١٨ شهرًا فقط عبارات فيها طلب الشفاعة منه؟! فلعلَّ واضع تلك الزيارة تصوّر أن الطفل ابن السنتين سيكون رقيق القلب يمكن

خداعه بسهولة لذا سيُسرّ بالاستماع إلى عبارات زيارته المليئة بالمديح والإطراء فيشفع لزائره ويصبح وسيلة لغفران ذنوبه وسعادته! أو أوردوا في زيارة حمزة: «**رَاغِبًا إِلَيْكَ فِي الشَّفَاعَةِ، أَبْتَغِي بِزِيَارَتِكَ خَلَاصَ نَفْسِي، مُتَعَوِّذًا بِكَ مِنْ نَارٍ اسْتَحَقَّهَا مِثْلِي بِمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، هَارِبًا مِنْ ذُنُوبِيَ الَّتِي احْتَطَبْتُهَا عَلَى ظَهْرِي، فَزِعًا إِلَيْكَ رَجَاءَ رَحْمَةِ رَبِّي... أَتَيْتُكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ طَالِبًا فَكَاكَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ**»!

هذه الجمل مخالفة تمامًا لأمر الله وأحكام شريعته، لأن القرآن الكريم أمرنا أن لا نلجأ إلا إلى الله وأن لا نستعين إلا بالله وعلّمنا أن الشفاعة ليست حسب رغبتنا وأنها منحصرة بيد الله وأننا إذا تحمّلنا أوزارًا ثقيلة من الذنوب على ظهورنا فلا ينقذنا من تبعاتها شيء سوى التوبة النصوح. إن تبتم غفر الله ذنوبكم، ولا ينبغي عليكم أن تُطْلِعُوا أحدًا على ذنوبكم ولا يحقُّ لأي أحد أن يتتبع ذنوب الآخرين ويتجسس عليهم ويطَّلع على زلّاتهم. ولكن هذا المسكين الجاهل ترك أحكام الله وتعاليمه وتعاليم كتابه وآياته وذهب يطلب فكاك رقبته من النار بشفاعة حمزة –رضي الله عنه– وظنّ أن هذا الأمر بيده. اللهُ تعالى قال للمذنب أنا معك في جميع الأحوال، عليمٌ بأعمالك وخبيرٌ بذنوبك وقادرٌ على نفعك وضرِّك، ولكن هذا الجاهل غفل عن آيات الله وذهب يقطع مسافات بعيدة حتى وجد حضرة حمزة رضي الله عنه ولم يدرِ أنه لا علم له بما في الدنيا بل هو سعيد منعّم يُرزق في دار السلام ولم يعد له أي صلة ولا أي شغل بالمذنبين الخطَّائين.

لقد أمر اللهُ تعالى رسولَه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يلجأ إليه فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، وقال له كذلك: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال أيضًا: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ٢٠ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾ [الجن: ٢٠، ٢٢]، وكان رسول الله يدعو ربه قائلاً: «**إِلهِي لَا مَفْزَعَ وَلَا مَفَرَّ إِلَّا إِلَيْكَ**»، فلاحظوا كم ذكروا في تلك الزيارات من مطالب مخالفة للقرآن!

كذلك نقرأ في زيارة حضرة حمزة رضي الله عنه : «**أَلْـهَمَنِي طَلَبَ الحوائج عنده**»! ولكن الواقع أن

الله لم يلهمه ذلك بل الشيطان هو الذي ألهمه أن يطلب الحوائج عند غير الله!! وقارنوا ذلك بالدعاء الصحيح المروي عن الإمام السجّاد عليه السلام الذي يقول فيه مناجيًا ربَّه: «**اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ**»[1]، ويقول كذلك: «**لا أَطْلُبُ الفرجَ إِلَّا مِنْكَ**»[2].

أجل، إن ما ذكره الخُرَافِيُّون من أعمال وزيارات للقبور ليس له أي مستند في الشرع، ويقول المجلسيُّ: **"لا أدري لماذا لم يذكر العلماء في كتبهم زيارة أبي طالب وعبد المطلب وزيارة عبد مناف[3] والسيدة خديجة مع أن قبورهم معروفة في مكّة"!!**

والجواب واضح أنه لا يوجد أي مستند لذلك أو أن وضّاعي الزيارات لم يجدوا الوقت الكافي لصنع زيارات لهم!!، وليت شعري هل يجب أن نصنع نص زيارة لكل قبر معروف؟! نحمد الله أنهم لم يدوّنوا لهم زيارات وإلا لوجب أن يدوّنوا زيارات لأبي ذرّ وسلمان و... و... وكذلك لمائة وأربعة وعشرين ألف نبي وأولادهم وللسيدة آمنة وعبد الله والديّ نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ولجعفر والمقداد وعمّار وابن مسعود ومالك الأشتر وآلاف الصالحين غيرهم!

ثم يقول المجلسيُّ: صلّ في المدينة في بيت زين العابدين وبيت الإمام الصادق. ويبدو أن المجلسيَّ لم يكن يعلم أن بيوتهم قد تهدّمت منذ قرون وانتقلت تلك الأراضي إلى آخرين ولم تعد حدودها معلومة.

---

(١) **الصحيفة السجادية**، الباب الأوَّل.

(٢) **مفاتيح الجنان**، أواخر دعاء «أبي حمزة الثمالي».

(٣) نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن «عبد مناف» لم يكن مسلمًا، ورغم ذلك فالمجلسي يتعجّب من عدم وجود زيارة له في الكتب؟!!

روايات باب «فضل النجف وماء الفرات» المليئة بالأكاذيب

١- ذكر المجلسيُّ في «**البحار**» [نقلاً عن **علل الشرائع**] عن الدقاق، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن البطائني عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إِنَّ النَّجَفَ كَانَ جَبَلًا وَهُوَ الَّذِي قَالَ ابْنُ نُوحٍ: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ وَلَمْ يَكُنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ جَبَلٌ أَعْظَمَ مِنْهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَيْهِ: يَا جَبَلُ! أَ يُعْتَصَمُ بِكَ مِنِّي؟ فَتَقَطَّعَ قِطَعاً قِطَعاً إِلَى بِلَادِ الشَّامِ وَصَارَ رَمْلًا دَقِيقاً وَصَارَ بَعْدَ ذَلِكَ بَحْراً عَظِيماً وَكَانَ يُسَمَّى ذَلِكَ الْبَحْرُ بَحْرَ نَيْ ثُمَّ جَفَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَقِيلَ نَيْ جَفَّ فَسُمِّيَ نَيْجَفَّ ثُمَّ صَارَ بَعْدَ ذَلِكَ يُسَمُّونَهُ نَجَفَ لِأَنَّهُ كَانَ أَخَفَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِم**»[1].

ونسأل: وهل عصى الجبلُ ربَّه إذا لجأ إليه مجرم؟ وما تقصير الجبل في ذلك؟ إذا كان الأمر هكذا فيجب أن تتحول جميع الجبال إلى رمل دقيق خشية من الله [لما يقع عليها من معاصي العباد]!

٢- وذكر المجلسيُّ في «**البحار**» [نقلاً عن **علل الشرائع** للشيخ الصدوق بسنده عن أبي الجارود رفعه إلى عليٍّ عليه السلام] قال: «**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام مَرَّ بِـ«بَانِقْيَا» فَكَانَ يُزَلْزَلُ بِهَا فَبَاتَ بِهَا فَأَصْبَحَ الْقَوْمُ وَلَمْ يُزَلْزَلْ بِهِمْ فَقَالُوا: مَا هَذَا وَلَيْسَ حَدَثٌ؟ قَالُوا: نَزَلَ هَاهُنَا شَيْخٌ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ. قَالَ: فَأَتَوْهُ فَقَالُوا لَهُ: يَا هَذَا، إِنَّهُ كَانَ يُزَلْزَلُ بِنَا كُلَّ لَيْلَةٍ وَلَمْ يُزَلْزَلْ بِنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ فَبِتْ عِنْدَنَا، فَبَاتَ وَلَمْ يُزَلْزَلْ بِهِمْ فَقَالُوا: أَقِمْ عِنْدَنَا وَنَحْنُ نُجْرِي عَلَيْكَ مَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: لَا وَلَكِنْ تَبِيعُونِّي هَذَا الظَّهْرَ وَلَا يُزَلْزَلُ بِكُمْ قَالُوا: فَهُوَ لَكَ. قَالَ: لَا آخُذُهُ إِلَّا بِالشِّرَى. قَالُوا: فَخُذْهُ بِمَا شِئْتَ. فَاشْتَرَاهُ بِسَبْعِ نِعَاجٍ وَأَرْبَعَةِ أَحْمِرَةٍ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ بَانِقْيَا، لِأَنَّ النِّعَاجَ بِالنَّبَطِيَّةِ نِقْيَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ: غُلَامُهُ يَا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، مَا تَصْنَعُ بِهَذَا الظَّهْرِ لَيْسَ فِيهِ زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ؟ فَقَالَ لَهُ: اسْكُتْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَحْشُرُ مِنْ هَذَا الظَّهْرِ سَبْعِينَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ يُشَفَّعُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ لِكَذَا وَكَذَا**»[2].

---

(١) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ٧- باب فضل النجف وماء الفرات، ص ٢٢٦، حديث رقم ١. (المُتَرْجِمُ)

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧، حديث رقم ٢. (المُتَرْجِمُ)

ينبغي أن نعلم أنه لن يدخل أحد الجنّة دون حساب وسؤال حتى الأنبياء والأولياء كما قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]. فأهل النجف إذن سيُسألون أيضًا عن أعمالهم كسائر الناس، ولا يمكن إعفاؤهم من المسؤولية بمثل هذه الأحاديث.

٣- وذكر المجلسيُّ أيضًا في «البحار» [نقلاً عن كامل الزيارة لابن قولويه بسنده عن حنان بن سدير] قال: «**دخل رجلٌ من أهل الكوفة على أبي جعفر** عليه السلام **فقال** عليه السلام **له: أَتَغْتَسِلُ مِنْ فُرَاتِكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَفِي كُلِّ جُمْعَةٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَفِي كُلِّ شَهْرٍ؟ قَالَ: لَا. قَالَ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ؟ قَالَ: لَا. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ** عليه السلام **إِنَّكَ لَمَحْرُومٌ مِنَ الْـخَيْرِ**»![1].

٤- وذكر المجلسيُّ في «البحار» كذلك [نقلاً عن كامل الزيارة بسنده] عن عليٍّ عليه السلام قال: «**الْـمَاءُ سَيِّدُ شَرَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْـجَنَّةِ الْفُرَاتُ وَالنِّيلُ وَسَيْحَانُ وَجَيْحَانُ: الْفُرَاتُ الْـمَاءُ وَالنِّيلُ الْعَسَلُ وَسَيْحَانُ الْـخَمْرُ وَجَيْحَانُ اللَّبَنُ**»!![2]. قلت: إذن لا فضل لأهل الجنّة علينا لأن تلك الأنهار الأربعة التي ذكرت في سورة «**محمد**» صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطاها الله — حسب هذه الرواية — لأهل الدنيا أيضًا**!!**

٥- وذكر في هذا الباب عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**نَهَرَانِ مُؤْمِنَانِ:... نِيلُ مِصْرَ وَالْفُرَاتُ**[3].. نهران مؤمنان: نيل مصر والفرات..... **الْفُرَاتَ مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍ**عليه السلام**!!** [4]». قلت: لعلَّ بقية الأنهار جميعًا من أهل السنَّة، أو غير مسلمة**!!**

ثم روى أيضًا في الباب ذاته [نقلاً عن كتاب «فرحة الغَرِيّ»]: «**أَرْبَعُ بِقَاعٍ ضَجَّتْ إِلَى اللَّهِ أَيَّامَ الطُّوفَانِ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ وَالْغَرِيُّ وَكَرْبَلَاءُ وَطُوس**»[5]. فليت شعري لماذا لم

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢٦، حديث رقم ٤. (الْمُتَرْجِمُ)

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧، حديث رقم ٥. (الْمُتَرْجِمُ)

(٣) المصدر السابق، ص ٢٣٠، حديث رقم ٢٠. (الْمُتَرْجِمُ)

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣٠، حديث رقم ١٨. (الْمُتَرْجِمُ)

(٥) المصدر السابق، ص ٣٣١، حديث رقم ٢٢. (الْمُتَرْجِمُ)

تضجّ مكة والمدينة؟! وكذلك إذا رفع اللهُ الغَريّ (النجف) وكربلاء وطوس -كما رفعَ البيت المعمور - فلماذا لا تزال النجف وكربلاء وطوس موجودة على الأرض؟!

٦- وادَّعى المجلسيُّ أن **"من خواص تربة النجف إسقاط عذاب القبر وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون هناك"!!** والدليل المحكم الذي ساقه المجلسيُّ على هذا الأمر هو الأحلام التي رآها بعضهم!! ومن هذا يتبيَّن أن أحد الأدلة التي يستند إليها المجلسيُّ المنامات والأحلام!! فقد روى المجلسيُّ أنه: "وذكر بعضهم أن معهم جنازة فأدخلوها وجعلوها على الصفة التي تجاه «مسلم بن عقيل» عليه السلام. ثم إن أحدهم نعس فرأى في منامه قائلاً يقول لآخر: ما تبصره حتى نبصر هل لنا معه حساب؟ وينبغي أن نأخذه منه عجلاً قبل أن يتعدَّى الرصافة فما يبقى لنا معه طريق [يعني ينبغي أن نحاسبه بسرعة قبل أن يصل إلى حدِّ النجف لأننا لن نستطيع محاسبته عندئذ!!] فانتبه وحكى لهم المنام فقال: خذوه عجلاً فأخذوه ومضوا به في الحال إلى المشهد الشريف [أي في النجف]"!![1] وينبغي أن نقول — و العياذ بالله — يبدو أن الله تعالى أرسل مأمورين عديمي الكفاية سمحوا لبعض العباد أن يفرُّوا من المحاسبة على أعمالهم! نعم مثل هذا الإله مناسب لكتاب مثل «**البحار**»!!! أما ربُّ القرآن الكريم فهو غير ذلك، وهو يقول: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ١٢٣﴾ [النساء: ١٢٣].

وأقول: في نظام الإله الحقيقي ليس للعباد من الأمر شيء ولا يمكن لأحد أن يفرّ من حكومته وجزائه. ولكن مع الأسف الشديد فإن قرّاء مراثي العزاء لدينا لا شغل لهم بالقرآن الكريم، بل شغلهم بالأحلام والمنامات التي ينقلها المجلسيُّ لأنها أكثر نفعًا لدكاكينهم!!

٧- وأراد المجلسيُّ في الباب الثاني من هذا القسم ذاته أن يُثبت حسب ظنّه —استنادًا إلى الأحلام والكرامات وروايات الغلاة- أن مكان دفن أمير المؤمنين عليه السلام —الذي كان مجهولاً حتى قرنين بعد وفاته- في النجف! ولا عجب من إصراره على هذا الأمر لأنه لو لم يُعلَم

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٣. (المُتَرْجِمُ)

موضع مدفن الإمام لعُطِّلَت كلُّ تلك الموقوفات والنذورات ولما بقي سبب لتلك البوابات المذهّبة والقباب والمنارات الذهبية والجواهر والقصور الكثيرة!! ولكسد سوق الكثيرين!

يقول أحد العلماء المعاصرين وهو آية الله «**الخالصي**»: ذهبتُ إلى النجف ورأيتُ المنارات والقباب الذهبية والأبواب والأبنية المصنوعة من الذهب والفضة والجواهر الثمينة وقلتُ في نفسي: يا أمير المؤمنين! لقد كنتَ في حياتك تنام على التراب حتى خاطبك رسول الله ﷺ بأبي تراب، وبينا أنا غارق بأفكاري إذا برائحة تعفُّن تعمّ المكان فجأةً وتبيَّن أن هناك جثمانًا متعفّنًا قد أُتي به من مكان بعيد ليُطاف به حول القبر، مع أن مثل هذا العمل بدعة وقد نهى رسول الله ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام عن الطواف بقبر، كما لا يحبّذ شرع الإسلام حمل الجنازة من مدينة إلى أخرى، ولكن القائمين على أمور الدين لا يقومون بتوعية الناس حول هذه المسائل (وذلك لكي تُباع القبور في مدن مثل النجف ومشهد وقم و... بأسعار باهظة جدًا!) فقلتُ للخدّام: لماذا تَدَعُونهم يلوِّثون جوَّ الحرم بمثل هذه الروائح، أليس لهذه المدينة مركزٌ صحيٌّ؟ فقالوا: أيها الشيخ! ألا تعلم أنهم يصنعون من خشب تلك التوابيت المتعفّنة ذاتها والمليئة بالجراثيم سحَّارات يملؤونها من التمر ويرسلونها إلى نواحي البلاد!!

الروايات في باب فضل زيارة حضرة عليٍّ عليه السلام

روى المجلسيُّ والشيخ المفيدُ وابن قولويه و...... أنه: «**مَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَكْثَرَ مِنَ الْـمَلَائِكَةِ وَإِنَّهُ لَيَنْزِلُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَيَأْتُونَ الْبَيْتَ الْـمَعْمُورَ فَيَطُوفُونَ بِهِ، فَإِذَا هُمْ طَافُوا بِهِ نَزَلُوا فَطَافُوا بِالْكَعْبَةِ، فَإِذَا طَافُوا بِهَا أَتَوْا قَبْرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ أَتَوْا قَبْرَ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ أَتَوْا قَبْرَ الْـحُسَيْنِ عليه السلام فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ عَرَجُوا وَيَنْزِلُ مِثْلُهُمْ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»!![1].

قلتُ: في رأي كاتب هذه السطور لقد أراد واضع هذا الحديث أن يحرِّض الناس على الذهاب كل يوم آلافًا آلافًا لزيارة تلك القبور!

و روى أيضًا في الباب ذاته أنه: «**مَنْ زَارَ قَبْرَ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَارِفًا بِحَقِّهِ غَيْرَ مُتَجَبِّرٍ وَلَا مُتَكَبِّرٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ، وَغَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّر..!!**»[2].

هذا في حين أن الإمام ذاته استُشهد مرة واحدة فكان له أجر شهيد واحد. وقد قال عليٌّ عليه السلام: «**يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ**»[3]. وقال عليه السلام أيضًا: «**نَسْأَلُ اللهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ**»[4]، فلو قبلنا بتلك الرواية لأصبح ثواب الزائر أكثر من ثواب المزور، فتلك الرواية خفّضت من مقام الشهيد مع أن الله تعالى جعل للشهيد مقامًا رفيعًا جدًا وجعله إلى جانب الأنبياء والصديقين كما قال سبحانه: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ٣-فضل زيارته صلوات الله عليه والصلاة عنده، ص٢٥٧، ح ١. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **وسائل الشيعة**، ج ١٣، ص ٣٧٥، الحديث ١٩٤١٩ من الطبعة الجديدة بتحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ١٥٦.

(٤) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ٢٣.

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]. ولما كان الإمام عليّ عليه السلام حيًا لم يقل أحد أن ثواب زيارته هو ثواب شهيد واحد ولو قال أحدهم مثل ذلك لاستُهزأ به وقيل له لماذا تضيف على الإسلام شيئًا من عندك، ولكنّ وضّاعي الحديث في القرون التالية لفّقوا ما شاؤوا من الروايات!

وقد جاء في رواية موضوعة أخرى أن لزائر أمير المؤمنين عليه السلام في كل خطوة يخطوها ثواب حجة وعمرة مقبولة. وبناء على هذه الرواية المكذوبة يكون ثواب الزائر أكثر من ثواب مائة ألف حج هذا في حين أن الإمام ذاته ربما لم يحج أكثر من عشر حجات!

إذا قبلنا بهذه الروايات لم يبق هناك أي لزوم لتحمّل مشاقّ الجهاد أو الذهاب إلى الحج إذ يكفي بدلاً من ذلك أن يقوم الإنسان بزيارة قبور الأئمة مرة واحدة!! يعني أنه في الواقع يصبح القبر - حسب تلك الروايات- أكثر أهمية من الكعبة! وهذا هو هدف الشيطان والاستعمار بعينه، لأن الكعبة موضع وحدة المسلمين، أما القبور فسبب تفرّقهم وتشتُّتهم.

باب زيارات أمير المؤمنين المطلقة (التي لا تختصُّ بوقتٍ معيَّن)

كما قلنا، لقد ملؤوا في أبواب الزيارة مئات الصفحات من المدح والإطراء والثناء والتمجيد وآداب الزيارات التي تحتاج إلى أناس عاطلين عن العمل كي يقرؤوا كل تلك الزيارات في الليل والنهار فلا يتمكَّنوا من القيام بشيء آخر.

وقد ورد في بعض تلك الزيارات خطاب لأمير المؤمنين: «**يا أمينَ اللهِ في أَرْضِهِ**»، هذا مع أن الله تعالى اعتبر «جبريل» عليه السلام أمين وحيه وقال: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١﴾ [التكوير: ٢١] فلا ندري بأي شيء كان الإمام أمين الله، هل كان أمينه على حفظ دينه وعدم إعطائه لأحد أم على شيء آخر؟ ثم جاء في الزيارة: «**وَحُجَّتَهُ عَلَى عِبَادِهِ**» أي أن الأئمة عليهم السلام حجة الله على عباده، ولكن كما بيّنا سابقًا، أن القرآن الكريم ينفي وجود حجة بعد الرسل (النساء: ١٦٥).

وهنا نريد أن نعلم هل الأئمة عليهم السلام حجة على أهل زمانهم أم على من جاء بعدهم بمئات السنين ولم يرهم؟ إن قيل: إنهم حجة على من بعدهم فإن هذا سيخلق مشاكل لن تُحلَّ، لأن الأخبار والآثار المنسوبة إليهم مليئة بالمتناقضات الباطلة خلافًا للقرآن الكريم، فهل يمكن للحجّة أن تتضمن تناقضات وتكون متناقضة في نفسها؟

وكذلك ورد في تلك الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**أَنْتَ أَوَّلُ مَظْلُومٍ**» فهل يمكن التصديق بأنه لم يظلم أحد على الإطلاق قبل أمير المؤمنين عليه السلام؟ ولو افترضنا جدلاً أن هذه الجملة صحيحةٌ، فليس الهدفُ من وراء هذه الكلمات إلا إيجاد الخلاف والفرقة وإثارة النعرات وتوجيه الطعن واللعن؟ وهل نتوقع من مثل هذه الكلمات إلا هذه النتيجة؟[1]. وكذلك جاء في تلك الزيارة: «**جِئْتُكَ عَارِفاً بِحَقِّكَ مُسْتَبْصِراً بِشَأْنِكَ مُعَادِياً لِأَعْدَائِكَ**»! هذا في حين أنه في زمننا هذا لا يوجد عدوٌّ لعليّ سوى الذين غيّروا أصول دين عليّ عليه السلام وفروعه والتي كانت الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر فقط، فأضافوا عليها أصولاً وفروعًا أخرى باسم المذهب. فعليٌّ عليه السلام كان يعتبر نفسه تابعًا للدين ولم يكن يعتبر ذاته أو الإيمان به وبأولاده أصلاً من أصول الدين، أما أولئك الزائرون فإنهم اعتبروا الإيمان به من أصول الدين! كأن قرّاء هذه الزيارات لا يلتفتون إلى هذه الخرافات والترّهات أم إنهم يقتنعون بالجمل المسجَّعة والموزونة فقط؟

ثم يكشف الزائر الستار عن هدفه بعد مدح وإطراء ومغالاة، وهو خداع الإمام وإجباره على الشفاعة. وظنوا أنهم بهذه الكلمات الخداعة يخدعون الله والإمام، فيقول الزائر: «**فَاشْفَعْ لِي إِلَى رَبِّكَ يَا مَوْلَايَ فَإِنَّ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ مَقَاماً مَعْلُوماً**». وهنا نسأل: هل الشفاعة بيد الزائر أم بيد الإمام؟ وهل الله عز وجل يعرف العبد المقصّر المستحق للشفاعة أم الأئمة؟ وهل الإمام والله عز وجل سواء في معرفة العبد؟ الحقيقة التي قررها القرآن الكريم هي أن شفاعة النبي والإمام لشخص معيَّن تحتاج إلى إذن الله ابتداءً، فالله تعالى وحده الذي يعلم المستحقَّ

---

(١) إن تلك الجمل لا تفيد سوى السلاطين الصفويين الخبثاء والمفرّقين الذين يستفيدون منها لخلق الخصومة والفساد والأحقاد بين المسلمين.

للشفاعة من عباده، إذْ هو وحده البصير بعباده العليم بسرائرهم وضمائرهم وما تخفي صدورهم، وليس للأنبياء ولا الأئمة علمٌ بحقيقة العباد وسرائرهم، من هنا يقول سبحانه وتعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقول: ﴿قُلْ لِـلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا...﴾ [الزمر: ٤٤]. فإذا كانت الشفاعة بيد الله وحده فلا فائدة من طلبها من النبيّ أو الإمام، بل لا بدَّ من العمل بمرضاة الله وطلب الغفران منه وحده، وبالتالي فإن الزائر سأل من لا يملك وطمع بما لا طائل تحته وأضاع وقته سدى.

والإشكال الآخر في تلك الزيارة ذلك الدعاء الوارد في آخرها والذي يقول: «**بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ آبَائِي**» فكيف يكون أئمة أهل البيت عليهم السلام آباء الزائر؟! وهل يمكن اعتبار حضرة الزهراء أبًا لأحد؟ نحن لا ندري من الذي وضع تلك الزيارات؟ هل كان قصده خداع الشيعة وإلباسهم ثوب الغرور؟

ثم بعد تلك الزيارة وضعوا رواية منسوبة إلى الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها: «**مَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَلَا دَعَا بِهِ أَحَدٌ مِنْ شِيعَتِنَا عِنْدَ قَبْرِ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ أَوْ عِنْدَ قَبْرِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ** عليهم السلام **إِلَّا رُفِعَ دُعَاؤُهُ فِي دَرَجٍ مِنْ نُورٍ، وَطُبِعَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله وسلم**، وَكَانَ مَحْفُوظًا كَذَلِكَ حَتَّى يُسَلَّمَ إِلَى قَائِمِ آلِ مُحَمَّدٍ** عليه السلام **فَيَلْقَى صَاحِبَهُ بِالْبُشْرَى وَالتَّحِيَّةِ وَالْكَرَامَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى**»[1].

ولا أدري هل أرادوا السخرية بمثل هذه الرواية، لأنه ما الفائدة من رفع دعائه في درج من نور وختمه بخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتسليمه إلى قائم آل محمد ليحفظه للداعي؟ ثم إنه لم يكن هناك قائم في زمن الإمام الباقر حتى يقول إن دعاء الزائر سيُرفع ويسلّم إليه ليحفظه!! إن مختلق هذه الروايات لم يكن يدري ما يُلَفِّقُهُ من كلام!

وفي الزيارة رقم ١٤ يمنّ الزائر على ربِّهِ فيقول: «**اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَزَائِرُكَ مُتَقَرِّبٌ إِلَيْكَ بِزِيَارَةِ قَبْرِ أَخِي رَسُولِكَ، وَعَلَى كُلِّ مَأْتِيٍّ حَقٌّ لِمَنْ أَتَاهُ وَزَارَهُ، وَأَنْتَ خَيْرُ مَأْتِيٍّ وَأَكْرَمُ مَزُورٍ**»[2]، فما معنى قوله: «**عَبْدُكَ وَزَائِرُكَ**»؟ ألا يدري أن الله لا يمكن زيارته؟!

---

(١) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص ٢٦٨. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص٢٧١. (المُتَرْجِمُ)

وفي موضع آخر من هذا الدعاء أُطلق على أمير المؤمنين عليه السلام لقب «**صاحب الميسم**» والمقصود منه أن الإمام يَسِمُ أي يكوي وجوه المؤمنين والكافرين لكي يضع على جبينهم علامة بأن فلانًا مؤمن وفلانًا كافر. وهذا عمل لغو إذ ما الداعي إليه؟ هل يريد أن يعرّف الناس لِـلَّهِ أو لملائكته وهم في غنى عن تلك العلامة؟ أم يريد أن يعرّف الناس للناس مع أن هذا لا يفيد في شيء ولا نتيجة له كما أنه لا يفيد يوم القيامة لأن المؤمنين في ذلك اليوم ستبيض وجوههم والمجرمين والكفار سيُحشرون سود الوجوه ولا حاجة لعلامات إضافية.

ونقرأ كذلك في تلك الزيارة شهادة الزائر للإمام: «**أَنَّكَ بَابُ اللَّهِ وَأَنَّكَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ**»!

أما حضرة أمير المؤمنين عليه السلام فإنه يقول: «**فَاسْتَفْتِحُوهُ واسْتَنْجِحُوهُ واطْلُبُوا إِلَيْهِ واسْتَمْنِحُوهُ فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ولا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ وإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ وفِي كُلِّ حِينٍ وأَوَانٍ ومَعَ كُلِّ إِنْسٍ وجَانٍّ**»[1].

ويقول أيضًا: «**واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ...**»[2].

والإمام السجاد عليه السلام يقول كذلك مناجيًا ربَّه: «**بابُكَ مَفْتُوحٌ للرَّاغِبِيْنَ**»[3]، وبالتالي فالله تعالى شأنه ليس كالسلاطين الذين لهم حُجَّاب وأبواب يُدخل من خلالها إليهم، بل هو أقرب إلى عباده من حبل الوريد[4].

فهكذا يتبيَّن أن مطالب تلك الزيارة مخالفة [للقرآن الكريم] كما هي مخالفة في الواقع لعقائد الأئمّة الهداة من آل النبيّ عليهم السلام.

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٩٥.

(٢) **نهج البلاغة**، الرسالة ٣١.

(٣) **الصحيفة السجادية**، دعاؤه يوم الفطر.

(٤) وهو القائل أيضًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. (المُتَرْجِمُ)

وأما قوله «**وأنّكَ وجهُ الله**» فلا يصحّ لأن «**وجه الله**» - كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] يدلّ -كما قال المُفَسِّرون في تفسيرها- على عناية الله، وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن «وجه الله ذاته» وليس لِـلَّهِ وجه جسماني وإنما سُميت عناية الله بالوجه لأن كل من توجّه إلى شيء واعتنى به فإنما يفعل ذلك بوجهه فأُطلقت كلمة «الوجه» بحقِّ الله لهذا السبب، ولكن علم الله ذاتيٌّ وهو محيط بكلِّ شيء بذاته. فوجْهُ الله ذاته، وإذا رُويت رواية عن الغلاة تخالف هذه الحقيقة فيجب عدم قبولها.

وفي هذه الزيارة أيضًا قول الزائر للإمام: «**أنتَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**»، مع أن الإمام عليًّا عليه السلام سالكٌ للصراط المستقيم وليس عين الصراط لأن الإمام كان يصلِّي على الأقلّ خمسين ركعة في اليوم ويقرأ في صلاته: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]، فإذا كان الإمام ذاته الصراط المستقيم لما جاز أن يطلب من الله أن يهديه إلى نفسه. وحتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذاته كان هاديًا للناس إلى الصراط المستقيم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣]. فخاتم النبيين ذاته صلى الله عليه وآله وسلم مرشدٌ للناس إلى الصراط المستقيم لا أنه هو ذاته الصراط المستقيم!

وفي موضع آخر من الزيارة نقرأ: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللَّهِ، يَا عَمُودَ الدِّيْنِ**» هذا في حين أن الاصطفاء خاصٌّ بالأنبياء، وعمود الدين – طبقًا لتعليمات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- هو الصلاة وإذا كان عمود الدين هو الإمام لزال ذلك العمود بوفاة الإمام!

وفي موضع آخر من الزيارة يقول الزائر للإمام: «**أَتَيْتُكَ وَافِدًا لِعَظِيمِ حَالِكَ وَمَنْزِلَتِكَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِنْدَ رَسُولِهِ أَتَيْتُكَ مُتَقَرِّبًا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِزِيَارَتِكَ فِي خَلَاصِ نَفْسِي مُتَعَوِّذًا بِكَ مِنْ نَارٍ اسْتَحَقَّهَا مِثْلِي بِمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي**»!!

وأقول: إذا كان كل من استحقّ نار جهنّم بسوء عمله يمكنه باللجوء إلى مخلوق آخر أن ينجو من عقاب الله، فلن يبقى هناك إذن أي معنى لخلق النار والجحيم ولا أي مفهوم للعقاب الإلهي. هذا إضافة إلى أن اللهَ تعالى أمرنا في مواضع عديدة من كتابه الكريم أن نلجأ

إلى الله، بل أمر رسولَه الكريم ﷺ ذاتَه أن لا يلجأ إلا إلى الله. في أي موضع من القرآن أو السنة أُمرنا بأن نلجأ إلى مخلوق؟ أليس رسول الله ﷺ هو القائل: «**سُبْحَانَ الَّذِي لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ**»[1] ويقول في دعاء آخر: «**يَا مَنْ لَا مَفْزَعَ إِلَّا إِلَيْهِ،... يَا مَنْ لَا يُسْتَعَانُ إِلَّا بِهِ، يَا مَنْ لَا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، يَا مَنْ لَا يُرْجَى إِلَّا هُو، يَا مَنْ لَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا إِلَيْه... يَا مَنْ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا هُو**». (دعاء الجوشن الكبير، الفقرات ٣٨ و٣٩ و٩٠).

أولم يقرأ هؤلاء أدعية عليّ عليه السلام الذي كان يخاطب ربه متأسِّيًا بنبيه ﷺ فيقول: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا أَنْتَ**»[2].

ويقول في دعاء آخر: «**لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنَ اللهِ (مِنْهُ) إِلَّا إِلَيْهِ**»[3]، ويقول مستلهمًا من الآية ٢٢ من سورة «**الجنّ**» الكريمة: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَنْ يُجِيرَنِي مِنكَ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِكَ مُلْتَحَدًا**»[4]، ويقول مستلهمًا من الآية ٦٨ من سورة «**الفرقان**» المباركة: «**اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِنَ... الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**»[5].

ويدعو حفيده الكريم حضرة الإمام الصادق عليه السلام مستلهمًا من الآية ٥٦ من سورة الإسراء المباركة فيقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَيَّرْتَ أَقْوَاماً فِيْ كِتَابِكَ فَقُلْتَ**: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]؛ **فَيَا مَنْ لَا يَمْلِكُ كَشْفَ ضُرِّي وَلَا تَحْوِيلَهُ عَنِّي أَحَدٌ غَيْرُهُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاكْشِفْ ضُرِّي**»[6].

أضف إلى ذلك، أن الإمام عليًّا عليه السلام رحل عن هذه الدنيا الفانية وانتقل إلى دار البقاء ولم يعد موجودًا في عالم الدنيا حتى يلتجئ إليه ذلك المغالي، وقد اعتبر الإمامُ نفسَه – في وصيّته التي أوصى بها بعد أن ضربه ابن ملجم– فانيًا مفارقًا فقال: «**أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ والْيَوْمَ**

(١) **مفاتيح الجنان**، من التسبيحات المتعلقة بأعمال يوم عرفة، نقلاً عن كتاب «**الإقبال**» للسيد ابن طاووس.

(٢) **الصحيفة العلوية**، دعاؤه في اليوم الثاني من الشهر.

(٣) **الصحيفة العلوية**، دعاؤه في التهليل ودعاؤه عند دخوله المسجد.

(٤) **الصحيفة العلوية**، دعاؤه في اليوم الرابع والعشرين من الشهر، ومفاتيح الجنان، دعاء «أبي حمزة الثمالي».

(٥) **الصحيفة العلوية**، دعاؤه في اليوم الثاني والعشرين من الشهر.

(٦) **مفاتيح الجنان** (الباقيات الصالحات) الباب الثالث من أدعية العافية وغيرها.

عِبْرَةٌ لَكُمْ وغَدًا مُفَارِقُكُمْ إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي وإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي»[1].

إن أولئك الغلاة يريدون بتلك الخرافات وعبارات الكفر أن ينقذوا أنفسهم من العذاب والحساب باسم ذلك الإمام الهمام الذي كان ذاته يتأوَّه من خشية الله ويخاف من عذابه، متخيِّلين بأنهم بعملهم بتلك البدع سيُصرف النظر عن جرائمهم!! فما أبطل خيالهم وما أبعد ما يتوهَّمون!

ويروي المجلسيُّ في الحديث رقم ١٥ من هذا الباب [نقلاً عن كتاب فرحة الغريّ] عن مزار ابن المشهدي بسنده عَنْ صَفْوَانَ الْـجَمَّالِ قَالَ: لَمَّا وَافَيْتُ مَعَ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عليه السلام الْكُوفَةَ، يُرِيدُ أَبَا جَعْفَرٍ الْـمَنْصُورَ، قَالَ لِي: **يَا صَفْوَانُ! أَنِخِ الرَّاحِلَةَ فَهَذَا قَبْرُ جَدِّي أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ، فَأَنَخْتُهَا ثُمَّ نَزَلَ فَاغْتَسَلَ وَغَيَّرَ ثَوْبَهُ وَتَحَفَّى..... وَقَالَ لِي: قَصِّرْ خُطَاكَ وَأَلْقِ ذَقَنَكَ الْأَرْضَ فَإِنَّهُ يُكْتَبُ لَكَ بِكُلِّ خُطْوَةٍ مِائَةُ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَيُمْحَى عَنْكَ مِائَةُ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَتُرْفَعُ لَكَ مِائَةُ أَلْفِ دَرَجَةٍ وَتُقْضَى لَكَ مِائَةُ أَلْفِ حَاجَةٍ، وَيُكْتَبُ لَكَ ثَوَابُ كُلِّ صِدِّيقٍ وَشَهِيدٍ مَاتَ أَوْ قُتِلَ**... الخ»!![2].

لا حظوا أن ما ذُكر هو ثواب خطوة واحدة! فمعنى ذلك أنه عندما سيصل إلى القبر سيكون له ثواب مليارات الصدِّيقين والشهداء!! هذا في حين أن حضرة أمير المؤمنين عليه السلام ذاته نال ثواب شهيد واحد لأنه استُشهد مرَّةً واحدةً، وجميع الأئمة عليهم السلام كانوا يسألون الله في أدعيتهم ثواب الشهادة في سبيله أي ثواب شهيد واحد. ومن الطريف أن رواية «صفوان» هذه يُفهم منها أنه لم يكن هناك أثرٌ مُشاهَدٌ للقبر حتى أخبره الإمام الصادق عليه السلام بأن هذه البقعة هي مكان قبر جدِّه، هذا في حين أن «صفوان الجمّال» ذاته يخبرنا في الحديث رقم ١٨ أنه سأل الصادق عليه السلام عن زيارة مرقد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**فَقَالَ يَا صَفْوَانُ إِذَا أَرَدْتَ ذَلِكَ فَاغْتَسِلْ وَالْبَس ثَوْبَيْنِ طَاهِرَيْنِ وَنَلْ شَيْئًا مِنَ الطِّيبِ**.... (إلى قوله):.... **فَإِذَا تَرَاءَتْ لَكَ الْقُبَّةُ الشَّرِيفَةُ فَقُلِ الْـحَمْدُ لِـلَّهِ عَلَى مَا اخْتَصَّنِي بِهِ مِنْ طِيبِ الْـمَوْلِدِ**... الخ (إلى قوله):.... **فَإِذَا نَزَلْتَ الثُّوَيَّةَ وَهِيَ الْآنَ تَلٌّ بِقُرْبِ الحَنَّانَةِ عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ لِمَنْ يَقْصِدُ مِنَ الْكُوفَةِ إِلَى الْـمَشْهَدِ فَصَلِّ عِنْدَهَا رَكْعَتَيْنِ**.. الخ (إلى قوله):.. **فَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى بَابِ الْـحِصْنِ فَقُلِ الْـحَمْدُ**

---

(١) **نهج البلاغة**، الرسالة ٢٣.

(٢) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص ٢٧٩ - ٢٨٠. (المُتَرْجِمُ)

لِـلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا..الخ (إلى قوله): **ثُمَّ ادْخُلْ وَقُلِ الْـحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي أَدْخَلَنِي هَذِهِ الْبُقْعَةَ الْـمُبَارَكَةَ**.... الخ (إلى قوله)... **فَإِذَا بَلَغْتَ بَابَ الصَّحْنِ فَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْـحَرَمَ حَرَمُكَ وَالْـمَقَامَ مَقَامُكَ**.... الخ (إلى قوله)... **ثُمَّ قَبِّلِ الْعَتَبَةَ وَقَدِّمْ رِجْلَكَ الْيُمْنَى قَبْلَ الْيُسْرَى وَادْخُلْ وَأَنْتَ تَقُولُ: بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ**.... الخ»[1].

فهذه الرواية تناقض الرواية السابقة تمامًا لأنها تفيد أن القبر كان بناءً ظاهرًا له صحنٌ وعتبةٌ وبابٌ [وطبعًا هذا ليس بصحيح]، وهذا يبيِّنُ كيف ينطبق على أولئك الكذّابين الوضّاعين المَثَلُ القائل: «**حبل الكذب قصير**»!

ومما جاء في هذه الزيارة أيضًا وصف حضرة الأمير عليه السلام بأنه «**خازن الوحي**»، وجاء فيها أيضًا أنه إذا دخلتَ المدينة فقل: «**اللَّهُمَّ لِبَابِكَ وَقَفْتُ**» ولا ندري هل اعتبرَ بابَ المدينة بابَ الله أم اعتبر عليًا عليه السلام بابَ الله؟!! وعلى كلّ حال فقد جعل لِـلَّهِ بابًا ثم قال: «**ثمّ امش حتى تقف على الباب في الصحن وقل**.... **يَا مَوْلَايَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ!**...(إلى قوله)... **وَأَمِينَ رَبِ الْعَالَمِينَ وَدَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ**» هذا في حين أن عشرات الآيات القرآنية تنصُّ على أن «**أَمِين رَبِ الْعَالَمِينَ**» صفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن «**دَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ**» صفةٌ للحقِّ تعالى الذي يقول في كتابه: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٩].

ويتواصل متن الزيارة الطويل المليء بالعبارات المغالية حتى يصل إلى قول الزائر: «**السَّلَامُ عَلَى مِيزَانِ الْأَعْمَالِ وَمُقَلِّبِ الْأَحْوَالِ**» هذا في حين أن ميزان الأعمال ومعيار الحق والباطل في الأفعال هو كتاب الله وقوانين شريعته وليس عليًا عليه السلام، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ [الشورى: ١٧].

ونتساءل هنا: بأي ميزان ستُقاس أعمال الإمام عليّ عليه السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إن كان عليٌّ ذاته هو الميزان، وكيف سيزن الميزان نفسه؟ أضف إلى ذلك أن الله تعالى جعل الكتاب السماوي المنزَّل على كل أمَّة ميزانًا لها وبيَّن أن كلَّ أمَّةٍ ستُدعى يوم القيامة إلى كتابها كما قال

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص ٢٨٠ - ٢٨٣. (المُتَرْجِمُ)

سبحانه: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا﴾ [الجاثية: ٢٨].

وأما عبارة «**مُقَلِّبِ الْأَحْوَالِ**» التي وردت في الزيارة فهي خاصَّة بالله المتعال، أما الأنبياء والأولياء فلا يملكون تقليب أحوال أنفسهم فضلاً عن غيرهم، كما قال تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وكما أمر نبيه أن يقول: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]. فإذا كان رسول الله ﷺ لا يدري ما أحوال الآخرين؛ وبالتالي لا يمكنه تقليب أحوالهم، فكيف يستطيع الإمام ذلك؟ إن أحوال العباد بيد الله وحده وهم تحت نظر الله وهو وحده مقلّب القلوب والأحوال لا غيره. وقد قال تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]. إذن مقلّب القلوب ومقلّب الأحوال والمؤثر هو الله المتعال، ولا ندري لماذا يصرّ وضّاعو تلك الزيارات على إثبات صفات الله وأسمائه للإمام وجرّ الناس نحو الشرك؟

ثم نقرأ في تلك الزيارة «**اَلسَّلامُ عَلَى شَجَرَةِ التَّقْوَى، وَسَامِعِ السِّرِّ وَالنَّجْوَى**»، هذا مع أن هذه الصفة الأخيرة مختصَّةٌ – كما تنصُّ عديد من آيات القرآن - بالله تعالى وحده كما قال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ [الأنعام: ٣]، ويقول: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧﴾ [البقرة: ٧٧]، يقول: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣﴾ [الملك: ١٣] ويقول: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧] ويقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨].

فليت شعري هل عليٌّ عليه السلام هو الله – والعياذ بالله- حتى يعلم أسرار الناس وخفايا قلوبهم؟! لقد جاءت في «نهج البلاغة» نصوصٌ تبيّن بوضوح أن عليًّا عليه السلام لم يكن بمقدوره أن يطَّلع على خيانات بعض أمرائه وقوَّاده إلا عن طريق عيونه وجواسيسه أو عن طريق رسائل الناس، كما كتب في رسالةٍ له يقول: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي...**»[1]، كما أنه عيَّن «**عُبَيد الله بن عباس**» واليًا على «**البصرة**» فاختلس مبلغًا كبيرًا من

---

(١) **نهج البلاغة**، الرسالة ٣٣.

بيت المال فلمّا علم الإمام بذلك بكى على المنبر[١]. كما أنه عيّن «المنذر بن جارود» لجمع الصدقات ولكنّه أخذ الأموال لنفسه والتحق بمعاوية[٢]! فكتب له الإمام بعد اطلاعه على خيانته: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ وظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وتَسْلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا ولا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَادًا...**»[٣]، وعيَّن «**أبا موسى الأشعري**» واليًا على «**الكوفة**» فظهر أنه لم يكن موفقًا و لم يخدم الإمام كما يجب**!** و عيَّن «**كميل بن زياد النخعي**» واليًا على «**هيت**» فترك الدفاع عن المدينة ولم يدفع غارة جيش العدوِّ عليها بل سلَّمها دون مقاومة فكتب له الإمام رسالةً يذمُّه فيها ويوبِّخه على ذلك[٤]، وعهد الإمام بولاية «**فارس**» إلى «**زياد بن أبيه**» فانقلب عليه و أصبح من أعوان معاوية وقام بقتل كثير من أعوان أمير المؤمنين**!**[٥] وكذلك عيَّن «**مصقلة بن هبيرة**» عاملاً له على «**اردشير خُرَّة**»[٦] ولكنه خان الأمانة وقام بتقسيم الفيء -أي بيت مال المسلمين- بين أقربائه**!**[٧] وقام بعزل «**قيس بن سعد بن عبادة**» الذي كان من الرجال المجرِّبين المحنَّكين المحبِّين للإمام

---

(١) **نهج البلاغة**، الرسالة ٤١. (المؤلف). قلت (المُتَرْجِمُ): ليس في نص الرسالة ذكر لاسم عبيد الله بن عباس ولا غيره، بل كل ما فيها توبيخ الإمام لشخصٍ من عمّاله خان الأمانة واستولى على أموال بيت المال.

(٢) إن الذين يحبون عليًا عليه السلام بصدق ويتولونه بإخلاص لا بمجرّد الادعاء والذين يعلمون كيف كانت حياة ذلك الإمام الهمام وشخصيته، يعرفون تمام المعرفة أنه كان شديد الحرص على رعاية حق الناس وحفظ أموال بيت مال المسلمين وأنه كان بالغ الدقّة في هذا الأمر، إلى حد أنه لم يكن يرضى أن يُصرف زيت مصباح بيت المال على أمر شخصي لا يتعلَّق بأمور الناس، كما لم يكن يسمح لأقرب أقربائه أن يستفيدوا من بيت المال بأدنى مقدار إضافي على ما يأخذه الآخرون، وبناءً عليه فإنه من المستحيل أن يعهد مثل هذا الإمام لشخص بأمر يتعلق بالأموال العامة أو يولِّيَه أمرًا من أمور المسلمين إلا إذا كان حسن الظن به وكان لا يحتمل خيانته ولو بأدنى احتمال.

(٣) **نهج البلاغة**، الرسالة ٧١.

(٤) **نهج البلاغة**، الرسالة ٦١.

(٥) **نهج البلاغة**، الرسالة ٤٤.

(٦) بلدةٌ من بلاد العجم في جنوب إيران ذكر المؤلف أنها خوزستان. (المُتَرْجِمُ)

(٧) **نهج البلاغة**، الرسالة ٤٣.

المخلصين له عن ولاية مصر تأثُّرًا بوشاية بعض النَّمامين [التي تبيَّن كذبها فيما بعد]، وعيَّن مكانه ابنَه المُتَبَنَّى «**محمد بن أبي بكر**» الذي تبيَّن أنه لم يكن يمتلك التجربة والحنكة الكافية للتصدِّي لتلك المسؤولية وبالتالي سقطت مصر وخرجت من سلطة أمير المؤمنين.

هل يجوز أن نقول إن عليًّا عليه السلام كان يعلم أن أولئك الأفراد المذكورين كانوا خَوَنَة أو لم يكونوا أهلاً للمسؤولية ورغم ذلك عيَّنهم الإمام في مناصب مهمَّة وبالتالي كان شريكًا لهم على نحو ما في خياناتهم؟! يجب أن نقول: معاذ الله! إن الأمر ليس كذلك بكل تأكيد. إذن فما معنى تلك الأباطيل مثل عبارة «**سَامِعِ السِّرِّ وَالنَّجْوَى**» التي جاءت في نص الزيارة؟

يجب أن نعلم أن جميع الأنبياء والمرسلين الذين رحلوا عن الدنيا لم تكن ولا لهم الآن نصوص زيارات، ولكن المجلسيّ يقول في كتاب المزار من كتابه «البحار» في الزيارة رقم ١٨ بأن علماء الشيعة كتبوا نص زيارة لزيارة آدم ونوح عليهما السلام، ولكنهم لم يكتبوا نصوص زيارات لزيارة صالح وهود وإبراهيم عليهم السلام، وأنه يجدر صياغة زيارة لهم! وفي رأيي أن هؤلاء السادة لم يكن عندهم عمل يشغلهم لذلك أخذوا يكتبون زيارات لكل من رحل عن هذه الدار!

وقد استَشهَدَ واضعُ الزيارة رقم ١٨ في معرض إثباته لشفاعة حضرة أمير المؤمنين عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَ لَمْ يدرِ أن الشفاعة في هذه الآية هي فعل الملائكة، علاوةً على أن الله تعالى جعل الشفاعةَ في هذه الآية موقوفةً على إذنه ورضاه وإرادته، ولا تتمّ بإرادة الملائكة والعباد لأنّ الله تعالى وحده الذي يعلم أحوال عباده وحقيقة أفعالهم، وقد اعتبر الإمامُ عليٌّ عليه السلام ذاته – في نهج البلاغة – تلك الآيةَ متعلقةً بشفاعة الملائكة[1]، فيبدو أن واضع تلك الزيارة لم يرَ نهج البلاغة، لأن مرجع الضمير في ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ في الآية ذُكِر قبلها لذا اعتبر الإمام علي تلك الآيات متعلقة بشفاعة الملائكة.

أضف إلى ذلك، أن الإمام يقول عن يوم القيامة: «**فَلا شَفِيعٌ يَشْفَعُ ولا حَمِيمٌ يَنْفَعُ**»[2]،

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة رقم ٩١.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٩٥.

ويعتبر تقوى الله وطاعته هي الشفيع للإنسان يوم المعاد فقال: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ... فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ... فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ... وشَفِيعًا لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ**»[1]، كما يعتبر القرآنَ الكريم هو الشفيع يوم القيامة لمن عمل به: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لا يَغُشُّ والهَادِي الَّذِي لا يُضِلُّ والمُحَدِّثُ الَّذِي لا يَكْذِبُ... واعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وقَائِلٌ مُصَدَّقٌ وأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ**»[2]. واعتبر في دعائه اللهَ تعالى هو الشفيع وقال: «**وَالشَّافِعُ لَهُمْ، لَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَكَ يَحُولُ دُونَهُم**»[3]. فبناء على كل ذلك فإن هذا الزائر الجاهل الذي يقول: «**فَإِنَّ لِيْ ذُنُوباً كَثِيراً**» لا يشمله قوله تعالى: ﴿لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾، فعليه أن يذهب ويتوب من ذنبه.

وورد في متن هذه الزيارة أيضًا مخاطبة أمير المؤمنين بعبارة: «**إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ سَلَامِي**» هذا في حين أننا أثبتنا في الصفحات الماضية أن هذه الجملة باطلة. ولقد ظن هؤلاء الجاهلون أن البشر (سامعون كل صوت) كمثل الله تعالى!! ولو سمع الأنبياء جميع الأصوات لخروا صعقى، كما حصل لموسى عندما سمع صوتًا من الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣][4]، وكان الأئمة عليهم السلام حالَ حياتهم، إذا كلّمهم عدّة أشخاص في وقت واحد يعجزون عن فهم كلامهم، فما بالك في ذلك بعد وفاتهم! وأساسًا، إن صفة سماع كل الأصوات في وقت واحد من الصفات الخاصة بالله سبحانه كما جاء ذلك في كثير من الأدعية ومن جملتها دعاء الجوشن الكبير (الفقرة ٩٩) حيث نقرأ: «**يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، يَا مَنْ لَا يَمْنَعُهُ فِعْلٌ عَنْ فِعْلٍ، يَا مَنْ لَا يُلْهِيهِ قَوْلٌ عَنْ قَوْلٍ، يَا مَنْ لَا يُغَلِّطُهُ سُؤَالٌ عَنْ سُؤَالٍ، يَا مَنْ لَا يَحْجُبُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ**»،

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٩٨.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٧٦.

(٣) **الصحيفة العلوية**، دعاؤه في اليوم الرابع عشر من كل شهر.

(٤) يقول المترجم والمحقق: استدلال المؤلف رحمه الله بهذه الآية ليس في محله، لأنها لا تدلّ على أن موسى عليه السلام خرَّ صعقًا لسماعه صوتًا من الجبل بل لأن ربّه تجلى للجبل فجعله دكًّا: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣] (المُتَرْجِمُ).

ولا شك أن هذه الصفات لا يمكن أن نثبتها لأحد سوى الله عزَّ وجلَّ.

وفي الزيارة رقم ٢٠ من هذا الباب نقرأ عبارة: «**إِنِّي عُذْتُ بِأَخِيْ رَسُولِكَ**»، هذا مع أن القرآن الكريم أوصانا مرارًا أن نعوذ بالله وحده وأن لا نلجأ إلا إليه.

لقد جمع المجلسيُّ في كتابه هذا كلَّ زيارة رآها - في ظنه - حسنة العبارة مسجَّعة الكلمات، ومن جملة ذلك يقول بشأن الزيارة رقم ٢٢: «**إنها زيارة مليحة**» ثم ينقل لنا زيارة من وضع الغلاة واختلاقهم، وفي الزيارة رقم ٢٣ يأتينا بزيارة هي يقينًا من وضع النصارى أو المشبِّهة الذين يثبتون لِـلَّهِ الأعضاء والجوارح، إذ نقرأ فيها مخاطبة الزائر للإمام عليٍّ عليه السلام بعبارة: «**اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ اللَّهِ النَّاظِرَةَ وَيَدَهُ الْبَاسِطَةَ وَأُذُنَهُ الْوَاعِيَةَ**» فاخترع واضع الزيارة لِـلَّهِ تعالى بابًا وعينًا ويدًا وأذنًا منفصلة!!! ثم يقول في موضع آخر مخاطبًا الإمام: «**السَّلَامُ عَلَى الْأَصْلِ الْقَدِيمِ وَالْفَرْعِ الْكَرِيمِ السَّلَامُ عَلَى الثَّمَرِ الْجَنِي**». فهنا يصف واضع هذه الزيارة عليًّا عليه السلام بما وصفت النصارى به المسيح بن مريم عليه السلام بأنه قديم وأنه ثمرة الخليقة!! ويبدو أن هذا الزائر يقول بتعدد القدماء ولا يدري أن مثل هذا القول شرك بإجماع علماء الإسلام!

مرجع الشيعة الإمامية في عصره يأمر بإزالة هذه الزيارة الشركية

سمعتُ أن الشيخ «**محمد حسن النجفي**»[1] صاحب «**جواهر الكلام**» الذي كان من مراجع الشيعة الكبار دخل يومًا مرقد أمير المؤمنين عليه السلام فرأى هذه الزيارة ذاتها معلَّقةً فيه، فاستدعى الخدّام وقال لهم: ارفعوا هذه الزيارة الشركيّة ومزِّقوها، فعملوا بأمره. لكن رغم ذلك قام الشيخ «**عباس القميّ**» - مع الأسف - بعد سنوات بإدراج هذه الزيارة الباطلة ضمن كتابه «**مفاتيح الجنان**» تحت عنوان «**الزيارة السادسة**» وقدّمها للعوام!!.

---

(١) هو آية الله الفقيه الأصولي الشيخ «محمَّد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرَّحيم»، انتهت إليه الرئاسة العامة لفرقة الشيعة الإمامية في عصره والمرجعيَّة في التقليد وكان إمام علمائهم المحقِّقين ومن أعلام القرن الثالث عشر الهجري ونوابغه، اشتهر بالشيخ حسن الجواهري بسبب موسوعته الفقهية الكبيرة المُقَارَنَة المُسَمَّاة: «**جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام**» التي تقع في أكثر من ٥٠ مجلدًا. توفي سنة ١٢٦٦هـ. (المُتَرْجِمُ)

في هذه الزيارة عبارةٌ تصف الأئمَّة بأنهم مشرِّعو الأحكام وتقول: «**وَعَلَى الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ الَّذِينَ... فَرَضُوا عَلَيْنَا الصَّلَوَاتِ**»! هذا في حين أن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٦﴾ [الكهف: ٢٦]، ويقول: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ويقول: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣] حيث يرجع الضمير المستتر لفعل ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ إلى «**الله**» الذي ذُكِرَ في الآية التي قبلها. وقال سبحانه أيضًا: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، وبناءً عليه فإن التشريع وفرض الأحكام خاصٌّ بالله تعالى ولا يحقُّ لأيِّ إمام أو حاكمٍ أن يشرع للبشر أحكامًا بوصفها دينًا.

وفي هذه الزيارة أيضًا عبارة تصف عليًّا عليه السلام بأنه شجرة طوبى وبأنه سدرة المنتهى وبأنه آدم ونوح وعيسى وموسى!! ويبدو أن واضعَ تلك الزيارة كان يعتقد أن الإمامَ هو عينُ كلِّ شيء! كما يعتقد ذلك أصحاب «**وحدة الوجود**» الذين يتصوَّرُون أنَّ اللهَ عينُ الخلقِ والخلقَ عينُ الخالقِ! وبالتالي عليٌّ هو موسى ذاته، وموسى هو عليٌّ والعياذ بالله من هذه الضلالات والخرافات.

وفي هذه الزيارة أيضًا عبارة: «**السَّلَامُ عَلَى حَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ**» هذا مع أن الإمام عليًّا عليه السلام ذاته اعتبر مرارًا أن حبل الله المتين هو القرآن الكريم، وقال في ذلك: «**وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَإِنَّهُ الحَبْلُ المَتِينُ..**»[1] وقال: «**وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ...**»[2] فالإمام يعتبر القرآن الكريم حبل الله المتين الذي يجب على الإمام ذاته كما يجب على جميع المسلمين أن يتمسَّكوا به ويعتصموا به. ولكن واضع تلك الزيارة لفّق كل ما أراد ولو كان مخالفًا لكتاب الله ومخالفًا لكلام أمير المؤمنين عليه السلام ذاته! ومن هنا ندرك مقدار إيمان أمثال هؤلاء الغلاة بكلام عليٍّ عليه السلام وحقيقة دعوى محبتهم له وتعلّقهم بالأئمَّة عليهم السلام.

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٥٦.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٧٦.

[التلاعب بمعاني بعض آيات القرآن][1]

قال الله تعالى في وصف عظمة القرآن: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ٣، ٤]، فلاحظوا أن صفتي «**العَليّ**» و«**الحكيم**» هما في تلك الآية للقرآن الكريم، ولكن واضع الزيارة حرّف معاني القرآن وجعل هاتين الصفتين خاصَّتين بالإمام عليّ عليه السلام فقال: : «**السَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ الدَّلَالاتِ... الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ فَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾»! فانظروا كيف يتلاعب هذا الوضّاع بمعاني آيات القرآن لتحقيق هدفه وكيف جعل «**العَليّ**» و«**الحكيم**» اللتان هما صفتان للقرآن صفتين أو اسمين لعليّ بن أبي طالب عليه السلام!

[رحمة الله تعالى وكرمه هي الشفيع المستشفع به في أدعية الأئمة الكرام]

والطريف أنه رغم كل هذه الأباطيل المخرِّبة للإسلام فإن هذا الزائر يطلب الشفاعة!! وإني أتصوّر أنْ لو كان الإمام عليٌّ عليه السلام حيًّا وقال لأمثال هؤلاء الغلاة: «إن الشفاعة بيد الله وحده وليست بيدي أنا وكما أنها ليست باختياركم ورغبتكم»، لعادَوْهُ وخالفوه! ذلك لأنهم اخترعوا لأنفسهم شفاعةً تخلِّصهم من كلِّ ذنب وتسهِّل عليهم ارتكاب المعاصي، في حين أن الأئمة عليهم السلام لم يكن لهم مثل هذا الادّعاء، وقد كان عليٌّ عليه السلام يقول في دعائه: «**وَقَدْ رَجَوْتُ مِمَّن تَوَلّانِي بِإِحْسَانِهِ أَنْ يَشْفَعَ لِي عِنْدَ وَفَاتِي بِغُفْرَانِهِ**»[2]، ويقول في دعاء كميل: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أتقرَّبُ إليكَ بِذِكْرِكَ وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إلى نَفْسِكَ...**»، ويقول في دعاء آخر من أدعيته عليه السلام: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ قَبْلَ خَلْقِكَ وَالْآخِرُ بَعْدَهُمْ وَالظَّاهِرُ فَوْقَهُمْ ... وَالدَّافِعُ عَنْهُمْ وَالشَّافِعُ لَهُمْ، لَيْسَ أَحَدٌ فَوْقَكَ يَحُولُ دُونَهُمْ، وَفِي قَبْضَتِكَ مُتَقَلَّبُهُمْ وَمَثْوَاهُم**»[3]، فنلاحظ أن الإمام عليه السلام يعتبر اللهَ تعالى شفيعَهُ. وكذلك يقول حضرة الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام في دعائه: «**وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ ... وَشَفِّعْ في خَطَايَايَ كَرَمَكَ.... لاَ شفيعَ لي إِلَيْكَ فلْيَشْفَعْ لي**

(١) العناوين الفرعية التي بين معقوفتين هي من المترجم بقصد التوضيح. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **الصحيفة العلوية**، داؤه في المناجات.

(٣) **الصحيفة العلوية**، دعاؤه في اليوم الرابع عشر من كل شهر.

فَضْلُكَ»[1]، ويقول أيضًا: «**لا شفيعَ يشْفَعُ لي إليكَ... ... ولا مَلاَذَ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْكَ...**»[2].

لو كان أولئك الغلاة الوضّاعون لنصوص الزيارات مؤمنين حقًا بالقرآن الكريم ومحبِّين حقًا للأئمَّة عليهم السلام لما وضعوا تلك العبارات المغالية التي لا تفيد إلا في تقوية مذاهب الباطنية والشيخية والصوفية، وتقديم أدلة يستشهدون بها على إثبات عقائدهم المنحرفة. وللأسف الشديد إن أكثر الناس لا يعلمون أن تلك الزيارات موضوعة ومخالفة للقرآن، وقد تضمَّنت الزيارةَ التي نحن في صددها كلَّ ما وضعته الغلاة في أوصاف عليّ عليه السلام ومن جملة ذلك أنه جاء فيها: «**السَّلاَمُ عَلَى الْمَولُودِ فِي الْكَعْبَةِ اَلْمُزَوَّجِ فِي السَّمَاءِ**»!.

[حقيقة ولادة الإمام عليّ عليه السلام داخل الكعبة المشرَّفة]

موضوع ولادة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام داخل الكعبة المشرَّفة الذي ذُكر في هذه الزيارة يقتضي منَّا شيئًا من التوضيح كي يطّلع القرَّاء الكرام على حقيقة الأمر، ويدركوا أن كلَّ روايةٍ أو زيارةٍ ذَكَرَتْ هذا القضيَّة ليست من كلام إمامٍ بل من وضع الكذّابين:

فاعلم أن قضية ولادة عليٍّ عليه السلام داخل الكعبة أحد مصاديق «**رُبَّ مشهورٍ لا أصل له**»، إذْ ليس لها أساسٌ محكمٌ يُعتمدُ عليه، ولا ريب أن لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام الكثير الكثير من الفضائل والخصال الرفيعة والمناقب العالية الصحيحة، مما يغنيه عن اختلاق فضائل مصطنعة له.

رغم أن علماء من أمثال «**ابن عبد البرّ القرطبيّ**» في كتابه «**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**» و «**ابن حجر العسقلانيّ**» في كتابه «**الإصابة في تمييز الصحابة**» و«**البخاري**» و«**مسلم**» ذكرا في الباب المختص بمناقب علي بن أبي طالب الكثير من فضائل ومناقب وامتيازات أمير المؤمنين عليه السلام إلا أن أحدًا منهم لم يُشِر إلى هذه القضية على الإطلاق، حتى «**ابن أبي الحديد**» الذي لا شبهة في شدّة ولائه ومحبَّته لأمير المؤمنين عليه السلام يقول في «**شرح نهج البلاغة**» (ج١، ص٥): «**واختُلِف في مولد عليٍّ عليه السلام أين كان؟ فكثيرٌ من الشيعة يزعمون أنه ولد في الكعبة، والمحدِّثون لا يعترفون بذلك، ويزعمون أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام**

(١) **الصحيفة السجادية**، داؤه عليه السلام في ذكر التوبة و طلبها.

(٢) **الصحيفة السجادية**، دعاؤه عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل.

بن خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قُصَيّ». ولا شكَّ أنه لو كان لهذه القصة سندٌ معتبرٌ صحيحٌ لما توقَّف «ابن أبي الحديد» في ذكرها وإثباتها.

ورغم أن الشيخ «**الكُلَيْنِيّ**» ذكر في باب «مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه» من كتابه «**الكافي**» أن عليًا عليه السلام كان أول مولود من أبوين هاشميَّين إلا أنه لم يُشِرْ أي إشارة إلى ولادة الإمام داخل الكعبة.

وقد جمع العلامة المجلسيُّ في كتابه «**بحار الأنوار**»، في الجزء المختص بالإمام عليٍّ عليه السلام في باب «**تاريخ ولادته وحليته وشمائله صلوات الله عليه**» ثمان وثلاثين روايةً، وتذكر الروايتان ١٢ و١٣ منها أنه وُلد في بيت أبي طالب، في حين لا تذكر الرواية ١٨ والروايات من ٢٢حتى ٢٥ ومن ٢٧ حتى٣٦ أيَّ شيء عن ولادة الإمام داخل الكعبة رغم أنها تتحدَّث عن جميع فضائله ومناقبه عليه السلام.

إن الروايات المتعلقة بولادة علي عليه السلام داخل الكعبة رغم اختلافها في الشهر الذي وُلد فيه الإمام، قد رُويت عن «**يزيد بن قعنب**» المشرك؛ والعجيب أن البعض يقبل بقول المشرك ولا يقبل الروايات التي ليس في إسنادها اسم هذا المشرك مثل روايتي ١٢ و١٥.

أضف إلى ذلك، أنه لو صحّت قصة ولادة عليّ عليه السلام داخل الكعبة لنقلها الكثيرون من أهل مكة سوى «**يزيد بن قعنب**» المشرك الراوي الوحيد لهذه القصَّة، ولما أُهمل ذكرُ هذه المنقبة في الأحاديث التي تبيِّن مناقب وفضائل الإمام عليه السلام ولاستند إليها العلويون وأولاد أحفاد عليّ عليه السلام في مواجهة خصومهم.

وعلى كل حال، سنذكر هنا روايتين من روايات «**بحار الأنوار**» اللتين أوردهما الحاج الشيخ «**عباس القميّ**» في كتابه «منتهى الآمال»، وإذا راجع القارئ الروايات الأخرى حول ولادة عليّ عليه السلام التي ذكرها المجلسيُّ في البحار لما وجد فيها رواية أفضل من هاتين الروايتين:

أما الرواية الأولى فتقول: «**كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ وَيَزِيدُ بْنُ قَعْنَبٍ جَالِسَيْنِ مَا بَيْنَ فَرِيقِ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى فَرِيقِ عَبْدِ الْعُزَّى بِإِزَاءِ بَيْتِ اللهِ الْـحَرَامِ إِذْ أَتَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمٍ أُمُّ أَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَكَانَتْ حَامِلَةً بِأَمِيرِ الْـمُؤْمِنِينَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَ يَوْمَ التَّمَامِ قَالَ: فَوَقَفَتْ بِإِزَاءِ الْبَيْتِ الْـحَرَامِ وَقَدْ أَخَذَهَا الطَّلْقُ فَرَمَتْ بِطَرْفِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَتْ: أَيْ**

رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنَةٌ بِكَ وَبِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ الرَّسُولُ وَبِكُلِّ نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِكَ وَبِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ[1] وَإِنِّي مُصَدِّقَةٌ بِكَلَامِ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ الْـخَلِيلِ وَإِنَّهُ بَنَى بَيْتَكَ الْعَتِيقَ؛ فَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الْبَيْتِ وَمَنْ بَنَاهُ وَبِهَذَا الْـمَوْلُودِ الَّذِي فِي أَحْشَائِي الَّذِي يُكَلِّمُنِي وَيُؤْنِسُنِي بِحَدِيثِهِ وَأَنَا مُوقِنَةٌ أَنَّهُ إِحْدَى آيَاتِكَ وَدَلَائِلِكَ لَمَّا يَسَّرْتَ عَلَيَّ وِلَادَتِي [لماذا لم يُكلّم النَّبيُّ ﷺ أمّه عندما كان في أحشائها ولماذا لم يولد في الكعبة، ولماذا لم تكن حضرة آمنة تأكل من فاكهة الجنة؟!]. قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ وَيَزِيدُ بْنُ قَعْنَبٍ: فَلَمَّا تَكَلَّمَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ وَدَعَتْ بِهَذَا الدُّعَاءِ رَأَيْنَا الْبَيْتَ قَدِ انْفَتَحَ مِنْ ظَهْرِهِ وَدَخَلَتْ فَاطِمَةُ فِيهِ وَغَابَتْ عَنْ أَبْصَارِنَا ثُمَّ عَادَتِ الْفَتْحَةُ وَالْتَزَقَتْ بِإِذْنِ اللهِ، فَرُمْنَا أَنْ نَفْتَحَ الْبَابَ لِتَصِلَ إِلَيْهَا بَعْضُ نِسَائِنَا فَلَمْ يَنْفَتِحِ الْبَابُ فَعَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى [لماذا لم يعتبر يزيد بن قعنب المشرك أن هذا الأمر من صنع الآلهة التي في داخل الكعبة، مع أن مشركي مكة كانوا ينسبون معظم الأمور إلى آلهتهم]. وَبَقِيَتْ فَاطِمَةُ فِي الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: وَأَهْلُ مَكَّةَ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ وَتَتَحَدَّثُ الْـمُخَدَّرَاتُ فِي خُدُورِهِنَّ. [لماذا لم ينقل هذا الخبر سوى الغلاة والكذابين وشخص مثل يزيد بن قعنب؟!]. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ انْفَتَحَ الْبَيْتُ مِنَ الْـمَوْضِعِ الَّذِي كَانَتْ دَخَلَتْ فِيهِ فَخَرَجَتْ فَاطِمَةُ وَعَلِيٌّ عليه السلام عَلَى يَدَيْهَا. ثُمَّ قَالَتْ: مَعَاشِرَ النَّاسِ! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اخْتَارَنِي مِنْ خَلْقِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى الْـمُخْتَارَاتِ مِمَّنْ كُنَّ قَبْلِي وَقَدِ اخْتَارَ اللهُ آسِيَةَ بِنْتَ مُزَاحِمٍ وَإِنَّهَا عَبَدَتِ اللهَ سِرًّا فِي مَوْضِعٍ لَا يَجِبُ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ فِيهَا إِلَّا اضْطِرَارًا وَإِنَّ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ اخْتَارَهَا اللهُ حَيْثُ يَسَّرَ عَلَيْهَا وِلَادَةَ عِيسَى عليه السلام، فَهَزَّتِ الْـجِذْعَ الْيَابِسَ مِنَ النَّخْلَةِ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى تُسَاقِطَ عَلَيْهَا رُطَبًا جَنِيًّا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى اخْتَارَنِي وَفَضَّلَنِي عَلَيْهِمَا وَعَلَى كُلِّ مَنْ مَضَى قَبْلِي مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ [نسأل: هل كانت فاطمة بنت أسد أعلى رتبة من حضرة آمنة أيضًا؟! إذا كان الأمر كما ذكرت الرواية أنها اختارها وفضلها على آسية ومريم، فلماذا أشار الله تعالى في كتابه إلى تينك المرأتين ولم يُشر أيّ إشارة إلى فاطمة بنت أسد؟!] لِأَنِّي وَلَدْتُ فِي بَيْتِهِ الْعَتِيقِ وَبَقِيتُ فِيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ آكُلُ مِنْ ثِمَارِ الْـجَنَّةِ وَأرواقها [أَرْزَاقِهَا] فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَخْرُجَ وَوَلَدِي عَلَى يَدَيَّ هَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَقَالَ: يَا فَاطِمَةُ! سَمِّيهِ عَلِيًّا

---

(١) في حين أن الله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]ولكن –حسب هذه الرواية– فإن زوجة عمه كانت تدري ما الإيمان قبل أن يُبعث محمد ﷺ.

[ونسأل: لماذا لم يأتِ لحضرة آمنة هاتف من الغيب يُخبرها عن اسم النبيّ؟!]، **فَأَنَا الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَإِنِّي خَلَقْتُهُ مِنْ قُدْرَتِي وَعِزِّ جَلَالِي وَقِسْطِ عَدْلِي وَاشْتَقَقْتُ اسْمَهُ مِنِ اسْمِي وَأَدَّبْتُهُ بِأَدَبِي وَفَوَّضْتُ إِلَيْهِ أَمْرِي وَوَقَّفْتُهُ عَلَى غَامِضِ عِلْمِي وَوُلِدَ فِي بَيْتِي، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُؤَذِّنُ فَوْقَ بَيْتِي وَيَكْسِرُ الْأَصْنَامَ وَيَرْمِيهَا عَلَى وَجْهِهَا وَيُعَظِّمُنِي وَيُمَجِّدُنِي وَيُهَلِّلُنِي**، [ونسأل: ألم يقم النَّبِيّ الأَكْرَم ﷺ قبل عَلِيّ بتعظيم الله وتمجيده وتهليله وتوحيده؟!] **وَهُوَ الْإِمَامُ بَعْدَ حَبِيبِي وَنَبِيِّي وَخِيَرَتِي مِنْ خَلْقِي مُحَمَّدٍ رَسُولِي وَوَصِيُّهُ فَطُوبَى لِمَنْ أَحَبَّهُ وَنَصَرَهُ وَالْوَيْلُ لِمَنْ عَصَاهُ وَخَذَلَهُ وَجَحَدَ حَقَّهُ**.... الخ»[1].

وفي بعض الروايات أنه لما ولد عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذ أبو طالب بيد فاطمة - وعليٌّ على صدره - وخرج إلى الأبطح ونادى:

يا رب! يا ذا الغسق الدجي	**والقمر المبتلج المضي**
بيِّنْ لنا من حكمك المقضيّ	**ماذا ترى في اسم ذا الصبي**

[إذن قصة الهاتف الذي هتف بفاطمة بنت أسد وأخبرها عن اسم عَلِيّ كذب؟!].

قال: فجاء شيء يدبُّ على الأرض كالسحاب، حتى حصل في صدر أبي طالب فضمَّه مع عليٍّ إلى صدره، فلمّا أصبح إذا هو بلوح أخضر فيه مكتوب:

خصصتما بالولد الزكيّ	**والطاهر المنتجب الرضيّ**
فاسمه من شامخ عليٌّ	**عليٌّ اشتُقَّ من العليّ**

قال: فأسماه أبو طالب «عليًّا»، وعلَّقوا اللوح في الزاوية اليمنى من الكعبة، وما زال هناك حتى أخذه هشام بن عبد الملك[2]، فأنزله من هنالك، ثم فُقِدَ ولم يُرَ بَعْدَهَا![3].

(١) المَجْلِسِيّ، **بحار الأنوار**، ج ٣٥، ص ٣٥- ٣٧، الحديث رقم ٣٧، نقلاً عن كتاب **الأمالي** للشيخ الطوسي، الذي أورد له ثلاثة أسانيد. (المُتَرْجِمُ)

(٢) هذه الرواية أوردها المجلسي أيضًا في **بحار الأنوار**، ج ٣٥، ص ١٨ - ١٩، نقلاً منه عن المناقب لابن شهرآشوب. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **منتهى الآمال (بالفارسية)**، الشيخ عباس القميّ، ص ١٤١ و ١٤٢. وهو في النسخة المعرَّبة لكتاب «**منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل**»، للشيخ عباس القمي، تعريب الأستاذ نادر التقي، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٤م-١٤١٤هـ.، في الجزء الثاني، ص ٢٠٥ - ٢٠٦. (المُتَرْجِمُ)

لاحظوا أن هذه **الأسطورة** [أرى من الحيف أن تُسَمَّى أمثال تلك الروايات **حديثًا!**] تذكر أنه قبل نزول الوحي على النبيِّ الأكرم ﷺ كانت زوجة عمّه تعرف كثيرًا من الأنبياء والأولياء الذين ذُكروا في القرآن وكانت مطَّلعة على الأخبار التي وردت في كتاب الله [كقصة امرأة فرعون المؤمنة ومريم ابنة عمران]، هذا مع أن القرآن الكريم يقول لرسول الله ﷺ حول أخبار الأنبياء السابقين: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: ٤٩]. والإشكالات الواردة على الرواية كثيرة نكتفي بما ذكرناه.

والنقطة الأخرى هي أن رواة الأحاديث التي أوردها المجلسيُّ في «**بحار الأنوار**» حول ولادة عليّ عليه السلام في الكعبة هم أشخاصٌ من مثل: **محمد بن فضيل والمفضّل والأسدي والنخعي** الذين وُصفوا في كتب الرجال بأنهم من **الغلاة والضعفاء والملعونين والكذابين الذين يضعون الحديث**، أو **رواةٌ مجهولو الحال** مثل: **زكريا بن يحيى** و**عبد الله بن محمد**، أو رُويت تلك الروايات عن **أفراد مهملين** ليس لهم أي ذكر في كتب الرجال مثل: **أبو حبيبة وعمرو بن الحسن القاضي** و**أحمد بن عمر الربيعي** (الربيقي) **وأحمد بن محمد بن أيوب**، أو عن أشخاص مثل: «**سهل بن أحمد**» الذي ضعّفه الشيخ الطوسي وقال عنه بن الغضائري: **ضعيفٌ وضّاعٌ للحديث** يروي عن المجاهيل، وأمثال «**محمد بن سنان**» الذي قال عنه الشيخ المفيد في رسالة «جوابات أهل الموصل في العدد والرؤيا»[1]: «**وهذا الحديث شاذ، نادر، غير معتمد عليه، طريقه محمد بن سنان، وهو مطعونٌ فيه، لا تختلفُ العصابةُ في تُهْمَته وَضَعْفه، وما كان هذا سبيلُهُ لم يُعْمَلْ عَلَيْهِ في الدِّين**».

وقد جمع الأستاذ «**قلمداران**» رحمه الله في كتابه حول «**الزيارة**» ما ذَكَرَتْهُ كُتُبُ الرجال المعتبرة حول هذا الراوي «**محمد بن سنان**» فقال:

ألف) يقول النجاشي في رجال (ص٢٥٢): «**هو رجلٌ ضعيفٌ جدًا لا يُعَوَّل عليه، ولا**

---

(١) في الصفحة ٢٠ منه، في معرض تعليقه على رواية (شهر رمضان ثلاثون يومًا لا ينقص أبدًا)، التي في سندها «محمد بن سنان». (المُتَرْجِمُ)

يُلتفت إلى ما تفرّد به».

ب) ويقول ابن الغضائري عنه: «**محمد بن سنان غالٍ لا يُلتفت إليه**».

ج) ويقول الشيخ أبو عمرو الكشيّ في رجال (ص٣٣٢): عن أيوب بن نوح أنه كان يقول: «**لا أستحلّ أن أروي أحاديث محمد بن سنان**». وفي الصفحة ٤٢٧ يقول: «**روى حمدويه بن نصير عن أيوب بن نوح أن «محمد بن سنان» قال حين وفاته: «كل ما حدثتكم به لم أسمعه من أحد بل وجدته!»**».

د) وقال ابن داوود في رجاله (ص٥٠٥) بعد ذكره لمحمد بن سنان في قسم الضعفاء: «**إن محمد بن سنان كان يقول: «لا تَرْوُوا عنِّي مما حدثتُ شيئًا، فإنَّما هي كُتُبٌ اشتريتُها من السوق!» ثم قال: والغالب على حديثه الفساد وعلماء الرجال متَّفِقُون على أنه من الكذَّابين**».

علاوةً على كل ذلك، فإن روايات ولادة الإمام عليّ عليه السلام في «بحار الأنوار» ضعيفة ومفضوحة ومتناقضة إلى درجة جعلت المحقِّق المحشيِّ لكتاب البحار الأستاذ الشيخ «**محمد باقر البهبودي**» يقول معترفًا، بعد محاولاته الجمع بين الروايات المتعارضة والمتخالفة المنقولة في هذا الصدد:

«**وأمّا اختلاف المتون في تلك الأخبار فلا يخفى على الباحث الخبير أن جيلاً من العلماء والرواة لما رأوا فيما مضى من الزمان إقبال الناس إلى القصص والأساطير صنَّفوا في تاريخ النبيِّ والأئمَّة عليهم السلام وغير ذلك كتبًا على مذهب القصَّاصين من الحكماء فكانوا يأتون إلى حديث صحيح في قصة ساذجة لا تزيد على خمسة أبيات فيجعلونها أكثر من خمسين بيتًا. فترى واحدهم يصوِّرُ قصَّةَ ولادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وزواجه بخديجة (كأبي الحسن البكري في كتاب الأنوار) فيصورها بما يقدر عليه من الفصاحة والبلاغة وإيراد الشعر والقافية ويزيِّنه ويزيد عليه ما تلهم إليه قوَّةُ الخيال والذوق الشريف الأدبي من الصور العجيبة التي تناسب عبقريته. ومن ذلك قصص ولادة علي عليه السلام كما أثبتها المصنف -قدِّس سرُّه- من الروايات فترى أحدهم يجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (قابلةً) لولادته والآخر يجعل ولادته عليه السلام في ذي الحجة**

ليخترع وجهًا لطيفًا في تسمية (يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر)، وآخر يأتي بقصّة مثرم بن رغيب بن الشيقنام؟!! وآخر يخترع له عليه السلام أسامي عجيبة عند كل فريق. فهذا وأمثاله من تزيينات القصّاصين ...»[1].

[عبارات أخرى من الغلوّ في الإطراء]

نعود إلى عبارات الزيارة رقم (٢٣) حيث جاء فيها: «**السَّلَامُ عَلَى مَنْ شُرِّفَتْ بِهِ مَكَّةُ وَمِنًى**»!! هذا في حين أن الإمام نفسه كان يذهب إلى زيارة الكعبة لنيل الثواب وكسب الدرجات وكان أبناؤه الكرام يذهبون ماشين على أقدامهم إلى مكة لنيل الشرف بزيارتها والطواف في الكعبة المشرفة، وقام إبراهيم الخليل عليه السلام برفع قواعد البيت لكسب الثواب والتقرّب إلى الله فأثنى الله عليه بقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. هذا وقد قال الله تعالى كذلك: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [الحج: ٣٢]، فأوجب على جميع خلقه بما في ذلك النبيّ والإمام و المأموم أن يعظِّموا شعائر الله. ومناسك الحج والذهاب إلى مكة والتطواف بن الصفا والمروة من شعائر الله ومن تشريع رب العالمين لا من تشريع الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وبالتالي فقد كان تعظيم شعائر الله وأدائها واجبًا على أمير المؤمنين عليه السلام أيضًا، ولا يوجد مسلم يقلِّل من شأن تلك الشعائر سوى وضّاعي متون أمثال هذه الزيارة الغلاة مجهولي المذهب!!

يذكر القرآن الكريم بأن المعجزة صنع الله يُظهرها تعالى على يدي أنبيائه تصديقًا لنبوتهم فالله هو خالق المعجزة وصانعها لا الأنبياء، لكن واضع هذه الزيارة اخترع لحضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام معجزة، استنادًا إلى رواية «سهل بن زياد» الكذاب الغالي وقال: «**السَّلَامُ عَلَى مَنْ رُدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ فَقَضَى مَا فَاتَهُ مِنَ الصَّلَاةِ**» وقد سبق أن بينَّا بطلان هذه القصة

---

(١) **بحار الأنوار**، لمجلسي، المجلد الخاص بأمير المؤمنين عليه السلام، حاشية الصفحة ٤٢ فما بعد. (المؤلف). قلت: هو المجلد ٣٥، ص ٣٩ في الطبعة الجديدة للبحار. (المُتَرْجِمُ)

فراجعه. ونُضيف هنا أن واضع هذه الزيارة لم يُفكِّر جيّدًا فيما يقوله إذْ قال: «**فقضى ما فاته من الصلاة**» بدلاً من أن يقول: «**فأدى ما فاته من الصلاة**» لأن الشمس -حسب ادّعائه- قد عادت وعاد وقت العصر وكان الهدف من كل تلك المعجزة المزعومة أن يُؤدِّي عليٌّ الصلاةَ في وقتها، وإلا فإذا كان الشأن أن يُصلّيها رغم ذلك قضاءً لما كان هناك حاجة لكل تلك المعجزة الكونية الخارقة!! فلاحظ كيف أن هؤلاء الوضّاعين لم يكونوا يُفكّرون فيما يضعونه من ألفاظ ولا ينتبهون إلى أن العبارات التي يضعونها لا تُؤدِّي حتى مقصودهم!

وتواصل الزيارة عباراتها المغالية المخالفة للقرآن فتقول: «**السَّلَامُ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ تَأْوِيلُ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ**»!! هذا مع أنّ اللهَ تعالى بيّن أن موضوع التأويل خاصٌّ بالآيات المتشابهات فقط أما هذا الراوي الغافل فقد أدخل المحكم في موضوع الآيات التي تحتاج إلى التأويل أيضًا!! أضِفْ إلى ذلك أنه تعالى - في القرآن — حصر العلم بتأويل المتشابهات بذاته الأحَديَّة فقال: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، وهذا هو ما فهمه الإمام عليٌّعليه السلام من الآية فحصر تأويل المتشابهات بالله وحده فقال: «**واعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ المَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ المَحْجُوبِ فَمَدَحَ اللهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا وسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا**»(١)، إذْ يشير الإمام في خطبته هذه إلى الآية الكريمة من سورة آل عمران التي تقول: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧]، ويصرِّح بأن الراسخين في العلم أيضًا يقرّون بعجزهم عن تأويل المتشابهات وَيَكِلُونَ علمها إلى العالِمِ بالغيب المحجوب، وقد أوضحتُ هذه المسألة في تفسيري «**تابشى از قرآن**» (قبسٌ من القرآن).

ويقول الحق تعالى في وصف ذاته: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرعد: ٣٩]، ولكن واضع تلك الزيارة يقول عن الإمام: «**عنده أم الكتاب**»! متجاهلاً كلام الله سبحانه.

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٩١.

وكذلك جاء في الزيارة عبارة: «**السَّلَامُ عَلَى النَّبَإِ الْعَظِيمِ**» حيث اعتبر أن عليًّا عليه السلام هو النبأ العظيم متلاعبًا بمعاني ألفاظ القرآن، لأن سورة النبأ من السور المكية وهي تشير إلى موضوع القيامة التي كان المشركون مختلفون حولها ويتساءلون عنها وكان عديدٌ منهم ينكرها فقال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤﴾ [النبأ: ١، ٤]، ثم بيَّنت الآيات التالية من السورة ذلك الأمر الذي كانوا يتساءلون عنه، فقال سبحانه: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا ۝١٨﴾ [النبأ: ١٨]. وهذا المعنى أكّدته آيات أخرى من القرآن كقوله سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: ٦٧، ٦٨]، ولا بد من أن نتنبه إلى أن سورة «النبأ» مكية ولم يكن أحدٌ يختلف في مكَّة حول عليّ عليه السلام حتى يقول عنه سبحانه: ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣﴾ [النبأ: ٣]!.

علاوةً على ذلك فإن عليًّا عليه السلام ذاته يقول في دعائه -كما جاء في دعاء يوم الاثنين في «**الصحيفة العلويَّة**» -: «**الحمدُ لِـلَّهِ الذي عرَّفني النَّبأَ العظيمَ....**»، مما يبيِّن أن واضعي تلك الزيارات لا علم لهم بالقرآن ولا بكلام أمير المؤمنين عليه السلام.

[قصة الثعبان الذي كلّم أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة]

ثم جاء في الزيارة عبارة: «**السَّلَامُ عَلَى مُخَاطِبِ الثُّعْبَانِ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ**»، وفي هذا إشارة إلى قصَّة من وضع الغلاة تقول إن ثعبانًا دخل مسجد الكوفة عدّة مرات ورفع رأسه وكلّم عليًّا عليه السلام. وليت شعري كيف لم يقل أحد لهذا الخُرافيّ:

أولا: لماذا لم يقم بعض أهل الكوفة أو مسلّحيها بالهجوم على ذلك الثعبان لَّما دخلها بل تركوه يسير بحريَّة حتى يدخل المسجد؟ هل كانوا يعلمون أنه سيلقي كلمة ويتحدث مع علي عليه السلام؟! وكيف لم يخف أحد في المسجد منه ولم يختلّ النظام في المسجد بسببه؟ أضف إلى ذلك، أن عصا موسى التي تحوَّلت إلى ثعبان مرَّة أو مرَّتين أحدثت كل تلك الضجَّة في الدنيا وأدَّت إلى إيمان عدد من الناس، أما هذا الثعبان فلم ينقل أحد خبر تكليمه لعليّ عليه السلام سوى هذا الوضّاع للزيارات الغالي في دينه!

ثانيًا: لماذا يكلّم الثعبان عليًّا وما فائدة ذلك؟ وأساسًا مع وجود معجزة القرآن الكافية والخالدة الباقية ليس هناك حاجة لمعجزة أخرى، لذلك نجد أن القرآن الكريم يبيِّن لنا في سورة الإسراء أن المشركين عندما طلبوا من النبيِّ ﷺ معجزات خارقة كأن يفجر لهم الأرض ينبوعًا أو يُسقط عليهم السماء كسفًا أو يرقى إلى السماء...الخ أجابهم الرسول قائلاً: ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ٩٣﴾؟؟ [الإسراء: ٩٣] ولسان حاله يقول أنا لستُ بقادر على هذه الخوارق وهي في قدرة الله وحده ولكنه تعالى منزّه عن فعل ما هو لغو وباطل إذ إن المعجزة متحققةٌ بالقرآن، فإن كان أولئك القوم صادقون في طلبهم الحقيقة فعليهم أن يعودوا إلى القرآن ويتدبّروا آياته.

[ليس لِلَّهِ خليفةٌ لأنه تعالى لم يَغِبْ حتَّى يخلفه أحد]

ونقرأ أيضًا في الزيارة رقم (٢٣) من هذا الباب عبارة: «**اَلسَّلَامُ عَلَى أَمِينِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَخَلِيفَتِهِ**» هذا مع أنه ليس لِـلَّهِ خليفةٌ لأن الخليفةَ هو الذي يخلف من غاب أو مات واللهُ تعالى منزَّهٌ عن ذلك. أضف إلى ذلك، أن الله تعالى لا يحدّه مكان حتى يخلفه شخص ويقوم مقامه إذْ لا يمكن لمخلوق أن يقوم مقام الله أو يفعل أفعاله، أما قوله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠] فالمقصود خليفة السابقين من المخلوقات ولم يقل تعالى: «**خليفة لي**» أو «**خليفتي**». وقد فَهِمَ الملائكةُ المخاطبون بذلك الكلام المعنى جيدًا وهو أن الله تعالى يريد أن يخلق مخلوقًا جديدًا يخلف المخلوقات أو الآدميين السابقين الذين أُهلكوا بعد أن كانوا مفسدين في الأرض سفّاكين للدماء كما جاء في تتمّة الآية: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وإلا فإن خليفة الله ليس بسفّاك ومفسد والله تعالى لا يختار لخلافته كائنًا سفّاكًا ومفسدًا. وبالطبع قد تكون أُمَّةٌ بأجمعها خليفة لأمة سابقة، لكن لا أحد يكون خليفةً لِـلَّهِ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. وخليفة الله – إن وُجد على فرض المحال- لا يكون كافرًا في حين أن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ [فاطر: ٣٩]، وفي وصيته للإمام الحسن عليه السلام اعتبره الإمام عليّ عليه السلام: «**خَلِيفَةَ الْأَمْوَات**».

[المعجزات فعل الله تعالى لا فعل البشر]

ونقرأ في هذه الزيارة أيضًا: «**السَّلَامُ عَلَى صَاحِبِ الْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَاتِ وَالْمُنْجِي مِنَ الْهَلَكَاتِ**»! ويبدو أن واضع الزيارة لم يقرأ القرآن، لو قرأ لعلم أن الله تعالى ذكر أن رسوله لا يستطيع أن يأتيهم بمعجزات من عند نفسه، لأن «**المعجزة**» فعلُ الله لا فعل البشر[1]. وفي الرد على مطالبة الذين كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية - وكان الرسول ﷺ يميل إلى ظهور معجزات غير القرآن كي يؤمن بعض المعاندين - قال تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام: ٣٥]، ويقول: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام: ٣٧]. والأوضح من ذلك أن القرآن هو المعجزة والله تعالى هو الذي أنزله على نبيه، لذا قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ [البقرة: ٢٣]. ولو اجتمع جميع الأنبياء لما استطاعوا أن يأتوا من عندهم بسورة من مثله. ويقول سبحانه في سورة الإسراء عن معجزة سيدنا صالح عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقال بشأن معجزة إبراهيم: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]. وبالتالي فهذه المعجزة لم تكن من صنع إبراهيم. وكذلك لما رمى سيدنا موسى عليه السلام العصا وتحوّلت إلى ثعبان خاف منها وفرّ هاربًا ولو كانت من صنعه لما خاف منها لذا قال الحق سبحانه: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ٢١]. وإذا نُسبت المعجزات إلى الأنبياء عليهم السلام فذلك لأن الله أوجدها بدعائهم تصديقًا لنُبُوَّتِهم. فدورهم هو الدعاء فقط. وبمثل ذلك نرى أن سيدنا عيسى عليه السلام كان يدعو فيحوّل الله تعالى هيئة الطير الطينية إلى طير حقيقي أو يحيي الموتى كما قال سبحانه: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ... وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

---

(١) لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠]، أو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يونس: ٢٠] (المُتَرْجِمُ)

والمفارقة أن العلامة «المجلسيُّ» ذاته الذي أورد تلك الزيارات المليئة بالعبارات الخرافية بيِّنة الغلوّ، ذكر في باب «**نفي الغلو**» في المجلد السابع من الطبعة القديمة لبحار الأنوار عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «**لَا تَكُونُ الْمُعْجِزَاتُ فِعْلَهُ، فَعَلِمَ بِهَذَا أَنَّ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ إِنَّمَا كَانَتْ فِعْلَ الْقَادِرِ الَّذِي لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقِينَ لَا فِعْلَ الْمُحْدَثِ الْمُحْتَاجِ الْمُشَارِكِ لِلضُّعَفَاءِ فِي صِفَاتِ الضَّعْفِ**»[1]. أي أن المعجزات ليست من فعل الأنبياء بل فعل الله القادر. فيا ليت وضاعي تلك الزيارات الذين يدّعون حبّ الأئمة عليهم السلام قرؤوا كلمات الإمام الرضا عليه السلام كي لا يخترعوا معجزات ينسبونها إليهم.

إضافةً إلى مخالفتها للقرآن الكريم فإن كلمات هذه الزيارات تخالف العقل أيضًا لأن الخالق الذي أوجد قوانين الطبيعة والعلل والمعلولات والأسباب والمسبّبات هو وحده القادر على خرق الطبيعة وإبطال مفعول العلل كإزالته أثر الحرارة للنار وتحويلها بردًا وسلامًا، فهو خالق كل شيء سواء كان ذلك ناقة صالح عليه السلام أم إلانة الحديد لداود عليه السلام. فكل المعجزات التي ينسبها الغلاة إلى الأئمة [أي إلى فعلهم] مخالفة للقرآن وليس لها مستند قرآني وموضوعةٌ مكذوبةٌ وهي مثل كل المعجزات التي تنسبها كل فرقة من الفرق الموجودة في الدنيا إلى قادتها ومرشديها. فلو لاحظنا مثلاً كتاب «**تذكرة الأولياء**» للشيخ «**فريد الدين عطّار النيشابوري**» لرأيناه ينسب إلى الشيوخ المرشدين الصوفية عشرات المعجزات**!!**

وللأسف لهذه الخرافات مؤيدون متعصبون لها في مجتمعاتنا وكلما أراد أحد –مثل راقم هذه السطور– أن يخلّص الناس منها ويبين لهم بطلانها عاداه أولئك المتعصبون وكالوا له آلاف التهم بل هددوه في نفسه وماله وعرضه. ولكننا لما رأينا أن العقلاء لا يمكن أن يقبلوا بدين خرافيٍّ، وأن كثيرًا من الشباب المثقفين خريجي الجامعات يتصوَّرون أن الدين هو هذه الخرافات ذاتها فينفرون منه ويتَّجهون نحو التيَّارات الإلحادية، رأينا من الضروري أن نبيِّن حقائق الدين وأن نتحمَّل في هذا السبيل كلَّ الأذى الذي يُوقِعُهُ بنا المتاجرون بالدِّين الذين يروِّجُون الخرافات التي تُرضِي العوام، محتسبين الأجر عند الله تعالى فليفعل أصحاب

---

(١) بحار الأنوار (ط – بيروت) ج٢٥؛ ص٢٧٦ ، ط٢، ١٤٠٣ ق. (المصحح)

الحوانيت المذهبية بنا ما يشاؤون فإن العاقبة لأهل التقوى واليقين.

ونقرأ في هذه الزيارة أيضًا: «**وَالْمُنْجِي مِنَ الْهَلَكَاتِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ الْآيَاتِ**» وهذا افتراء واضح على الله، لأنه تعالى لم يذكر في آياته أبدًا أن أحدًا غيره «منجٍ من الهلكات» وواضع هذه الزيارة لم يستح من الله تعالى الذي بيّن أنه هو الذي كان دائمًا المنجي لعباده لا غيره كما قال تعالى مثلاً: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ۝٥٨﴾ [هود: ٥٨]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا﴾ [هود: ٦٦]، وقال كذلك: ﴿وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ﴾ [طه: ٤٠]، وقال تعالى عن نوح: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٧٦﴾ [الصافات: ٧٦]، واعتبر ذاته الأحدية «منجيًا» لجميع الأنبياء والمؤمنين فقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [يونس: ١٠٣]، ومثلها كثير من الآيات الأخرى.

في هذه الزيارة نقل واضعها دعاءً يتضمن الجملة التالية: «**لَيْسَ وَرَاءَ اللهِ وَوَرَاءَكُمْ يَا سَادَتِي مُنْتَهًى**»!!![1] أي كما أن ذات الله غير محدودة وغير متناهية أنتم أيضًا غير محدودين كذلك، وبهذا فإن واضع هذه الزيارة أثبت للأئمة صفة اللامحدودية واللاتناهي الخاصة بالله تعالى -والعياذ بالله- وجعل الأئمة شركاء لِلَّهِ تعالى في الأزلية والأبدية!! في حين أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩] وهذا يشمل جميع المخلوقات فليس هناك مخلوق ليس له مقدار وحدٌّ!

وفي رأي هذا العبد الفقير لقد كان المسلمون نائمون وكان هؤلاء الغلاة المنافقون مستيقظين ودسّوا في الكتب الإسلامية عقائد ونظريات مخالفة للقرآن على قدر ما استطاعوا تحت اسم الحديث والزيارة والأدعية كي يسوقوا الناس نحو الشرك. والواقع أن وضع الحديث ابتدأ منذ زمن رسول الله ﷺ وتواصل منذ ذلك الحين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى**

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص ٣٠٨. (المُتَرْجِمُ)

رَسُولِ اللهِ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

أجل، إن هذا الغلوّ له سوابق ترجع إلى ألف عام ماضية. وهنا قال السيد ابن طاووس ومقلّدوه: صلّ ركعتين لكلّ من سيدنا آدم وسيدنا نوح وسيدنا عليّ فيكون المجموع ست ركعات! وليت شعري ألم يكن في القوم من يسأله ما هو دليلك على مشروعية هذه الصلوات؟! وهل يجوز للسيد ابن طاووس أن يحثّ الناس على عبادات دون أن يأتيهم بالدليل على مشروعيتها واستحبابها؟ ثم يروي بعد ذلك ناسبًا إلى الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَل: مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ** (الذي رأينا مقدار امتلائه بالعبارات الشركية المضادّة للقرآن) **قَبِلْتُ زِيَارَتَهُ وَشَفَّعْتُهُ فِي مَسْأَلَتِهِ بَالِغاً مَا بَلَغَ وَأَعْطَيْتُهُ سُؤْلَهُ!**». وكل هذا الكلام مخالف لكتاب الله، فهل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاضي الحاجات ومعطي المسائل؟ إن القرآن الكريم حصر كل هذه الأمور بالله وحده، وكذلك دعاء «**الجوشن**» وبعض الأدعية الصحيحة الأخرى [مثل أدعية الصحيفة السجادية والصحيفة العلوية وما جاء في نهج البلاغة] حصرت كل تلك الأوصاف بالله وحده، وفي هذا يقول الإمام عليّ عليه السلام بأفصح بيان:

«**وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ والْـحِرْمَانَ..... واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ ولَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ ولَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ... ولَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً وحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً وحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا وفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَـتَابِ وبَابَ الاسْتِعْتَابِ فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ وإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ**

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢١٠. (المؤلف)

إن المقطوع بصحته أن الوضع في الحديث النبوي لم يظهر في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لا يعقل أن يكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو حي مؤيد بالوحي، إذ لو ثبت ذلك لبينه الوحي، وإنما كانت بداية ظهوره بعد حدوث الفتنة بين المسلمين في أواخر عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. أي في سنة أربعين من الهجرة، أو أنه بدأ متأخرًا عن هذه الفترة أي بالثلث الأخير من القرن الأول. وهو الرأي الذي عليه جمهور الأمة والمقبول عقلا أيضًا. وللمزيد يُراجع المجلد الأول من كتاب الوضع في الحديث للدكتور عمر بن حسن بن عثمان فلاته (الـمُصحح)

بِحَاجَتِكَ وأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ وشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ واسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ واسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ وسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الأَعْمَارِ وصِحَّةِ الأَبْدَانِ وسَعَةِ الأَرْزَاقِ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ واسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ....»[1].

ثم أورد المجلسيُّ في هذا الباب، (٣٤) زيارة طويلة ومليئة بعبارات الإطراء [المتجاوز لحدود الشرع] والتمجيد المغالي المخالف للقرآن[2]. ومن الطريف أننا نجد الزائر في هذه الزيارات يعتبر نفسه أحيانًا مذنبًا ومقصرًا ومستحقًا للعذاب، ثم نراه مباشرة يعتبر نفسه من المتَّقين!! وفي هذه الزيارات عبارات من الطعن واللعن لأعداء عليٍّ عليه السلام رغم أنه مضت على تلك الحروب قرون متمادية واليوم جميع المسلمين يحترمون عليًّا عليه السلام ولا يعاديه أحد فلا فائدة من تلك العبارات سوى إثارة الفتنة وبثّ الفرقة بين المسلمين. والملفت للنظر، أن أكثر هذه الزيارات تجعل الإمام ورثة الأنبياء والمرسلين، وفي هذه الزيارات أيضًا، جعلوا الأئمة أفضل من الأنبياء والمرسلين، مع أن الأئمة أنفسهم عليهم السلام نهوا عن مثل هذا الغلو بحقِّهم ولم يكونوا معجبين بأنفسهم على الإطلاق، حتى أن الإمام عليًّا عليه السلام يقول في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «**واعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الأَلْبَابِ**»[3].

وفي الزيارة ٢٨ بعد زيارة حضرة الأمير يقول: «**وَاجْعَلْنَا لَهُ...... مُسْلِمِينَ وَأَتْبَاعًا مُصَدِّقِينَ وَشِيعَةً مُتَأَلِّفِينَ وَصَحْبًا مُوَازِرِينَ وَأَوْلِيَاءَ مُخْلِصِينَ وَوُزَرَاءَ مُنَاصِحِينَ وَرُفَقَاءَ مُصَاحِبِينَ**»!!

لعلّ واضع الزيارة ظنّ أن الإمام لا يزال في الدنيا فهو يطلب أن يُصبح وزيرًا له لعلّه يعهد إليه بإدارة عالَم الإمكان!! يا لِـلَّهِ ما أقبحه من جهل!

في هذه الزيارة وصل الغلو والشرك إلى أقصاه إذ جاء فيها: «**السَّلَامُ عَلَى نَفْسِ اللهِ تَعَالَى**

---

(١) **نهج البلاغة**، الرسالة ٣١.

(٢) أعتقد أن المجلسيَّ لما كان من أنصار السلاطين الصفوية الفسقة الفاسدين ومن حاشيتهم ومؤيديهم والمتزلّفين إليهم، من أمثال الشاه سليمان والشاه سلطان حسين الصفويَّيْن وكان يصوِّر أن حكومة أولئك السلاطين مُؤَيَّدَة مِنْ قِبَلِ أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان يبالغ في مدح أولـئك السلاطين وتمجيدهم، ظنّ أن أئمة أهل البيت أيضًا -والعياذ بالله تعالى- يُسَرّون أيضًا من مثل هذه المدائح المفرطة والإطراءات المغالية.

(٣) **نهج البلاغة**، الرسالة ٣١.

الْقَائِمَةِ فِيهِ بِالسُّنَنِ»!![1] وهل يوجد غلو أكبر من هذا؟!

في سائر الزيارات اعتبروا الإمام عَلِيًّا عليه السلام عين الله وأذنه ويده ووجهه، أما في هذه الزيارة فاعتبروه نفس الله تعالى!! نعوذ بالله من كل أنواع الغلو ونقول في الردّ على هذه الخرافات والألفاظ الكفرية، قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٣].

والعجيب أن المَجْلِسِيّ نقل أكثر هذه الزيارات أو في الواقع كلمات الكفر دون سند صحيح فمثلاً يقول: نقلت هذه الزيارة من كتاب قديم أو نقلتها من مصباح الشيخ.... الخ.

وفي الزيارة الأخيرة ذاتها نقرأ أيضًا: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ مُجَازِي الْـخَلْق**»!! فهنا أكمل مفتري هذه الزيارة كفره بهذه العبارة، إذ إن الله تعالى يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٦] ويقول: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣] ويقول: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ: ٣٦] ويقول: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة: ١٢١] ويقول: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴿٥١﴾﴾ [إبراهيم: ٥١] ويقول: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البينة: ٨] ويقول: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٩].

فهل يجوز بعد ذلك أن ننسب لأحد سوى الله تعالى مجازاة الخلق؟!

ومن الخرافات الأخرى في هذه الزيارة، أن واضعها يعتبر الخير والشرَّ بيد الإمام لذلك فهو شاكر للإمام! كما يعتبر الإمامَ حافظَه من نار جهنم، والمُتكفّل بأمور دنياه وآخرته وبنجاته يوم الحساب! مع أن الله تعالى يقول لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم – وعليٌّ عليه السلام أحد أفراد أمته-: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ويقول سبحانه كذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام: ١٠٧]، ويقول أيضًا: ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾ [الشورى: ٦].

هذا، ورغم أن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨]، ويقول: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [ابراهيم: ٣٩]، كما أن الإمام السجاد عليه السلام يقول

---

(١) المَجْلِسِيّ، **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص ٣٣١ نقلاً عن (كتاب العتيق الغروي). (المُتَرْجِمُ)

في الدعاء (٥١) من الصحيفة السجاديَّة، مخاطبًا ربَّه سبحانه: «**وَجَدْتُكَ لِدُعَائِي سَامِعًا...**»، إلا أن مفتري هذه الزيارة يقول للإمام فيها: «**فَأَنْتَ سَامِعُ الدُّعَاءِ وَوَلِيُّ الْجَزَاءِ**» ومعنى ذلك: أن كل من يدعو ربّه في الأرض أو في السماء ويقول «**يا الله**»، بإمكانه أيضًا أن يقول: «**يا عليّ**»!! وواضح أن مختلق ألفاظ هذه الزيارة جعل كتاب الله وتشريعاته وأحكامه وراء ظهره، ولفّق من الألفاظ المغالية ما شاء.

إن القرآن الكريم بيّن لنا بكل وضوح أن من يدعو غير الله ويتضرَّع إليه فقد أشرك، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ٢٠﴾ [الجن: ٢٠]، وقال: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن: ١٨]، وقال أيضًا: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، وهناك مئات الآيات الأخرى التي تدل على عدم جواز دعاء غير الله وأنه شرك.

في الزيارة ٣٠ جعل الزائرُ أميرَ المؤمنين عليًّا عليه السلام نبيًّا ورسولاً فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ الْـخَلِيلِ فِي نُبُوَّتِهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى الْكَلِيمِ لِـلَّهِ فِي رِسَالَتِهِ**»!![(١)] إننا لم نسمع أن النبوة والرسالة أمران ينتقلان بالوراثة وأن يُورثا!! ولا عجب أن يصدر مثل هذا الكلام من الغلاة الذين فقدوا عقولهم، لكن العجب من المَجْلِسِيّ وسائر علماء الشيعة الذين ينقلون مثل عبارات الكفر هذه والأقوال الباطلة في كتبهم دون التعليق عليها بنقدٍ أو ردٍّ أو اعتراض على مضمونها؟! في الواقع لقد نقل المجلسيُّ كثيرًا من هذه الزيارات المليئة بالعبارات الكفرية المغالية من كتاب «**محمد بن المشهدي**»[(٢)] الموسوم بـ «**المزار الكبير**»

---

(١) المَجْلِسِيّ، **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص ٣٣١. (المُتَرْجِمُ)

(٢) هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر بن علي المشهدي الحائري، المعروف بمحمد ابن المشهدي وابن المشهدي الراوي عن أبي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي وصاحب كتاب «**المزار الكبير**» الذي اعتبروه من أقدم الكتب المدوّنة في الزيارات وأن الشيعة اعتمدوا على كتابه، وهو الأصل في عدة من الأدعية والزيارات. ويبدو أن ابن المشهدي كان من مشايخ الإمامية في القرن السادس الهجري ولكن ذكر بعضهم أنه مجهول الشخصية. قال السيد الخوئي في معجمه: "**لم يظهر لنا اعتبار هذا الكتاب في نفسه، فإن محمد بن المشهدي لم يظهر حاله بل لم يُعلم شخصه**"! (المُتَرْجِمُ)

ولا ندري هل كان «**محمد بن المشهدي**» هذا عابدًا لِـلَّهِ أم عابدًا للإمام؟ وهذا المشهدي هو ذاته الذي أتحف الشيعة بالدعاء المعروف بِـ «**دعاء الندبة**»**!** وقد نقدتُّ في كتابي «**بررسى دعاى ندبه**» (بالفارسية، ومعناه: «**دراسة وتمحيص دعاء الندبة**») كثيرًا من عبارات وجمل هذا الدعاء وبيَّنت مخالفتها الصريحة للقرآن الكريم.

وفي الزيارة رقم (٣٢) يروي الراوي أنه إذا وصلتَ إلى الحرم فقل: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ صَوْتِي، أَتَيْتُكَ مُتَعَاهِدًا لِدِينِي وَبَيْعَتِي**»**!!** وليت شعري هل يتوقَّع أن يعود الإمام بعد ألف سنة من العالَمَ الآخر إلى الدنيا كي يُبايعه؟**!**

ونقرأ في هذه الزيارة أيضًا: «**لَا يَخِيبُ مَنْ نَادَاكُمْ**»، مع أن الإمام زين العابدين السجّاد عليه السلام يقول في دعاء «أبي حمزة الثمالي»: «**وَالْـحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي لَا أَدْعُو غَيْرَهُ وَلَوْ دَعَوْتُ غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي دُعَائِي، وَالْـحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي لَا أَرْجُو غَيْرَهُ وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لَأَخْلَفَ رَجَائِي**».

ونقرأ دعاءه في «الصحيفة السجّادية» (الدعاء الأول): «**وَالْـحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْـحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ**».

وفي الصحيفة ذاتها (الدعاء ٢٨): «**لَا يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلَا يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلَا يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي**».

وفيها (الدعاء ٥١): «**أَدْعُوكَ فَتُجِيبُنِي.... فَلَا أَدْعُو سِوَاكَ، وَلَا أَرْجُو غَيْرَك**».

فإذا كان الأمر كذلك فعلى القارئ الكريم أن يختار بين قبول دعاء الإمام السجّاد عليه السلام أو قبول الكلام والعبارات التي وضعها «**ابن المشهدي**»**!!**

وفي هذه الزيارة جملةٌ تدل على أن من لفّق هذا الدعاء كان يعتبر عليًّا عليه السلام نبيًّا من الأنبياء**!!** إذْ يقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَفِيرَ اللَّهِ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ**» ومعلومٌ أن السفارة الإلهية خاصة بالأنبياء.

هنا يجدر بالذكر أنه كانت هناك فرقة من الغلاة تُدْعَى «**المفوِّضة**» يعتقد أصحابها بأن الله تعالى فوّض أمر تدبير العالم لمحمّد وعليّ وأنهما يدبران أمور الكون**!** وقد وردت عن الأئمة

الأطهار عليهم السلام أحاديث كثيرة في لعن «**المفوِّضة**» وتكفيرهم[1]. ويظهر أن واضع هذه الزيارة التي نحن في صددها كان أحد أولئك الغلاة «**المفوِّضة**» لأنه يقول في زيارته هذه: «**وَفَوَّضَ إِلَيْكُمُ الْأُمُورَ وَجَعَلَ إِلَيْكُمُ التَّدْبِيرَ**»! والواقع أن هذه الزيارة قد حَوَتْ كل خرافات الغلاة

---

(١) قال الشيخ الصدوق (محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي) (٣٠٥ - ٣٨١هـ) في كتابه «**اعتقادات الإمامية**» الذي يُعَد من الكتب المهمة والقديمة في بيان عقيدة الشيعة الإمامية:

((اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جل جلاله وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة، وأنه ما صغَّر الله جل جلاله تصغيرهم شيء، وقال جلّ جلاله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝٨٠﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠]

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧]...

وكان الرضا عليه السلام يقول في دعائه: وَكَانَ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ ادَّعَوْا لَنَا مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فِينَا مَا لَمْ نَقُلْهُ فِي أَنْفُسِنَا. اللَّهُمَّ لَكَ الْخَلْقُ وَمِنْكَ الْأَمْرُ، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقُنَا وَخَالِقُ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ وَآبَائِنَا الْآخِرِينَ. اللَّهُمَّ لَا تَلِيقُ الرُّبُوبِيَّةُ إِلَّا بِكَ، وَلَا تَصْلُحُ الْإِلَهِيَّةُ إِلَّا لَكَ، فَالْعَنِ النَّصَارَى الَّذِينَ صَغَّرُوا عَظَمَتَكَ، وَالْعَنِ الْمُضَاهِينَ لِقَوْلِهِمْ مِنْ بَرِيَّتِكَ. اللَّهُمَّ إِنَّا عَبِيدُكَ وَأَبْنَاءُ عَبِيدِكَ، لَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً. اللَّهُمَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّنَا أَرْبَابٌ فَنَحْنُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِرَاءٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَيْنَا الْخَلْقَ وَعَلَيْنَا الرِّزْقَ فَنَحْنُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِرَاءٌ كَبَرَاءَةِ عِيسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ- مِنَ النَّصَارَى. اللَّهُمَّ إِنَّا لَمْ نَدْعُهُمْ إِلَى مَا يَزْعُمُونَ، فَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا يَقُولُونَ وَاغْفِرْ لَنَا مَا يَزْعُمُونَ. ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧﴾ [نوح: ٢٦-٢٧].

وَرُوِيَ عَنْ زُرَارَةَ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِلصَّادِقِ عليه السلام: إِنَّ رَجُلًا مِنْ وُلْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ يَقُولُ بِالتَّفْوِيضِ، قَالَ عليه السلام: «وَمَا التَّفْوِيضُ»؟ قُلْتُ: يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم وَعَلِيّاً عليه السلام ثُمَّ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِمَا، فَخَلَقَا، وَرَزَقَا، وَأَحْيَيَا، وَأَمَاتَا. فَقَالَ: «كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ۝١٦﴾ [الرعد: ١٦]. فَانْصَرَفْتُ إِلَى الرَّجُلِ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام فَكَأَنَّمَا أَلْقَمْتُهُ حَجَراً، أَوْ قَالَ: فَكَأَنَّمَا خَرِسَ)). انتهى. الشيخ الصدوق، «**اعتقادات الإمامية**»، باب الاعتقاد في نفي الغلو والتفويض، ص٧٤ فما بعد، والمجلسي، «**بحار الأنوار**»: ج ٢٥، ص ٣٤١ - ٣٤٤. (المُتَرْجِمُ)

وضلالاتهم حتى صارت مصداقًا لقول القائل: لقد جمعت في حُسْنِك ما تفرَّق في غيرك من المحاسن!!

ومن جملة ذلك أن الله تعالى بيَّن في كتابه الكريم أنه سخَّر الكون لانتفاع جميع البشر سواءً كانوا من المؤمنين أم الكافرين، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان: ٢٠]، ولكننا نقرأ في هذه الزيارة ما يُفيد أن الله سخَّر الكون والمخلوقات للأئمة!! على عكس ما بيَّنته الآية الكريمة من أن الله سخَّر الكون لجميع البشر. ونصُّ عبارة الزيارة يقول: «**وَأَعْطَاكُمُ الْـمَقَالِيدَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا خَلَق**»![1] هذا مع أن الله تعالى بيّن في كتابه أن مقاليد السموات والأرض في يده وحده ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: ١٢]، وليت شعري! ماذا يريد واضع هذه الزيارة؟ هل يريد أن يجعل اللهَ عاطلاً عن أي عمل ويجعل الإمام عليه السلام قائمًا بكل الأعمال؟! مع أن الإمام ذاته كان يحتاج إلى الطعام كي يبقى حيًّا فإذا بقي بضعة أيام دون أن يأكل مات من الجوع، أو إذا توقف عن التنفُّس دقائق معدودة فقد حياته!

وأيضًا نقرأ في هذه الزيارة المفتراة: «**إِيَابُ الْـخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُم**»، وهي جملة تخالف صريح القرآن كما سنُبيِّنه عند مناقشتنا للزيارة «**الجامعة**» لاحقًا إن شاء الله.

ونقرأ في هذه الزيارة أيضًا: «**عَلَيْكُمُ الِاعْتِمَادُ فِي يَوْمِ الْـمَعَاد**»، هذا في حين أن الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار: ١٩].

وفي هذه الزيارة عبارات تصف الإمام بصفات خاصة بالأنبياء والملائكة مثل: «**يَا مَنِ اصْطَفَاهُمُ اللَّهُ ... فَأَنْتُمُ السَّفَرَةُ الْكِرَامُ الْبَرَرَةُ ... يَا عُيُونَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ**»، فليت شعري هل يحتاج الله إلى عيون بين البشر ليطَّلع على أحوال الخائنين؟! هذا مع أن الله تعالى نهى رسوله الكريم وجميع أمته عن التجسُّس فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]، فكيف يُمكن أن يكون الإمام عينًا؟ أوليس هو مكلَّفٌ أيضًا؟!

وكذلك نقرأ في هذه الزيارة الموضوعة أنه اعتبر الإمام حافظًا له وحارسًا فقال:

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٧، ص ٣٤٤. (المُتَرْجِمُ)

«وَاحْشُرُونِي فِي جُمْلَتِكُمْ وَاحْرُسُونِي مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ولم يقرأ هذا المسكين القرآن الكريم الذي قال الله تعالى فيه مرارًا لرسوله الكريم: ﴿فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: ٨٠] وقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ [هود: ٨٦].

والطريف أن «المجلسيّ» والشيخ «**عباس القمّيّ**» وأمثالهما نَقَلَا صلاةً عن «**حسن مُثلة الجمكراني**» مجهول الحال وفي آخرها دعاء ننقله من «**مفاتيح الجنان**» ذُكر فيه: يُسْتَحَبُّ الدعاء به بعد صلاة الزيارة، وفيه:

«**يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ! اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ! انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ، يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ! احْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَايَ**»!! في حين أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ١١٦﴾ [التوبة: ١١٦]، ويقول: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥﴾ [النساء: ٤٥]، و يقول: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] أي أنَّ الله وحده هو الكافي عبده. ولكن هؤلاء الغلاة المشركين يجعلون غير الله ناصرًا وحافظًا وكافيًا لهم**!**

ولو أردنا أن نذكر جميع العبارات الخرافية والكفرية في كتاب «**مفاتيح الجنان**» لاحتجنا إلى كتاب مستقل[1].

أَوَلَا يدري مختلق هذه الزيارة التي قال فيها: «**واحشروني في جملتكم**» أن الحشر والنشر ليسا بيد أي أحدٍ سوى الله وحده؟ ألم يقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٢٥﴾ [الحجر: ٢٥] حيث قدَّم كلمة «**هو**» على فعل «**يحشرهم**» للدلالة على الحصر. بل إن الأنبياء والأئمة أنفسهم لا يعلمون زمن الحشر والنشر والقيامة فضلاً عن أن يتمكّنوا من حشر أحد معهم، فالله تعالى يقول: ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣﴾ [الأحزاب: ٦٣] ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ

---

(١) لكاتب هذه السطور كتاب مختصر عنوانه «**تضاد مفاتيح الجنان با آيات قرآن**». [تعارض مفاتيح الجنان مع آيات القرآن] (المؤلف). يقول: (المُتَرْجِمُ) وقد قمتُ بترجمة التنقيح الثاني الذي قام به المؤلف لكتابه هذا إلى العربية تحت عنوان: [تعارض «مفاتيح الجنان» مع القرآن].

عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]. ولا عجب ممن لا حظَّ له من العلم بكتاب الله أن يفتري تلك الأكاذيب ويُروّج تلك العبارات الكفريَّة!

وكذلك نقرأ في الزيارة التي أوردها المجلسيُّ في هذا الباب برقم «٣٤» عديدًا من العبارات وكلمات الكُفْر التي لا تعدو أوهامًا باطلة، بل معظم عبارات هذه الزيارة مضادّة للقرآن الكريم، مثل قوله فيها: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ...... وَحُجَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يا..... مَلْجَأَ ذَوِي النُّهَى...... السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَجَرَةَ النَّدَاءِ وَصَاحِبَ الدُّنْيَا وَالْـحُجَّةَ عَلَى جَمِيعِ الْوَرَى فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى..... السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْبَةَ**[1] **غَيْبِ اللهِ..... وَمُجَلِّيَ إِرَادَةِ اللهِ وَمَوْضِعَ مَشِيَّةِ اللهِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنِ ابْتَدَعَ اللهُ وَالْـحُجَّةَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللهُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ وَالْـخَطْبُ الْـجَسِيمُ وَالذِّكْرُ الْـحَكِيمُ وَالصِّرَاطُ الْـمُسْتَقِيمُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْـحَبْلُ الْـمَتِينُ..... السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُرْشِدَ الْبَرِيَّاتِ وَعَالِمَ الْـخَفِيَّاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ الْـمَخْزُونِ وَعَارِفَ الْغَيْبِ الْـمَكْنُونِ وَحَافِظَ السِّرِّ الْـمَصُونِ وَالْعَالِمَ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ. السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَارِفُ بِفَصْلِ الْـخِطَابِ وَمُثِيبُ أَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْـحِسَابِ وَالْـمُحِيطُ بِجَوَامِعِ عِلْمِ الْكِتَابِ وَمُهْلِكُ أَعْدَائِهِ بِأَلِيمِ الْعَذَابِ.....السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا قَاصِمَ الْـمُعَانِدِينَ الْأَشْرَارِ...... السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَارِفَ السِّرِّ وَأَخْفَى. السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّازِلُ مِنْ عِلِّيِّينَ وَالْعَالِمُ بِمَا فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَمُهْلِكُ مَنْ طَغَى مِنَ الْأَوَّلِينَ وَمُبِيدُ مَنْ جَحَدَ مِنَ الْآخِرِينَ....... السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَمُبِينَ الدَّعَوَاتِ وَمُجْزِلَ الْكَرَامَاتِ بِجَزِيلِ الْعَطِيَّاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ حَظِيَ بِكَرَامَةِ رَبِّهِ فَجَلَّ عَنِ الصِّفَاتِ وَاشْتُقَّ مِنْ نُورِهِ.....الخ**»[2]. ونحو هذه الجمل والعبارات الشركية المغالية المضادَّة للقرآن، التي تَحْرُمُ قراءَتُها ويُعَدُّ الاعتقاد بمضمونها إنكارًا لأصول الإسلام، هذا رغم أنه ليس من البعيد أن نجد من يسعى إلى إثبات معاني تلك الجمل متوسّلاً بروايات وأخبار هي بدورها من وضع الغلاة المشركين أيضًا الذين لا يُعَوَّل على رواياتهم ولا يُمكن إثبات أي شيء بها.

---

(١) العَيْبَة: وِعاءٌ من أَدَم يكون فيها المتاع.. والعَيْبَةُ ما يجعل فيه الثياب. فالعيبة: الوعاء الذي يخبِّئ الإنسان متاعَه فيه، **والعيبةُ أيضًا موضع سرّ الإنسان**. والعربُ تَكني عن الصُّدُور والقُلُوب التي تَحْتوي على الضمائر المُخْفاةِ بالعِيابِ وذلك أَن الرجلَ إِنما يَضَعُ في عَيْبَته حُرَّ مَتاعِه وصَوْنَ ثيابه ويَكْتُم في صَدْرِه أَخَصَّ أَسراره..". انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ع ي ب). (المُتَرْجِمُ)

(٢) **بحار الأنوار**، ج٩٧، زيارة رقم ٣٤، ص ٣٤٧ – ٣٥٢.

أجل، لقد أضفى واضع تلك الزيارة صفات الله تعالى على الإمام فقال: «**كَلَّ يَا مَوْلَايَ عَنْ نَعْتِكَ أَفْهَامُ النَّاعِتِينَ وَعَجَزَ عَنْ وَصْفِكَ لِسَانُ الْوَاصِفِين، كَيْفَ أَصِفُ يَا مَوْلَايَ حُسْنَ ثَنَائِكَ أَمْ أُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكَ وَالْأَوْهَامُ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّتِكَ عَاجِزَةٌ وَالْأَذْهَانُ عَنْ بُلُوغِ حَقِيقَتِكَ قَاصِرَة**»! فلاحظوا كيف وصف هذا المغالي عليًّا عليه السلام بعبارات هي ذاتها العبارات التي كان الإمام عليه السلام نفسه يصف بها ربّه تبارك وتعالى!!! وكيف جعل عبدًا لله مثل الله سبحانه وتعالى في عدم إدراك كنهه وحقيقته!

انتبهوا إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام وصف اللهَ تعالى بنفس الوصْف الذي وصف هذا المغالي عليًّا عليه السلام، فقد قال أمير المؤمنين كما جاء في «**نهج البلاغة**»: «**الحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي لا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ ولا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ ولا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ ولا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ**»[1].

ولو أردنا أن نُبيِّن جميع موارد تعارض جمل هذه الزيارة مع آيات القرآن الكريم لاحتجنا إلى كتاب مفصَّل. وإذا رأينا أن الفرق الإسلامية تعتبر فرقة الشيعة الإمامية رافضة ومشركة فإن سببه وجود مثل هذه الأمور في كتبها ونصوص الزيارات الموضوعة المفتراة هذه. وفيما يلي نزن بعض جمل هذه الزيارة بميزان القرآن الكريم:

يقول واضع هذه الزيارة الجاهل: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا.... حُجَّةُ رَبِّ العَالَمِينَ عَلَى الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِينَ**»، أي أنك حُجَّة الله حتى على الذين كانوا قبل مجيئك إلى الدنيا وعلى جميع الذين يأتون بعدك حتى يوم القيامة ممن لم يراك ولم ترهم، وهذا الإطلاق يشمل أن يكون الإمام حُجَّةً على جميع الأنبياء والمرسلين، وليت شعري! ما معنى كون الإمام حُجَّةً على من جاؤوا قبله؟! نترك الجواب لواضع تلك الزيارة!!

ويقول واضع الزيارة مخاطبًا الإمام: «**يَا.... مَلْجَأَ ذَوِي النُّهَى**»، في حين أن الحق عز وجل يقول: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨].

ويقول واضع الزيارة أيضًا: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَجَرَةَ النَّدَاء**» مع أن الشجرة لم تكن هي

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة الأولى.

التي نادت موسى ولم تنطق بشيء ولكن الله هو الذي أوجد الصوت في ذلك المقام.

ويقول: «**وَصَاحِبَ الدُّنْيَا**»[1] مع أن القرآن الكريم يُبيّن لنا أن الله تعالى هو مالك الدنيا ومالك رقاب جميع البشر بما فيهم الأنبياء والأئمة والأولياء ويقول في ذلك: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٤٩].

ويقول واضع الزيارة: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْبَةَ غَيْبِ اللَّهِ**»، مع أن الله تعالى قال لرسولهﷺ: ﴿قُل... وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠ و هود: ٣١].

ويقول واضع الزيارة: «**السلام عليك يا.. مُجَلِّيَ إِرَادَةِ اللَّهِ**»، مع أن الإمام الكاظم عليه السلام يقول: «**إِرَادَةُ اللهِ هِيَ الفِعْلُ لَا غَيْرَ ذَلِكَ**»[2]، فالله تعالى ليس له ذهن و مَجْلَى مرآة!

ويقول: «**وَمَوْضِعَ مَشِيَّةِ اللَّهِ... وَأَوَّلَ مَنِ ابْتَدَعَ اللَّهُ وَالْحُجَّةَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ**»!! أما الإمام عليّ عليه السلام ذاته فيعتبر الأنبياء حُجّة الله ويقول: «**بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ وجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ لِئَلا تَجِبَ الحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإعْذَارِ إِلَيْهِمْ**»[3]. كما أنه يعتبر القرآن الكريم حُجَّةً كافيةً ويقول في وصفه: «**وأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ ولَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِي رَضِيَ لِنَفْسِهِ وأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الأعْمَالِ ومَكَارِهَهُ ونَوَاهِيَهُ وأَوَامِرَهُ وأَلْقَى إِلَيْكُمُ المَعْذِرَةَ واتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الحُجَّةَ**»[4]، ويقول: «**أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ومَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ**»[5]، ويقول كذلك: «**فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ وصَامِتٌ نَاطِقٌ حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ**»[6].

---

(١) إذا كان الإمام صاحب الدنيا فلماذا تبكون وتنوحون على عدم تولّيه رئاسة المسلمين ٢٥ سنة؟!! إن الذي يكون صاحب الدنيا كلها لا ينبغي أن يُثير كل تلك الضجة على ترك رئاسة بضعة أيام على زاوية صغيرة من زوايا هذه الدنيا الواسعة التي يملكها!

(٢) **توحيد الشيخ الصدوق**، مكتبة الصدوق، ص١٤٧.

(٣) **نهج البلاغة**، خطبة ١٤٤.

(٤) **نهج البلاغة**، خطبة ٨٦.

(٥) **نهج البلاغة**، خطبة ١٦١.

(٦) **نهج البلاغة**، خطبة ١٨٣.

يقول واضع الزيارة: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبَأُ الْعَظِيمُ وَالْخَطْبُ الْجَسِيمُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ**»، هذا في حين أن الله تعالى اعتبر القرآنَ «**الذكرَ الحكيمَ**» لا الإمام الذي هو تابع للذكر الحكيم كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨] ولكن يظهر أن واضع الزيارة لا عناية له بالقرآن مطلقًا.

ويقول واضع الزيارة مخاطبًا الإمام: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْـحَبْلُ الْـمَتِينُ**» هذا في حين أن الإمام ليس في الدنيا حتى يُمكن اعتباره ملجئًا وحبلاً متينًا يُمكن الاعتصام والتمسُّك به، ولذلك قال الإمام في حال احتضاره: «**غَدًا مَفَارِقُكُمْ**»[1]. ولو كان الإمام في الدنيا ورأى أمثال واضعي هذه الزيارات لاعتبرهم يقينًا من المشركين!

ويقول واضع الزيارة: «**وَمُرْشِدَ الْبَرِيَّاتِ وَعَالِمَ الْخَفِيَّاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ الْمَخْزُونِ وَعَارِفَ الْغَيْبِ الْمَكْنُون**»، مع أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ۝٧﴾ [الأعلى: ٧]، ويقول كذلك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ [آل عمران: ٥]، ويقول أيضًا: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [طه: ٧]، ولم يقل: عليٌّ يعلم الجهر وما يخفى.

ويُخاطب واضعُ الزيارة الجاهلُ الإمامَ الذي لم يكن مُطَّلعًا على خيانة بعض مسؤولي حكومته، قائلاً: «**فَأَنْتَ عَيْنُهُ الْحَفِيظَةُ الَّتِي لَا يَخْفَى عَلَيْهَا خَافِيَة**»! وحقًا إن الإنسان ليستحي أن ينقل مثل هذه الأباطيل وكلمات الكفر. ولا ينقضي العجب من المجلسيّ وأمثاله كيف سمحوا لأنفسهم بإيراد مثل هذه الزيارات الموضوعة في كتبهم؟! ألم يقرؤوا في كتاب الله قولَه تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡ﴾ [التوبة: ١٠١]، فإذا كان النبيُّ ﷺ لا يعلم نفاق بعض أهل المدينة الذين تمرَّسوا في النفاق ومردوا عليه، فكيف يكون الإمام عالمًا بما كان وما يكون؟! وعلى كلِّ حال فهذه الزيارة مليئة بمثل هذه الترّهات والأباطيل.

ويذكر المجلسيُّ زيارة في باب «زياراته صلوات الله عليه المختصة بالأيام والليالي، منها

---

(١) **نهج البلاغة**، خطبة ١٤٩.

زيارة يوم الحادي والعشرين من شهر رمضان» من كتابه «**البحار**»[1] عن شخص قال إنه «**الخضر**»، كما ورد في البحار والكافي أن الخضر جاء في ٢١ من رمضان إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وخاطبه بهذه الزيارة، مع أن [القولَ بوجود شخص لا يزال حيًّا منذ آلاف السنين مخالف لصريح] القرآن الكريم الذي بيَّن لنا أن جميع الأنبياء والأولياء قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تُوفّوا، إذ يقول سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ولكن واضعي تلك الزيارات -شأنهم شأن مرشدي بعض الصوفية الذين يدّعون كذبًا أن الخضر ألبسهم خرقة السلوك- يدَّعون أنهم أخذوا متن هذه الزيارة عن الخضر!!

***

روايات ثواب الزيارات في عيد الغدير و أوقات أخرى و زيارة حضرة المعصومة

ذكر المجلسيُّ في هذا الباب وفي الأبواب الأخرى رواياتٍ تنصُّ على ثواب عظيم مُغْري لمن زار قبر إمام، ثواب هائل لا يوجد عشر معشاره لمن زار الإمام أو زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته! فليت شعري! ما هي الفائدة العظيمة من القبر؟ وكيف تكون زيارة قبر إمام أفضل وأعلى من زيارته في حال حياته؟! وهل المقبرة محترمة ومقدَّسة أكثر من النبيِّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه؟!

كانت زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونساء الأئمة عليهم السلام يُحْدِثْنَ ويُصَبْن بالجِنابة بسبب الحيض والنفاس ومع ذلك يَكُنَّ إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو الأئمة ويحضرنَ في غرفة النبيّ أو الأئمة وفي سررهم وفي أفنية بيوتهم، ولم يكن ذلك الحضور عليهنَّ حرام رغم الجنابة، أما الآن فطبقًا لفتوى أهل الخرافة إذا كانت المرأة جُنبًا أو حائضًا فيحرم عليها الحضور عند قبورهم؟ فمتى نزلت أحكام تحريم ورود الحائض والجُنب في أضرحتهم؟ وما هذه الأحكام التي لم يُنزل الله بها من سلطان؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤]. لم تكن هناك مشاهد على القبور وأفنية وحُرُم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام حتى تنزل هذه الأحكام؛ فيبدو أن هذه الأحكام تنزلت بها

---

(١) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص ٣٥٦، الحديث رقم ١. (المُتَرْجِمُ)

الشياطين(!!) عندما قام سلاطين الجور ببناء تلك المشاهد والأضرحة!! إن احترام الأئمة وإجلالهم لا يكون باختراع أحكام ما أنزل الله بها من سلطان ولا بإيقاع الناس في الآثام. إن على الفقهاء أن يضعوا الآية التالية دائمًا نصب أعينهم: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ [النحل: ١١٦].

وَ رُويَت حول زيارة قبر حضرة فاطمة المعصومة في قم رواية منسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام تقول: «**مَنْ زَارَ فَاطِمَةَ بِقُمْ فَلَهُ [وَجَبَتْ لَهُ] الجَنَّةُ**»![1]

ولا ندري كيف تكون زيارة الأنبياء والأئمة حال حياتهم غير مفضية إلى الجنة، أما زيارة قبر أحد أولادهم أو ذراريهم تؤدِّي إلى دخول الجنة، فهل قبر فتاة صالحة أعلى وأهم من جميع الأنبياء والأولياء؟ وهل من زار حضرة موسى بن جعفر عليه السلام حال حياته يصبح من أهل الجنة بهذه الزيارة؟! إن هذا دليل واضح على أن هؤلاء الوضّاعين والكذّابين افتروا ما شاؤوا من العبارات ونسبوها إلى الأئمّة وإلى دين الله سبحانه، غافلين عن قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام: ١٤٤].

يغترّ العصاة المسيئون والمتعدُّون لحدود الله بسبب التمسك بمثل هذه الروايات الكاذبة فيريحون ضمائرهم بلا وجه حقّ بزيارة مراقد الأئمة أو بنذر النذورات لبناء قبورهم وتعميرها وبناء كل تلك الأفنية والأروقة والقباب الذهبية والمنارات المطليّة بالذهب والفضة ووقف البساتين والمزارع والدكاكين والفنادق والبيوت والأراضي عليها وعلى قبور ذراري الأئمة بما تصل قيمته إلى مليارات التومانات، التي لن تفيد سوى ملء بطون أناس عاطلين عن العمل وطفيليين في المجتمع ممن يطلق عليهم سدنة ومتولي تلك المراقد أو المشرفين

١- رُويت هذه الرواية في بحار الأنوار (ط. بيروت، ج٩٩، ص٢٦٧) بهذه الألفاظ: «تَارِيخُ قُمَّ، لِلْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُمِّيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ حَرَماً وَهُوَ مَكَّةُ وَلِرَسُولِهِ حَرَماً وَهُوَ الْمَدِينَةُ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَرَماً وَهُوَ الْكُوفَةُ وَلَنَا حَرَماً وَهُوَ قُمُّ، وَسَتُدْفَنُ فِيهِ امْرَأَةٌ مِنْ وُلْدِي تُسَمَّى فَاطِمَةَ مَنْ زَارَهَا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. قَالَ عليه السلام ذَلِكَ وَلَمْ تَحْمِلْ بِمُوسَى أُمُّهُ. وَبِسَنَدٍ آخَرَ عَنْهُ عليه السلام أَنَّ زِيَارَتَهَا تَعْدِلُ الْجَنَّةَ». [المُصحح]

عليها. ولعمري لو أن حضرة المعصومة أُحييت لكفاها لُقَيْمات من الطعام تقيم بها أودها ولم تكن بحاجة إلى كل تلك الموقوفات، بل لأغضبها كل تلك الزخارف والزينة والبذخ، وعلى هذا المنوال سائر أولاد أئمة أهل البيت عليهم السلام تجاه من وقف عليهم الأوقاف.

ومن المفارقة أنه قد جاء في زيارة الغدير جملة تقول: «... **وَفِي مَدْحِ اللهِ تَعَالَى لَكَ** [الخطاب لعليٍّ أمير المؤمنين] **غِنًى عَنْ مَدْحِ الْـمَادِحِينَ وَتَقْرِيظِ الْوَاصِفِينَ**»! فنسأل: إذا كان الأمر كذلك وتقبلون بهذا المعنى فلماذا ملأتم عشرات الصفحات من الإطراء المغالي والثناء والمدائح المليئة بالغلوّ في زيارات الإمام؟!

ثم إن الله تعالى -من حيث المبدأ- لا يمدح أشخاصًا بعينهم على وجه الخصوص بل مدْح الله يشمل فردًا أو أفرادًا يتّصفون بصفات حسنة رفيعة.

[تواضع أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام ونهيه أصحابه عن تعظيمه وإطرائه]

ولقد ورد في قسم «الحِكَم» من «**نهج البلاغة**» أن أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام قال، وقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ الأَنْبَارِ (أي جماعة من القرويين في منطقة الأنبار في العراق) فَتَرَجَّلُوا لَهُ (أي نزلوا من على خيولهم) واشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟؟ فَقَالُوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا! فَقَالَ** عليه السلام: **واللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُمْ وإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ وتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ؛ ومَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ وأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النَّارِ!**»[1].

وفي الكوفة لما أَقْبَلَ رَجُلٌ اسْمُهُ «**حَرْبٌ**» يَمْشِي مَعَهُ وهُوَ عليه السلام رَاكِبٌ فَقَالَ عليه السلام: «**ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي ومَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ**»[2].

ولـمَّا مَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ قَالَ عليه السلام: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ؛ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ واغْفِرْ لَنَا مَا لا يَعْلَمُونَ**»[3].

---

(١) **نهج البلاغة**، الكلمات القصار، رقم ٣٧.

(٢) **نهج البلاغة**، الكلمات القصار، رقم ٣٢٢.

(٣) **نهج البلاغة**، الكلمات القصار، رقم ١٠٠.

[**الخلافة في نظر عليٍّ عليه السلام تتمّ بالبيعة والاختيار**]

وقد جاءت في زيارة «**عيد الغدير**» عبارات في إثبات الخلافة المنصوص عليها من الله تعالى لعليٍّ عليه السلام وأن الله تعالى هو الذي نصَّبَه خليفةً وأميرًا على الأمّة، هذا في حين أن الإمام ذاته لم يستدلّ بمثل هذه الجمل على خلافته منذ أول يوم بل اعتبر أن الخلافة تتحقَّق بانتخاب الناس، وكان يقول مرارًا على المنبر: «**الأَمِيرُ هُوَ مَنْ جَعَلْتُمُوهُ أَمِيرًا عَلَيْكُمْ**»، ولو كان اللهُ قد نصَّبه للخلافة وفرض حكومته على الأمّة فعلاً لوجب عليه أن يُظهر ذلك ويقول بأعلى صوته: أنا الإمام المُنَصَّب عليكم مِنْ قِبَلِ الله ولكنه لم يفعل ذلك، وليس هذا فحسب بل أظهر كراهته للخلافة ورغبته عنها فقال: «**واللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْـخِلافَةِ رَغْبَةٌ ولا فِي الْوِلايَةِ إِرْبَةٌ ولَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا**»[1].

وقال: «**دَعُونِي والْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ... وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ولَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وعَتْبِ الْعَاتِبِ وإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ ولَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا**»[2]، وقال: «**إِنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ولَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي**»[3]، وقال: «**فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ المَطَافِيلِ عَلَى أَوْلادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ونَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا**»[4]، وقال في وصف بيعته بالخلافة: «**وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ومَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ الإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وِرْدِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وسَقَطَ الرِّدَاءُ ووُطِئَ الضَّعِيفُ**»[5]، كما استدل في الخطب رقم ٣٤ و٣٧ و١٣٦ وفي الرسالة رقم ١و٧ على صحة خلافته ببيعة الناس له ولم يشر إلى أن الله تعالى هو الذي نصّبه خليفةً. واعتبر في رسالته السادسة في نهج البلاغة، وفي عشرات الأحاديث الأخرى، أن الخلافة إنما تتم بانتخاب المهاجرين والأنصار.

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢٠٥.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ٩٢.

(٣) **نهج البلاغة**، الرسالة ٥٤.

(٤) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٣٧.

(٥) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢٢٩.

[مناقشة الاستدلال بآية ﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ على النص على عليٍّ عليه السلام بالخلافة]

واستدلَّ واضع الزيارة في زيارته بآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: ٦٧] على أن ما أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإبلاغه هو تنصيب الله تعالى لعليٍّ خليفةً حاكمًا على المسلمين، مع أن كلَّ ما تدلُّ عليه الآية الكريمة هو أمرُ الله تعالى رسوله بإبلاغ ما أنزله تعالى إليه.

ونسأل: هل أبلغ النبيُّ صلى الله عليه وسلم هذا الذي أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أم لا؟ فإن كان قد أبلغ **مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ** – وهو تعبير يُشار به عادةً إلى آيات القرآن الكريم – فما هي تلك الآية التي أُمر بإبلاغها وأين موضعها من القرآن؟ فإذا كان ما أُمر بإبلاغه هو الخلافة المفروضة من الله لعليٍّ مباشرةً بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم، فلماذا لا نجد حتى آية واحدة في القرآن الكريم فيها ذكر هذا الأمر؟ ولماذا لا نجد في الآيات التالية مباشرةً لهذا الأمر بيان الأمر الذي أُمِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بإبلاغه؟! حذارِ أن تكونوا تعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم – والعياذ بالله- لم يقم بتبليغ تلك الآية التي أنزلت عليه؟! أو تعتقدون أن تلك الآية – والعياذ بالله – حُذِفَت من القرآن الكريم؟! لأنه ليس في الآية (٦٧) من سورة المائدة ذاتها أي ذكر للخلافة، أما إذا لاحظنا سياق الآية وما جاء قبلها وبعدها لرأينا أن السياق كلَّه يتحدّث عن انحرافات اليهود والنصارى. ثم ألا يدلُّ ابتداء الآية التالية –مباشرة بعد الآية المذكورة- بعبارة «**قُلْ**» على أن ما جاء بعد «**قُلْ**» هو المقصود بـ ﴿... بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾؟ خاصة أن ما ذُكر بعد «**قُلْ**» يتناسب تمامًا مع ما جاء قبل الآية ويرتبط به، إذ كان الكلام قبلها يدور حول أهل الكتاب كما ذكرنا.

أضف إلى ذلك، أنه قد جاء في آخر الآية المشار إليها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ وهذا خطاب لا يمكن أن يُقصد به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يكونوا قومًا كافرين!! وإن قال قائلٌ: بل كانوا كافرين قلنا له: من يُدرينا أنك أنتَ مؤمنٌ فعلاً بالقرآن والإسلام؟!! لأنك بكل بساطة و راحة بال تعتبر من مدحهم الله في كتابه

كافرين دون أن يكون عندك أي دليل قويم على ادعائك هذا؟!

وليت شعري! هل يُعْقَل أن يخاطب الله تعالى عدة آلاف من أصحاب رسوله (من المهاجرين والأنصار والمجاهدين المسلمين) الذين هرعوا إلى أداء الحج تحت راية رسول الله ﷺ بوصفهم بالكفر بدل أن يثني عليهم ويتقبّل سعيهم؟! وهو الإله ذاته الذي كان قد أنزل آيات عديدة في مدح المهاجرين والأنصار!!

ثم إنه على فرض أن هذه الجملة الأخيرة موجّهة إلى من كانوا مع رسول الله ﷺ حسب ادّعاء مدعي الولاية، فكان الجدير أن يخَاطبوا بها بعد إنكارهم مسألة ولاية عليّ ورفضهم لها، لا أنهم قبل أن يُبَلَّغوا بهذا الموضوع يُخاطَبوا بأن الله لا يهدي القوم الكافرين!! خاصَّةً أن هذه الآية لم تأتِ على أسلوب الآيات التي تذكر موضوعًا ما ثم تقول إن كل من لم يؤمن به سيكون من الكافرين، بل الآية -دون أن تذكر موضوعًا- خاطبت جماعة بأنهم قومٌ كافرون، مما يدلُّ على أن هذا الخطاب موجَّهٌ إلى أشخاص كانوا من قبل، ولأسباب أخرى، من الكافرين والآن خُوطبوا بذلك لأجل إتمام الحجة عليهم أو لإعلان المفاصلة معهم أو لسبب آخر، أما لو قُصد من تلك الجملة أصحاب النبيِّ ﷺ فكيف يُخاطَبون بذلك قبل إبلاغهم موضوع الخلافة الإلهية لعليّ في حين أنهم لم يقوموا بأي شيء بعد حتى يستحقُّوا الخطاب بأنهم قوم كافرون! هذا بمعزل عن أن القرآن مدحهم في مواضع كثيرة مما لا يتناسب أن يبدأ القرآن خطابه بوصفهم بالكفر.

ولاحظوا أن الله تعالى قال في ختام الآية المستشهد بها: ﴿... وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ فإذا كان المقصود بهذا الخطاب أصحاب النبي ﷺ فكيف نتصور أن النبي ﷺ كان يشعر بالخطر مِنْ قِبَلِهِمْ كخشيته من اليهود والنصارى، رغم أنهم كانوا مضحِّين بأنفسهم في الدفاع عنه ومطيعين له؟! وإذا كانوا كفّارًا أو منافقين فلماذا كان النبيُّ ﷺ يعيش معهم ويكرمهم ويُؤَاكلهم ويعيِّن بعضهم [كأبي بكر الصديق] لإمامة صلاة الجماعة [وإمارة الحج]؟ فكلُّ هذا يدلُّ على أن موضوع الآية وسياقها لا يتناسب مع المقصود الذي يدعيه المستدلون بها.

[ثناء أمير المؤمنين عليٍّ والإمام السجاد البالغ على أصحاب رسول الله]

أضف إلى ذلك، أنه لو كان أغلب هؤلاء الأصحاب منافقين فلماذا مدحهم عليٌّ عليه السلام وأثنى عليهم كل الثناء؟ ألم يقل عليٌّ عليه السلام بشأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا وقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وقِيَامًا يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وخُدُودِهِمْ ويَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْـجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْـمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ ومَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ ورَجَاءً لِلثَّوَابِ**»[1].

وقال عليه السلام أيضًا فِي مَدْحِ الأنْصَارِ: «**هُمْ واللهِ رَبَّوُا الإسْلامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وأَلْسِنَتِهِمُ السِّلاطِ**»[2].

وكذلك دعا حضرة الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء الرابع من الصحيفة السجّادية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «**اللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ، وَالَّذِينَ أَبْلَوُا الْبَلَاءَ الْـحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلَى وِفَادَتِهِ، وَسَابَقُوا إِلَى دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجَّةَ رِسَالَاتِهِ. وَفَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ فِي إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ فِي تَثْبِيتِ نُبُوَّتِهِ، وَانْتَصَرُوا بِهِ. وَمَنْ كَانُوا مُنْطَوِينَ عَلَى مَحَبَّتِهِ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ فِي مَوَدَّتِهِ. وَالَّذِينَ هَجَرَتْهُمُ الْعَشَائِرُ إِذْ تَعَلَّقُوا بِعُرْوَتِهِ، وَانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرَابَاتُ إِذْ سَكَنُوا فِي ظِلِّ قَرَابَتِهِ. فَلَا تَنْسَ لَهُمُ اللَّهُمَّ مَا تَرَكُوا لَكَ وَفِيكَ......**».

ووردت أدعية أخرى تثني على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وتمدحهم، وذلك كدعاء يوم الثلاثاء في «**مفاتيح الجنان**» الذي يصلِّي على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويعتبرهم «المنتجبين». وعلى كل حال طالما أن هناك آيات قرآنية واضحة في مدحهم فنكتفي بها ونستغني عن ذكر جمل الأدعية الواردة عن أئمة آل البيت عليهم السلام في مدحهم والثناء عليهم.

---

(١) **نهج البلاغة**، خطبة ٩٧.

(٢) **نهج البلاغة**، الكلمات القصار، رقم ٤٦٥.

[مناقشة الاستدلال بآية التطهير على العصمة]

من جملة ما جاء في هذه الزيارة أيضًا إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، أي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، حيث اعتُبرت هذه الآية نصًا على عصمة أهل بيت رسول الله ﷺ وأنهم أفضل من الأنبياء! في حين أنه لو كانت عبارة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ...﴾ دالَّةً على العصمة لوجب أن يكون جميع المؤمنين معصومين وأفضل من الأنبياء! لأن الله تعالى قال في آية الوضوء مخاطبًا جميع المؤمنين: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، لكن الواقع أن إرادة التطهير في الآيتين ليست إرادة تكوينية بل إرادة تشريعية مفادها أن الله تعالى يريد من جميع المؤمنين وأهل البيت الطهارة وشرعها لهم وأحبها منهم وأراد أن يختاروها بإرادتهم. وأصلاً لو كان المقصود من إرادة التطهير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ...﴾ وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ الإرادةَ التكوينيَّة بمعنى خلْق الله وإيجاده لأدّى ذلك إلى أن يكون أهلُ بيت رسول الله ﷺ وسائر المؤمنين معصومين ذاتًا بإرادة الله وخَلْقِهِ وعندئذٍ فلن تكون لهم فضيلةٌ في ذلك لأن جميع الأشجار والأنهار مطيعةٌ لِلَّهِ تكوينيًّا ومعصومةٌ عن عصيانه، وإنما الفضيلة أن يختار الإنسان الطهارة والنقاء من الرجس أي الإثم، بإرادته الحرّة، فتبيَّن إذَن أنَّ المقصود من الإرادة في هاتين الآتين هي الإرادة التشريعيَّة لا التكوينية، وقد اختصّ الله تعالى أهل بيت رسوله بهذه الإرادة لأنهم بطهارتهم الجسمية والروحية يحفظون كرامة رسول الله ﷺ ومكانته.

نعم، توجد في هذا الباب روايات صحيحة السند أيضًا.

نقطة هامة جديرة بانتباه الدعاة

يقول بعض الخطباء: إن الهدف من وضع كل تلك الزيارات وصياغتها هو التعريف بالأئمّة عليهم السلام ودعوة الناس إليهم. لكن ينبغي أن يعلموا أن هذا العمل نهى عنه الإمام الصادق عليه السلام طبقًا لما رواه «**الكليني**» الذي أورد عدة روايات عن الأئمة عليهم السلام ينهون فيها الناس عن الدعوة إلى إمامتهم. ودليل هذا الأمر واضح لأن الإمام تابع للدِّين وليس عين

الدِّين وبالتالي فعلى الناس أن يَدْعُوا إلى الدِّين فقط. من جملة هذه الروايات، الحديث الذي رواه الكليني بسنده عن «ثابت بن سعيد» قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**يَا ثَابِتُ! مَا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ؟ كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا تَدْعُوا أَحَدًا إِلَى أَمْرِكُمْ؛ فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرَضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوا عَبْدًا يُرِيدُ اللهُ ضَلَالَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوهُ.... كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ عَمِّي وَأَخِي وَابْنُ عَمِّي وَجَارِي فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَيَّبَ رُوحَهُ فَلَا يَسْمَعُ مَعْرُوفًا إِلَّا عَرَفَهُ وَلَا مُنْكَرًا إِلَّا أَنْكَرَهُ....**»[1].

زيارة الإمام عليّ في السابع عشر من ربيع الأول

في هذا القسم أورد المجلسيُّ زيارةً بعنوان «**الزيارة التاسعة**» منسوبة إلى الإمام الصادق عليه السلام، وهي زيارة «مرسلة» لا سند لها، وتحتوي العديد من الجمل المخالفة للعقل وللقرآن وللتاريخ، مثل مخاطبة أمير المؤمنين عليه السلام بعبارة: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَصِيَّ الْأَوصِيَاء**» مع [أن الشيعة تعتقد] أن التاريخ والعقل والحديث كلّها تشهد أن الإمام عليه السلام كان وصيّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم فقط لا غيره![2]

وجاء في الزيارة: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**». وقد أوضحتُ في تفسيري المختصر على القرآن الكريم الذي أسميته «**تابشي از قرآن**» (قبسٌ من القرآن) ذيل تفسيري لقوله تعالى في سورة «الرعد» المباركة (الآية ٤٣): ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ٤٣﴾، أن المقصود بمن عنده علم الكتاب علماء اليهود والنصارى لأن كتبهم كان فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبشارة برسالته كما تدلُّ على ذلك عشرات الآيات القرآنية.

وجاء في هذه الزيارة أيضًا: «**أَيُّهَا الْـمُتَصَدِّقُ بِالْـخَاتَمِ فِي الْـمِحْرَابِ**»، هذا مع أنه لم يكن

---

(١) الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ج ١، ص ١٦٥، الحديث ١ من (باب الهداية أنها من الله عز وجل). (المُتَرْجِمُ)

(٢) أراد المؤلف رحمه الله أن يكشف تناقض الشيعة، فيذكر أن الشيعة مع أنهم يعتقدون بأن عليًّا رضي الله عنه كان وصيًّا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط ولكنهم ناقضوا اعتقادهم في هذه الزيارة فجعلوه وصيًّا لجميع الأنبياء ووصفوه بوصي الأوصياء. لذا فإن هذه الزيارة تناقض حتى عقائد الشيعة المسلَّمة. (المصحح)

لمسجد المسلمين زمن رسول الله ﷺ محراب[1]! وأوَّل من جعل للمسجد محرابًا ومقصورةً هو معاوية!

ومما جاء في هذه الزيارة أيضًا: «**السَّلَامُ عَلَى نُورِ الْأَنْوَار.....مُسْتَنْقِذِ الشِّيعَةِ الْـمُخْلَصِينَ مِنْ عَظِيمِ الْأَوْزَار**»!

أقول: إن عبارة «**نور الأنوار**» من اختراعات الفلاسفة اليونانيين المشركين التي تلقّفها عنهم الغلاة، إذْ كان الفلاسفة يقولون: «**لا يصدر من الواحد إلا الواحد**»، أي أن الله الواحد المجرّد لا يصدر عنه إلا واحد بسيط لأن الذات الأحدية لا تقبل الكثرات، فالله مصدر شيء واحد هو «**العقل الأول**» أو «**نور الأنوار**» وباقي الموجودات أوجدها «**العقل الأول**» الذي هو مصدر الكثرات، ومن الواضح أن هذا الكلام باطل ومخالف للقرآن لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]. ثم إن الله تعالى ليس مصدرًا ولم يصدر عنه شيء لا واحد ولا كثير بل هو مُوجِدٌ وخالقٌ لكل الموجودات من العدم، لأن الله ليس له خارج وداخل حتى يصدر عنه شيء، إذْ التركيب من لوازم الصدور. وهكذا نرى أن هؤلاء الغلاة اقتبسوا كل عبارة من مصدر ونسبوها إلى الإمام وبثّوها بين المسلمين!

أما قوله في الزيارة: «**مُسْتَنْقِذِ الشِّيعَةِ الْـمُخْلَصِينَ مِنْ عَظِيمِ الْأَوْزَار**»! فلنا أن نسأل: كيف يكون أصحاب الأوزار العظيمة من الشيعة المخلصين؟! هل كل من ارتكب الأوزار العظيمة يكون من الشيعة المخلصين؟! وهل كان الإمام عليّ عليه السلام -والعياذ بالله- إمام الفاسقين والعصاة والفاجرين؟ هل مثل هذه الكلمات مدحٌ لمقام عليّ عليه السلام أم ذمٌّ له؟ ثم ما الدليل على أن عليًا عليه السلام سينجي كلَّ من ارتكب عظائم الذنوب والأوزار؟ والحال أن الله تعالى يقول لرسوله الكريم بصيغة الاستفهام الإنكاري: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ [الزمر: ١٩]، فإن لم يكن بإمكان رسول الله ﷺ أن ينقذ أحدًا من عذاب النار فكيف يمكن لعليّ عليه السلام أن يُنجِّيَ أحدًا منه؟! ثم هل مقام عليّ وإمامته هي أن يحامي عن الفاسقين من أهل

---

(١) حول الاستدلال بحديث التصدّق بالخاتم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وإمارته راجع كتاب «**شاهراه اتحاد**» (طريق الاتّحاد) تأليف الفاضل المرحوم حيدر علي قلمداران، ص١٤٥ فما بعد.

الكبائر وينقذهم من العقاب الذي يستحقونه؟ لقد كان عليٌّ عليه السلام ذاته -كما تشهد لذلك مئات الأدعية التي خلّفها لنا – يخشى ربَّه ويبكي خوفًا من الذنوب ويتأوّه من بُعْد الطريق وقلّة الزاد، فمثل هذا الإمام لا يمكن أن يكون سمسارًا لمرتكبي الكبائر بل هو بريء من الموبقات وأهلها، وهو إمام المتقين وليس إمام أهل الأوزار والكذّابين.

ثم تقول الزيارة في الجملة التالية: «**يَا وَلِيَّ اللهِ! إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوبًا قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي وَمَنَعَتْنِي مِنَ الرُّقَادِ وَذِكْرُهَا يُقَلْقِلُ أَحْشَائِي، وَقَدْ هَرَبْتُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَيْكَ**»![1].

وينبغي أن نقول في جواب هذا الدعاء، **أولاً**: إن الله تعالى يقول: ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، ويقول: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝٤٧﴾ [الشورى: ٤٧]، وعليٌّ عليه السلام يقول: «**وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ ومَانِعٍ عَزِيزٍ وأَخْلِصْ فِي الْـمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ والْـحِرْمَانَ... واعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ ولَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ**»[2].

ويقول كذلك: «**ولا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ**»[3].

بناء عليه، ما مِنْ موجودٍ يمكنه أن يحميكَ أمام الله تعالى، فإذا أردتَ الخلاص من ثقل ذنوبك وغفرانها فالطريق الوحيد لذلك هو العودة إلى الله والتوبة النصوح وأداء حقوق الخالق والمخلوق. وقد جاء في «**نهج البلاغة**» في الرسالة التي كتبها أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامله على مصر «مالك الأشتر»: «**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاهُ مِصْرَ جِبَايَةَ خَرَاجِهَا وجِهَادَ عَدُوِّهَا... أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ**

---

(١) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص٣٧٦. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **نهج البلاغة**، الرسالة رقم ٣١ وهي وصية الإمام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين (بقنسرين) عند انصرافه من صفين. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **نهج البلاغة**، الكلمات القصار، رقم ٣٧١.

وإِيْثَارِ طَاعَتِهِ واتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وسُنَنِهِ الَّتِي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلا بِاتِّبَاعِهَا»[1].

وثانيًا: إن الإمام ليس ساكنًا في وسط القبر ولا بين الضريح المذهّب والمصنوع من الفضة المغصوبة، بل قد رحل عن الدنيا وانقطعت صلته بأهلها ولم يعد له شُغلٌ بِفِتَنِكَ وفسادِكَ أو فساد الآخرين، فلا تضيّع وقتك هباءً.

وثالثًا: إذا كان الإمام حاضرًا فإنه لا يمكنه أن يعرف أصادق أنت فيما تقول أم كاذب؟ لأنه لا يعلم أحدٌ بقلوب العباد وحقيقة ما في صدورهم ونيّاتهم سوى الله عز وجل.

ورابعًا: إنّ الإمام بريءٌ ومتنفّرٌ من الآثمين الفسقة الفاجرين، وممقتٌ لمن باع آخرته بدنياه.

ثم نقرأ في الزيارة قول الزائر للإمام: «**فَاجْعَلْنِي يَا مَوْلَايَ مِنْ هَمِّكَ وَأَدْخِلْنِي فِي حِزْبِكَ**» فأقول: ما المراد بهذا الكلام؟ أما الجزء الأول من الجملة فهو كلام أشبه بالكلام العامي وبعيد عن الفصاحة والبلاغة، وأما بقية الجملة فإذا قُصد بحزبك «حزب الله» فعلى كل مسلم أن يختار بإرادته الحرة أن يكون من حزب الله باتباعه لتعاليم الشرع، لا أن يأتي الإمام ويدخله فيه!! ثم تقول بقية العبارة «**يَا وَلِيَّ عِصْمَةِ الدِّينِ**» وليس لهذا معنى واضح.

هنا يقول المجلسيُّ في هذه الزيارة -كما يقول آخرون من المحدّثين- بأنه من المستحبّ أن يصلي الزائر ست ركعات لِـلَّهِ يهدي ثوابها لأمير المؤمنين عليه السلام وركعتان لكلٍّ من آدم ونوح عليهما السلام!! ومن الواضح أن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشرّعا هذه الصلوات، فلا ندري كيف يوصي هؤلاء الذين يعلمون جيدًا أن العبادات توقيفية تمامًا ومنوطة بإذن الشارع وتعليمه بمثل هذه الصلوات؟! وإذا كان الشارع هو الذي شَرَعَ هذه الصلوات فعلاً فلماذا لم يعلم بها أحد سوى جماعة من الرواة الوضّاعين والمجاهيل؟!

---

(١) **نهج البلاغة**، الرسالة ٣٥.

الروايات الواردة في زيارة عليّ عليه السلام ليلة المبعث ويومه

نقل كلٌّ من المجلسيُّ والمفيد وابن طاووس والشهيد والشيخ عباس القمّي زيارة خاصة بليلة المبعث ويومه عن رواة وضّاعين، جاء فيها أنه إذا وصلتَ (أي الزائر) إلى القبّة الشريفة فتوقَّفْ وَقُلْ كذا وكذا... ثم ادْخُلْ واجْعَلْ وجهك إلى الضريح وظهرك إلى القبلة وَقُلْ كذا وكذا... الخ. لكن هذه الآداب والتعاليم ليست من كتاب الله وسنة رسوله، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ذاته: «**السُنَّةُ مَا سَنَّ رسولُاللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْبِدْعَةُ مَا أُحْدِثَ مِنْ بَعْدِهِ**»[1]. ومن اليقين أن هذه التعاليم والآداب لم تصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لم تكن هناك زمن رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حتى زمن الأئمَّة عليهم السلام قبابٌ ولا أضرحةٌ ولا حَرَمٌ لقبورهم، وَمِنْ ثَمَّ فهي آداب مبتدعة.

أضف إلى ذلك أن المشايخ لدينا يقولون إن ليلة بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هي ليلة ٢٧ رجب ودليلهم الوحيد هو شهرة هذا الأمر بين الشيعة. هذا مع أن «**الشهرة**» ليست من الأدلة الشرعية، خاصَّةً إذا كانت مخالفة للقرآن الكريم الذي يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١] وقال: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فهذه الآيات كلُّها تشهد أن ابتداء الوحي ونزول القرآن كان في شهر رمضان وفي ليلة القدر بالذات، وبالتالي فليلة بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هي ليلة القدر ذاتها، ولكن مشايخنا لاعتيادهم على قاعدة «**خذ ما خالف العامة**» يصرّون – مستخدمين تأويلات باردة- على أن القرآن نزل على دفعتين: الدفعة الأولى نزل جُمْلَةً إلى السماء الدنيا، والدفعة الثانية نزل منجّمًا على نحو تدريجيٍّ على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويصروّن على أن معنى «**الإنزال**» غير معنى «**التنزيل**»، وأقول: حتى لو كان ذلك صحيحًا فليس معناه امتناع استعمال «**الإنزال**» بمعنى «**التنزيل**» أو العكس. وقد عبَّر القرآن الكريم عن إنزال المطر بـ«**إنزال الماء**» (البقرة: ٢٢ والأنعام: ٩٩ والرعد: ١٧) وبـ«**تنزيل الماء**» (العنكبوت: ٦٣، والزخرف: ١١)، ومن الواضح أن المطر ينزل دائمًا بصورة واحدة، فهذا يدل على عدم صحة القول بأن معنى «**الإنزال**» يختلف دائمًا عن معنى **التنزيل** وأنه لا يمكن استخدام أحدهما مكان الآخر، وعليه فلا يمكن بمثل ذلك الدليل المعلول القول بنزولَيْن للقرآن.

---

(١) **بحار الأنوار**، ج٢، ص ٢٢٦، نقلاً عن معاني الأخبار للشيخ الصدوق. (المُتَرْجِمُ)

نعم، بعد أن يملأ المجلسيُّ صفحات عديدة من هذه الزيارة يقول بعدها: «**أقول: لم أطَّلِعْ على سند هذه الزيارة ولا على استحباب زيارته عليه السلام في خصوص هذا اليوم لكنه من المشهورات بين الشيعة والإتيان بالأعمال الحسنة في الأزمان الشريفة موجب لمزيد المثوبة**»!!![1] فلاحظوا كيف أضاف كل هذه الآداب إلى الدين دون دليل أو مستند، ولست أدري كيف تكون الأعمال التي لا مستند لها من الشرع موجبةً للمزيد من المثوبة والأجر؟! وكيف يكون للوقوف ساعتين في مقابل قبرٍ وقراءة عبارات من المديح والإطراء والتزلُّف المفعم بالغلوّ ثواب عظيم، مع أن الإمام نفسه نهى عن هذه الأعمال؟ وليت شعري! ما هي فائدة مثل هذا الأعمال وثوابها، هل لها من فائدة سوى إيجاد الفرقة والاختلاف بين المسلمين بسبب ما في بعض تلك الزيارات من عبارات الطعن واللعن بحق الخلفاء وسائر المسلمين والتسبُّب في سوء ظن بعضهم ببعض وإيقاع العداوة بينهم مما يستفيد منه أعداء الإسلام فيتسلَّطون على مقدَّرات المسلمين بسبب تفرقهم وضعفهم وتعاستهم؟!

وفي الزيارة خاطب واضعها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ وَالْفَارُوقُ الْأَعْظَم**» وواضح أنه أراد من هذه العبارات الردّ على أهل السنة الذين يطلقون على أبي بكر لقب «**الصدّيق**» وعلى عمر لقب «**الفاروق**»، لذلك نرى أن واضع هذه الزيارة يثير بهذه الألفاظ العداوة بين المسلمين ويبث الاختلاف والفرقة والنزاع وسوء الظن بينهم.

في هذه الزيارة يُلقِّب الزائر عَلِيًّا بـ «**حُجَّةِ اللهِ الْكُبْرَى وآيةِ اللهِ العُظْمَى**» ظانًّا أن ذلك الإمام الهمام كان طالبًا بمثل هذه الألقاب كشأن علماء الدين في عصرنا الذين يُسرُّون بهذه الألقاب. لكننا نقرأ في القرآن الكريم أن موسى عليه السلام ونبيّ الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله وسلم شاهدا بعض آيات الله الكبرى (طه: ٢٣، والنازعات: ٢٠، والنجم: ٨ [2])، من هذا يُمكن أن نستنتج أن النَّبِيّ الأَكْرَم صلى الله عليه وآله وسلم ذاته ليس آية الله الكبرى فضلاً عن كون الآخرين كذلك!!

---

(١) **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص٣٨٣. (المُتَرْجِمُ)

٢- قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: ٢٠]

وقال عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]

ونقرأ في هذه الزيارة وصف واضعها لعليٍّ بأنه: «**مَعْدن حِكَم الله وَسِرِّهِ**» ولا أدري ما المقصود من قوله «**معدن حكم الله**»؟ ولعمري لو أُعطي عليّ عليه السلام المجال يوم القيامة لمواجهة هؤلاء الوضَّاعين لحاكمهم قائلاً: لماذا تنسبون إليَّ أمورًا لا مستند لها؟ ولقال لهم: متى أمرتكم أن تدعوني بعد موتي؟ لقد أتلفتُ عمري في الدفاع عن الإسلام وإرشاد الناس إلى التوحيد واجتناب الخطايا والذنوب التي يُعدّ الشرك أكبرها فلماذا تشجعون الناس باسمي على القيام بأعمال شركية؟! ولقد بايعتُ الخلفاءَ حفاظًا على وحدة المسلمين وقبلتُ مصاهرة الخليفة الثاني لي، فلماذا تسعون في إبعاد قلوب المسلمين عن بعضهم بحجّة موالاتي والتحزّب لي؟ فما عساهم أن يُجيبوه؟

لقد أطلق كاتب هذه الزيارة كل ما حلا له من الألفاظ وأعجبه ونسبها إلى الإمام، من ذلك قوله: «**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا تَاجَ الْأَوْصِيَاء**»! بل حتى اعتبر الإمام تاجًا لرأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**تَاجًا لِرَأْسِهِ**». وللأسف فإن الشيخ عباس القمي نقل أكثر هذه المدائح والإطراءات المفرطة دون تدبّر أو تأمّل في كتابه «**مفاتيح الجنان**» ربما ظنًّا منه أن الأئمة أنفسهم عليهم السلام هم الذين قالوا عن أنفسهم تلك المدائح والثناءات!! وليت شعري هل قرأ الشيخ «عباس القمي» السيرة والتاريخ أم لا؟ لو قرأ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتاريخ الإسلام وكان له حظ من العلم بسيرة عليٍّ عليه السلام وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام لأدرك بكل بساطة أنه من المحال أن يرضى النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمَّةُ الكرام عليهم السلام مقدار ذرة بأمثال تلك الإطراءات المبالغ بها والمدائح والثناء المتكلَّف.

نعم، لقد قام أشخاصٌ من قبيل «**ابن المشهدي**» و«**أبو قرّة**»[1] والسيد «**ابن طاووس**»

---

(١) هو أبو الفرج المعروف بابن أبي قرّة وهو محمد بن علي بن محمد بن أبي قرة العناني [وقيل: العيناثي] من مشايخ النجاشي، مؤلِّف عددٍ من الكتب في الأدعية والزيارات مثل: «عمل الشهور» و«عمل شهر رمضان» و«عمل الجمعة» و«التهجُّد» و«المزار». قال آقا بزرگ الطهراني في «**الذريعة**»: "ولعله من أحفاد أبي علي المعروف بابن أبي قرة الذي كان منجم الخليفة الفاطمي بمصر، كما في فهرس ابن النديم «ص ٣٨٨ »" انتهى. ويُكْثِرُ السيد رضي الدين بن طاووس الحلّي (ت ٦٤٤هـ) في كتاب أدعيته الشهير بـ «**إقبال الأعمال**» النقل عن كتب ابن أبي قرة مثل «**المزار**» و«**عمل شهر رمضان**» و«**عمل الشهور**». كما ينقل الكفعمي المتوفى (٩٠٥هـ) في كتابه «**الجنة الواقية**» كثيرًا عن كتاب «**التهجد**» لابن أبي قرَّة هذا. (المُتَرْجِمُ)

وأمثالهم بوضع زيارات لكل شخص وفي كل مكان ملؤوها بالدعاء والمديح وصنوف الإطراء، ومن جملة ذلك أنهم اخترعوا لمسجد الكوفة عدَّة مصاطبَ أو دُكَاكٍ فمصطبة (دكة) للإمام السجاد ومصطبة للإمام الصادق وأخرى للأمير فهل يجوز تقسيم مسجد الله -بلا دليل بل بمجرَّد الظن- إلى مصاطب ووضع آداب خاصة لكل منها؟ هل يجوز أن نجعل أحكام الدين غير منضبطة بالأدلة الشرعية إلى هذا الحد؟ حتى أنهم صاغوا عبارات جميلة ومسجّعة في مدح وإطراء «**مسلم بن عقيل**» و«**هانئ بن عروة**» و«**النبي يونس**»**!** وربما لو كانت قبور مائة وأربعة وعشرين ألف نبيّ معلومة لوضعوا زيارة خاصة لكل منها وملؤوا الدنيا قبابًا وأضرحةً!

لقد تقدّم أعداء الإسلام في الصناعات والقوّة وبذلوا مساعيهم وجهدهم في الاختراعات والاكتشافات أما هؤلاء فانشغلوا ببناء آلاف الأضرحة والحُرُم والزيارات حتى أصبحوا رهائن ومحتاجين للاستعمار وأصبح المسلمون من أكثر أمم الدنيا تخلّفًا في القدرة والاختراعات والاكتشافات.

لاحظ أيها القارئ الكريم لما كانت أوربا الطامعة تسعى بكل قواها نحو الرُّقِيِّ واكتساب القوَّة العسكرية والعلوِّ على سائر الأمم وتُغِير كالذئب الضاري لابتلاع الأمم الضعيفة مثل إندونيسيا والهند وأفريقيا و.... وكانت تعمل ليل نهار على إضعاف الدولة العثمانية، كان علماؤنا مشغولين بكتابة الزيارات وملئها بصنوف المدائح والإطراءات والطعن واللعن لمخالفيهم**!!** مع أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْـمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ**»[1]. فهؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم علماء للإسلام بدلاً من السعي والاهتمام بحال المسلمين وتقدّمهم الذي هو من أهم الواجبات صرفوا أوقاتهم على بناء القباب والمنارات ووضع الأدعية والزيارات المبتدعة وما أصدق كلام حضرة أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال: «**وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ فَاتَّقُوا الْبِدَعَ... إِنَّ عَوَازِمَ الأُمُورِ أَفْضَلُهَا وإِنَّ مُحْدِثَاتِهَا شِرَارُهَا**»[2].

---

(١) **الكافي**، للكليني، ج٢، ص ١٦٣، الحديث رقم ١ من باب «الاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم ونفعهم»، ومثله الحديثان رقم ٤ و ٥. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **نهج البلاغة**، خطبة ١٣٥.

نظرة إلى روايات أبواب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

إن الإمام الحسين-عليه آلاف التحية والسلام- هو سيّد شباب أهل الجنة وإمام أهل التقوى وسيّد الشهداء ونبراس المجاهدين في سبيل الله. ولكن مع الأسف بدلاً من أن يقتدي الناس بذلك الإمام الهمام ويُضحّوا بأرواحهم في سبيل الحقّ وفي سبيل بيان حقائق الإسلام، جعلوا شهادته وسيلةً لكسب المال والجاه والشهرة والرئاسة، وكلُّ من أراد أن يُبيِّن حقيقةً من حقائق الدِّين الذي استُشهد سيّد الشهداء لأجل اعتلائه ورفع رايته، قام قرّاء المراثي في مآتم سيد الشهداء بالصدّ عن سبيله وكَيْل التهم له. ومما يُؤسف له أن معظم المراجع والمجتهدين يلزمون الصمت ويوافقون بشكل غير مباشر من خلال سكوتهم على تلك البدع ويَدَعون الدُّعاة إلى الحقِّ وحدهم في الميدان في مواجهة العوام!

إحدى البدع في هذا المجال بدعة «**التطبير**»[1] أي «ضرب الرأس بالسيف (أو الساطور)» التي يشجّع عليها قرّاء المراثي قائلين كل من ضرب رأسه بالسيف إن كان شابًا حُشر مع حضرة علي الأكبر وإن كان صغيرًا حُشر مع حضرة علي الأصغر فيحثونهم على هذه الأعمال الباطلة[2]!

---

(١) **التطبير** [بالفارسية: قمه‌زنی]: شعيرة دينية ضمن الشعائر المسمية بالشعائر الحسينية، التي تقام من أجل استذكار معركة كربلاء، يستخدم في التطبير سيوف وقامات أو أي أدوات حادة أخرى، فيضرب المطبرون رؤوسهم بهذه الأدوات لإحداث جرح لإسالة الدماء من الرأس، ويردد المطبرون أثناء التطبير كلمة (حيدر). (المصحح)

(٢) سمعتُ أن رأس الأشرار والأراذل والأوباش في مدينة «أردبيل» كان رجلاً ظالمًا فاسقًا شاربًا للخمر يبتزّ الضعفاء أموالهم ويجرّد سكينه على كل من يقف في وجهه، ثم لما يأتي يوم عاشوراء يشارك في المواكب بحماس ويمارس التطبير! وقد اشتكى عليه الناس مرارًا لدى مسؤولي القضاء ليخلِّصوهم من ظلمه وابتزازه لهم فلم يكن يسعفهم أحد، حتى شكوه في النهاية إلى صديق له فقال لهم: سأكفيكم شره هذه السنة. وكان هذا الصديق من الذين يحملون الخشب في مراسم التطبير كي توضع على جبهة الضاربين

إنَّ «**التطبير**» بدعة لا تنسجم مع الفطرة ولا مع العقل السليم ينفر منها كل إنسان سليم الفطرة متَّزن التفكير، وبكل تأكيد لا يوافق دين الإسلام دين الفطرة على مثل هذه الأعمال. ولاحظ أيها القارئ الكريم وفكّر لحظة: هل من الممكن لشريعة من مبادئها قاعدة «**لا ضرر ولا ضرار**» وقاعدة «**لزوم دفع الضرر المحتمل**» أن لا تحرّم ضرب الرأس بالساطور مع أن ضرره يقينيٌّ وليس محتملاً؟! فالشرع الذي يقول إنه إذا كان الصوم أو الوضوء أو أي فريضة أخرى تضرُّ بالإنسان ولو ضررًا محتملاً -بالطبع المقصود الاحتمال العقلاني المعقول وليس مجرد الخيال والوهم والاحتمال الضعيف جدًا- فإنها تسقط عن الإنسان ويحرم عليه فعلها، فيجب أن يفطر ولا يصوم أو يتيمَّم بدل الوضوء...الخ، هل يسمح بإيقاع الضرر القطعيّ واليقينيّ على البدن؟!

ولكن يا للحسرة! إن أكثر العلماء - كما هي عادتهم في مراعاة عوام الناس- لا يُظْهِرون الحقّ، وأرى أن المراجعَ والمجتهدين -الذين أدّى عدم مخالفتهم وممانعتهم الجادّة والصريحة لهذه الأعمال القبيحة إلى شيوعها بين العوام- مسؤولون أمام الله عزَّ وجلَّ. إن كثيرًا من مراجع عصرنا أو القريبين من عهدنا مثل «آية الله نائيني» و«كاشف الغطاء» و«الشيخ هاشم العاملي» و«عبد الهادي الشيرازي» و«السيد محسن الحكيم» و«السيد أحمد الخوانساري» و«السيد أبو القاسم الخوئي» و«السيد محمد رضا الگُلپايگاني» لم يمنعوا هذه البدعة ولم يُحرِّموها، بل حتى أيّدها بعضهم بشكل ضمنيّ! والسيد «الخميني» أيضًا قال عن التطبير: «لا يصلح القيام به في الأوضاع الراهنة»! أيها القارئ العزيز! احكم بنفسك هل هناك فرق بين هذه الإجابة وبين من يُجيب على من سأله: «هل يجوز لعب القمار أو شرب الخمر؟» قائلاً: «لا يجوز ذلك في الظروف الراهنة»؟!!

وهناك عدد آخر من العلماء يُجيبون عن هذا السؤال بشكل مبهم ومخادع فيقولون: إن

عندما يأخذهم الحماس والهيجان ويضربون بقوة كي يقع الضرب على الخشب بدلاً من الرأس فلا يؤذي الضارب ولا يؤدي إلى إزهاق روحه، فخرج هذا الصديق يوم عاشوراء مع صاحبه الأزعر وعندما حمي الوطيس واشتد الضرب وضع له الخشبة على رأسه كالعادة فكان يضرب عليها لكنه سحب الخشبة فجأةً فضرب الأزعر نفْسَه على رأسه ضربة قوية أودت بحياته وكُفي الناس شرّه!

التطبير سبب لوهن التشيُّع وإضعافه فهو لذلك عمل غير جائز. وهذه الإجابة لا تختلف كثيرًا عن الإجابة التي أشرنا إليها أعلاه. ونحن نسأل: وضّحوا لنا قصدكم وقولوا: هل التطبير يوجب إضعاف التشيّع لكونه فعلاً محرّمًا أم أنه ليس محرّمًا في حدّ ذاته لكنه لما كان سببًا لإضعاف التشيّع وإهانته في أنظار الآخرين لم يجز القيام به لهذا السبب فقط؟!

ولا يخفى بالطَّبع أن بعض المراجع والعلماء نَهَوْا عن هذه الأمور وحرّموها بكل صراحة وبشكل قطعيّ، ولكنهم قلَّة. ومن جملتهم العالم اللبناني السيد «**محسن الأمين العامليّ**» الذي كتب في هذا رسالةً مفيدةً بعنوان «**التنزيه لأعمال الشبيه**»، نأمل أن تحظى باهتمام الشيعة[1]، ولكني لا أشك أن قرّاء المراثي والخطباء لا يرغبون أن يطّلع الناس على مثل هذه الرسائل. لذا لا يزال كثير من الناس لم يطلعوا عليها بل حتى كثير من مشايخنا المعمّمين لم يقرؤوها!

وقد ذكر المرحوم العلامة «**الأمين**»، إضافة إلى رسالته تلك، في الجلد العاشر من كتابه «**أعيان الشيعة**» ما يُبيِّن حرمة التطبير أو ضرب الرأس بالآلة الحادة وغيره من الأعمال التي تتمّ في أيام عاشوراء فقال:

«الخلل في إقامة العزاء جرح الرؤوس بالمدى والسيوف ولبس الأكفان وضرب الطبول والنفخ في الأبواق وغير ذلك من الأعمال وكلُّ هذا محرَّمٌ بنصِّ الشرع وحكم العقل، فجَرْحُ الرؤوس إيذاءٌ للنفس محرَّمٌ عقلاً وشرعًا ولا يترتَّب عليه فائدةٌ دينيةٌ ولا دنيويةٌ بل يترتَّب عليه، زيادةً على أنه إيذاء للنفس، الضررُ الدينيُّ وهو إبراز شيعة أهل البيت بصورة الوحشية والسخرية، وكلُّ ذلك كلبس الأكفان وباقي الأعمال مُزْرٍ بفاعله وبطائفته لا يرضاه الله ولا رسوله ولا أهل بيته فهو من عمل الشيطان وتسويل النفس الأَمّارة بالسوء سواء أَسُمِّيَ بالمواكب الحسينية أم بإقامة الشعائر أم بأيِّ اسم كان فالأسماء لا تُغيِّر حقائق الأشياء وعادات الطغام من العوام لا تكون دليلاً للأحكام»[2].

---

(١) سمعتُ أن السيد «**جلال آل أحمد**» ترجم هذه الرسالة إلى الفارسية تحت عنوان «**عزاداری‌های نامشروع**» أي أعمال مراسم العزاء غير المشروعة.

(٢) **أعيان الشيعة**، السيد محسن الأمين العاملي، ج١٠، ص ٣٦٣. (المُتَرْجِمُ)

على كل حال، آمل أن يسأل شعبنا العلماءَ عن أمور الشرع في كل مورد وأن لا يقبلوا إلا ما قام عليه الدليل. لكنهم لا يفعلون ذلك للأسف ولهذا يقوم قرّاء المراثي في الليل والنهار بترغيب الناس بالبكاء والنواح وضرب الرؤوس وزيارات القبور. والناس يقومون بهذه الأعمال متصوِّرين أنها كافية لنجاتهم من نار جهنم! ولا علم لهم بمعارف الإسلام ولا اطلاع لهم عن حقائق القرآن، وابتعد الناس بهذه الأمور عن معرفة القرآن وأحكامه ومعارفه. فمثلاً ترى خمسين ألفًا من فرق اللاطمين على صدورهم والضاربين ظهورهم بالسلاسل لا يوجد واحد منهم يحسن قراءة آيتين من القرآن ومعناهما أو يعلم أمرين من معارف الدين، بل كل بضاعتهم التقليد الأعمى وشعارهم: «**عندي الحسين فلا غم لي ولا حزن**»! وليس كتّابنا وخطباؤنا ودعاتنا بأفضل من ذلك بكثير، فهاهو كبير المحدّثين «**محمد باقر المجلسيّ**» قد خصَّص ثلاثة مجلدات من كتابه «**بحار الأنوار**» للزيارات ونصوصها!!

روايات باب وجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام

عقد المجلسيُّ أول باب من هذه الأبواب تحت عنوان: «**باب ١- أن زيارته صلوات الله عليه واجبةٌ مفترضةٌ مأمورٌ بها وما ورد من الذمِّ والتأنيب والتوعُّد على تركها وأنها لا تُترك للخوف**»! وقال بعد أن أورد روايات عديدة في هذا الباب: «**ثم اعلم أن ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية وجوب زيارته صلوات الله عليه بل كونها من أعظم الفرائض وآكدها ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرَّة مع القدرة، وإليه كان يميل الوالد العلامة نوَّر الله ضريحه**»[1].

بهذا أضاف المجلسيُّ فريضةً إلى فرائض الإسلام لم يكن لها وجودٌ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل أُضيفت إلى فرائض الإسلام في عهد الصفويّة!!

وهنا أورد روايات مفادها أن زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام لازمةٌ مرَّةً في الشهر [فمن لم يستطع فمرَّة بالسنة على الأقل]، وأن مَنْ زَارَهُ «**كَانَ اللهُ لَهُ مِنْ وَرَاءِ حَوَائِجِهِ وَكُفِيَ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ...... وَيَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ وَمَا عَلَيْهِ وِزْرٌ وَلَا خَطِيئَةٌ إِلَّا وَقَدْ مُحِيَتْ مِنْ صَحِيفَتِهِ**»، أو أنه

(١) **بحار الأنوار**، ج٩٨، ص ١٠. (المُتَرْجِمُ)

«يُغْفَرَ لَهُ مَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ وَيُقَالَ لَهُ اسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ»، و«لَمْ يَكُنْ لَهُ عِوَضٌ غَيْرَ الْـجَنَّة» و«تُصَافِحُهُ الْـمَلَائِكَة......وَيُصَافِحُ رَسُولَ الله»، وأنه «فَإِنْ هَلَكَ فِي سَفْرَتِهِ نَزَلَتِ الْـمَلَائِكَةُ فَغَسَّلَتْه»، ويتمنى جميع أهل القيامة لو كانوا من زوار الحسين، وأنه « مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام زَوَّارًا كَانَ نَاقِصَ الْإِيمَان» وأن «مَنْ ترك زيارته وهو يقدر على ذلك فقد عقَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعقَّنا (أي عقَّ الأئمّة عليهم السلام)»، «و إن كان [تارك الزيارة] من أهل الجنة فهو من ضيفان أهل الجنة» (أي لا يُمَلَّك فيها سكنًا) (لعله سيسكن بالأجرة ويتنقَّل من بيت لآخر، ومن هنا يظهر أن جنّة الخرافيين فيها أيضًا أزمة سَكَن!!)، وأن «مَنْ ترك زيارة قبر الحسين عليه السلام من غير علة فهو من أهل النار» وكان من أكثر الناس جفاءً، وروايات أن جميع الحيوانات والوحوش تزور الإمام، وأن «مَنْ زَارَ قَبْرَهُ عَلَى خَوْفٍ قَالَ يُؤْمِنُهُ اللهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَتَلَقَّاهُ الْـمَلَائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ وَيُقَالُ لَهُ: لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي فِيهِ فَوْزُكَ»، ورواية أن «مَنْ زَارَ الْـحُسَيْنَ عليه السلام فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنَ الثَّوَابِ قَالَ لَهُ مِنَ الثَّوَابِ ثَوَابُ مِائَةِ أَلْفِ شَهِيدٍ مِثْلِ شُهَدَاءِ بَدْر»[1] هذا في حين أن صاحب القبر أي الإمام ذاته استُشهد مرَّةً واحدةً ونال أجر الشهادة مرَّةً واحدةً[2].

وأورد المجلسيُّ أيضًا روايةً تقول: «مَنْ أَتَاهُ [أي قبر الحسين] تَشَوُّقًا كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ حَجَّةٍ مُتَقَبَّلَةٍ وَأَلْفَ عُمْرَةٍ مَبْرُورَةٍ وَأَجْرَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شُهَدَاءِ بَدْرٍ وَأَجْرَ أَلْفِ صَائِمٍ وَثَوَابَ

---

(١) انظر هذه الروايات في بحار الأنوار، للمجلسي، ج ٩٨، صص ٢ و٤ و٥ و ٧ و ٩ و ١٧-١٨ و ٣٧، وكلها أوردها المجلسيُّ نقلاً عن كتاب «كامل الزيارات» لابن قولويه. (الْمُتَرْجِمُ)

(٢) قال حضرة أمير المؤمنين علي عليه السلام في كتابه للأشتر النخعي لما ولّاه على مصر الذي يعدّ من خطب الإمام الموثوقة (لأنه من الممكن لمن يستمع الخطبة أن ينسى شيئًا منها أو يزيد فيها أو ينقص منها، ولكن هذا الاحتمال ضعيف جدًا بالنسبة إلى الرسالة المكتوبة): «وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ...أَنْ يَخْتِمَ لِي ولَكَ بِالسَّعَادَةِ والشَّهَادَةِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣)، وقال أيضًا في حرب صفين: «إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ» (نهج البلاغة، خطبة ١٧١). وقال أيضًا في دعائه: «فإذا كان مما لا بد منه الموت، فاجعل منيَّتي قتلاً في سبيلك» (الصحيفة العلوية، دعاؤه في صفين قبل رفع المصاحف). فيا ليت كان المجلسيُّ معاصرًا للإمام عليه السلام حتى يقول له يمكنك بدلاً من طلب الشهادة من الله أن تطلب منه الحصول على هذا الثواب ذاته بزيارتك لمرقدك!!

أَلْفِ صَدَقَةٍ مَقْبُولَةٍ و ثَوَابَ أَلْفِ نَسَمَةٍ أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ الله.... وَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرٍ وَيُؤْمِنُهُ اللهُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ وَمِنْ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ أَنْ يُرَوِّعَاهُ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْـجَنَّةِ وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ وَيُعْطَى لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُورًا يُضِيءُ لِنُورِهِ مَا بَيْنَ الْـمَشْرِقِ وَالْـمَغْرِب..».

وورواية أنه «**مَنْ زَارَ الْـحُسَيْنَ مُحْتَسِبًا..... يُكْتَبُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ حَجَّةٌ وَكُلَّمَا رَفَعَ قَدَمًا عُمْرة**» وأنه «**إِنْ كَانَ شَقِيًّا كُتِبَ سَعِيدًا وَلَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي رَحْمَةِ الله**».

و رواية أنه: «**من أتى قبر الحسين عليه السلام زائرًا له عارفًا بحقِّه يريد به وجه الله والدار الآخرة غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخّر**»! و رواية أن: «**من زار قبر الحسين بن علي عليه السلام لا يريد به إلا الله غفر الله له جميع ذنوبه و لو كانت مثل زبد البحر!**».

و رواية أن «**من زار قبر الحسين عليه السلام لِـلَّهِ و في الله أعتقه الله من النار وآمنه يوم الفزع الأكبر ولم يسأل الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاه**»! و رواية أن «**من زار قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام وهو يعلم أنه إمام مفترض الطاعة على العباد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر و قُبِلت شفاعتُه في سبعين مذنبًا(!!!) ولم يسأل الله جلَّ وعزَّ عند قبره حاجة إلا قضاها له**»! و رواية أن «**من أتاه ماشيًا كتب الله له بكلِّ خطوةٍ حسنةً ومحا عنه سيِّئةً ورفع له درجةً، فإذا أتاه وكَّل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير ولا يكتبان ما يخرج من فيه من سيِّئ ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودَّعُوهُ وقالوا: يا وليَّ الله! مغفورٌ لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله والله لا ترى النار بعينك أبدًا ولا تراك ولا تطعمك أبدًا**»!

و رواية تقول أن «**من زار الحسين عليه السلام من شيعتنا لم يرجع حتى يغفر له كلُّ ذنب ويكتب له بكلِّ خطوةٍ خطاها وكلِّ يدٍ رفعتْها دابَّتُهُ ألف حسنةٍ وَمُحِيَ عنه ألف سيئة ويرفع له ألف درجة**»!

و رواية تقول: «**إنَّ اللهَ وكل الله بقبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلون عليه كلَّ يومٍ شعثًا غبرًا من يوم قتل إلى ما شاء الله، ويدعون لمن زاره ويقولون: يا ربِّ! هؤلاء زوَّار الحسين افعل بهم وافعل بهم**»![1].

---

(١) انظر هذه الروايات الأخيرة في **بحار الأنوار**، للمجلسي، ج ٩٨، صص ١٨ – ٢٠، و ٢٣ – ٢٥ و٥٤، وكلها أوردها المجلسيُّ نقلاً عن كتاب «كامل الزيارات» لابن قولويه. (الْمُتَرْجِمُ)

ثم ينقل المجلسيُّ قصَّةً عجيبةً عن رجل يُدعى الحسين بن أبي حمزة قال: «**خرجتُ في آخر زمن بني أمية وأنا أريد قبر الحسين عليه السلام فانتهيت إلى الغاضرية حتى إذا نام الناس اغتسلتُ، ثم أقبلتُ أريد القبر حتى إذا كنت على باب الحير خرج إليّ رجل جميل الوجه طيب الريح شديد بياض الثياب فقال: انصرف فإنك لا تَصِلُ فانصرفت إلى شاطئ الفرات فأنست به حتى إذا كان نصف الليل اغتسلت ثم أقبلت أريد القبر. فلما انتهيت إلى باب الحائر خرج إليّ الرجل بعينه فقال: يا هذا انصرف فإنك لا تَصِلُ: فانصرفت فلما كان آخر الليل اغتسلت ثم أقبلت أريد القبر، فلما انتهيت إلى باب الحائر خرج إلي ذلك الرجل فقال: يا هذا إنك لا تَصِلُ، فقلت: فلم لا أصل إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة وقد جئت أمشي من الكوفة وهي ليلة الجمعة وأخاف أن أصبح ههنا وتقتلني مسلحة بني أمية؟ فقال: انصرف فإنك لا تَصِلُ. فقلت: ولم لا أَصِلُ؟ فقال: إن موسى بن عمران عليه السلام استأذن ربه في زيارة قبر الحسين عليه السلام فأذن له فأتاه وهو في سبعين ألف ملك فانصرف فإذا عرجوا إلى السماء فتعال، فانصرفت وجئت إلى شاطئ الفرات حتى إذا طلع الفجر اغتسلتُ وجئتُ فدخلتُ فلم أر عنده أحدًا فَصَلَّيْتُ عنده الفجر وخرجتُ إلى الكوفة**»[1]. وغيرها من الروايات الخرافية و الأكاذيب الفاضحة.

وإذا استفسر مستفسرٌ وسأل: وهل للملائكة وأرواح الأنبياء أجسام حتى تشغل ذلك المكان ولا تكون في مكان آخر، أم هل للأنبياء الحق في مغادرة عالَم البقاء والعودة إلى دار الفناء؟؟ رموه بالعظائم واتَّهموه بآلاف التُّهَم!

و رووا كذلك: «**وَاللهِ إِنَّ اللهَ يُبَاهِي بِزَائِرِ الْـحُسَيْنِ وَالْوَافِدِ إِلَيْهِ الْـمَلَائِكَةَ الْـمُقَرَّبِينَ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ فَيَقُولُ لَهُمْ: أَمَا تَرَوْنَ زُوَّارَ قَبْرِ الْـحُسَيْنِ عليه السلام أَتَوْهُ شَوْقًا إِلَيْهِ وَإِلَى فَاطِمَةَ؟ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَعَظَمَتِي لَأُوجِبَنَّ لَهُمْ كَرَامَتِي وَلَأُجِبَّنَّهُمْ لِمَحَبَّتِي...**»[2].

---

(١) **بحار الأنوار**، المجلسي، ج ٩٨، ص٥٧ نقلاً عن كتاب «**إقبال الأعمال**» للسيد ابن طاووس، وهو في ص ٣٨ منه (طبع إيران، سنة ١٣١٤هـ). (المُتَرْجِمُ)

(٢) **وسائل الشيعة**، الحر العاملي، (ط مؤسسة آل البيت)، ج ١٤، ص٤٩٧، حديث رقم ٦. (المُتَرْجِمُ)

و رووا «**عن صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لَمَّا أَتَى الْحَيْرَةَ: هَلْ لَكَ فِي قَبْرِ الْحُسَيْنِ؟ قُلْتُ: وَتَزُورُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ! قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَزُورُهُ وَاللهُ يَزُورُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةِ جُمْعَةٍ يَهْبِطُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهِ، وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ وَمُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَنَحْنُ أَفْضَلُ الْأَوْصِيَاءِ. فَقَالَ صَفْوَانُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَنَزُورُهُ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ حَتَّى نُدْرِكَ زِيَارَةَ الرَّبِّ؟؟ قَالَ: نَعَمْ يَا صَفْوَانُ..**»!![1]

قلتُ: لعلَّ الله تعالى – والعياذ بالله – يريد أيضًا أن ينال ثواب الزيارة! وإذا سأل متسائلٌ: كيف يهبط الله تعالى مع أنه ليس متحيِّزًا حتى يتحرَّك وينزل ويصعد! سوف يُجاب: يا عديم الدين! أنت منكرٌ للولاية، إيمانك ضعيف!

بل رووا: «**زَائِرُ الْحُسَيْنِ عليه السلام مُشَفَّعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمِئَةِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ مِمَّنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْمُسْرِفِينَ**»![2] وفي رواية تالية أن زائر الحسين: «**يُكْتَبُ لَهُ شَفَاعَةٌ فِي أَهْلِ وَأَلْفٍ مِنْ إِخْوَانِه**»![3]. وقد ذكرنا مرارًا أن زيارة الإمام في حال حياته لم يكن لها واحد من ألف من هذا الثواب والأجر! فكيف يكون لها ثل ذلك الأجر بعد وفاته؟!!

إن مثل هذه الروايات، التي هي غيض من فيض، إذْ لم نذكر سوى واحد بالألف منها، قد أدَّت إلى اغترار شعبنا واستسهالهم المعاصي، إذ إن بعض العوام صدّقوا أن زيارة واحدة كفيلة بكل هذا الأجر وبالتالي كفيلة بإلغاء حسابهم وكتابهم يوم القيامة والتأثير على قانون الجزاء الإلهي، فلم يعد لهم خوف قوي كما ينبغي من عقاب الله على الذنوب والمعاصي.

ولا ريب أن جميع أمثال تلك الروايات مخالفة للقرآن الكريم، وقد علّمنا النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من آله عليهم السلام مرارًا أن كل حديث لا يُوافق القرآن «**فاضربوا به عرض الحائط**» أو «**فدعوه**» أو «**فلم نَقُلْهُ**» أو «**فهو زخرف**» أي قول كاذب باطل.

أضف إلى ذلك - وكما ذكر العالم المحقق الأستاذ **قلمداران** (رحمه الله) في كتابه «**زيارة**

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٦٠، حديث رقم ٣٢ نقلاً عن كامل الزيارات لابن قولويه. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٧٧، حديث رقم ٣٦ نقلاً عن كامل الزيارات لابن قولويه. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٧٩، حديث رقم ٣٩ نقلاً عن كامل الزيارات لابن قولويه. (المُتَرْجِمُ)

المزارات»- توجد أحاديث معارضة لتلك الأحاديث والروايات الكاذبة المذكورة، من ذلك روايةٌ رواها **الحِمْيَرِيّ** في كتابه «**قرب الإسناد**» ورواها الشيخ «**الحر العامليّ**» أيضًا، لم يعتبر الإمام الصادق عليه السلام زيارة مرقد الحسين حتى بمقدار حجٍّ واحدٍ[1]، في حين أن بعض الروايات السابقة جعلت للزائر ثواب ألف أو مائة ألف حجة! فهي بلا ريب من وضع الغلاة الكَذَبَة! وقد نهى الله تعالى عن الغلوّ وقال: ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال الإمام الصادق عليه السلام، كما جاء في باب «**نفي الغلو**» في المجلد السابع من «**بحار الأنوار**» (الطبعة القديمة): «**إِنَّ الْغُلَاةَ شَرُّ خَلْقِ اللَّه**»[2].

روايات باب فضل الصلاة في حرم الإمام الحسين عليه السلام

روى المجلسيُّ في هذا الباب [نقلاً عن كتاب «**كامل الزيارات**» **لابن قولويه**] ناسبًا إلى الإمام الصادق عليه السلام قوله لمن سأله هل يصلي عند قبر الحسين عليه السلام؟ «**فقال: نعم، ويصلِّى عنده، ويصلِّى خلفَه ولا يتقدَّم عليه...**»[3] أي يجعل القبر أيضًا في قبلته؟!! ونسأل: فلماذا إذن نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُتَّخذ قبره قبلةً؟؟ كما تقدم ذكر الحديث في ذلك[4].

---

(١) **وسائل الشيعة**، ج١٠، باب استحباب اختيار زيارة الحسين على الحج والعمرة المندوبين، الرواية ١٥. (المؤلف). قلت ونص الرواية هو: «عن حنان بن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: **مَا تَقُولُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَإِنَّهُ بَلَغَنَا عَنْ بَعْضِكُمْ أَنَّهُ قَالَ: تَعْدِلُ حَجَّةً وَعُمْرَةً؟!** فَقَالَ: **مَا أَصْعَبَ هَذَا الْحَدِيثَ، مَا تَعْدِلُ هَذَا كُلَّهُ، وَلَكِنْ زُورُوهُ وَلَا تَجْفُوهُ فَإِنَّهُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَشَبِيهُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا وَعَلَيْهِمَا بَكَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْض**». (المُتَرْجِمُ)

(٢) عقد الشيخ الصدوق (رح) في كتابه الهام: «**اعتقادات الإمامية**» بابًا كبيرًا بعنوان: "نفى الغلوّ بالنبيّ والأئمّة صلوات الله عليه وعليهم" أورد فيه – بعد الاستشهاد بعدد من آيات القرآن – (٩٤) أربعةً وتسعين روايةً عن الأئمة من آل البيت عليهم السلام في نفي الغلو وإبطاله والتشنيع على أصحابه والبراءة منهم، ومن أقاويلهم، بل لعنهم، وقد أجمع علماء الإمامية على اعتبار الغالي كافرًا نجسًا. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **كامل الزيارات**، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٢٣٩، ح٢، والمجلسي، عنه في بحار الأنوار، ١٠-باب جوامع ما ورد من الفضل في زيارته عليه السلام، ج ٩٨، ص ٧٨، والنوري الطبرسي عنه في **مستدرك الوسائل**، ج ١٠، ص ٣٢٨. (المُتَرْجِمُ)

(٤) راجع الصفحة ٧٣ من هذا الكتاب.

وروى المجلسيُّ في الحديث رقم ٣٩ [من الباب العاشر في جامع ما ورد من الفضل في زيارته عليه السلام] أن **من أقام عند قبر الحسين عليه السلام كان له بكل يوم ثواب ألف، وكل درهم ينفقه له ثواب ألف درهم.**(١)

قلت: لذا يجب أن يبقى عدد من العاطلين المستهلكين عند قبر الإمام ويقوم آخرون بالإنفاق عليهم، هذا فضلاً عن استحالة صدور هذه الأخبار عن الأئمّة عليهم السلام لأنه لم يكن لقبر الإمام الحسين عليه السلام في زمنهم بناء ولا فناء حتى يمكن للزائر أن يقيم ويعتكف فيه، مما يبين بوضوح أن هذه الرواية مما وضعه الوضَّاعون فيما بعد.

ثم يروي المجلسي في بابٍ بعنوان (فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام صلوات الله عليه في يوم عرفة) نقلاً عن الشيخ الصدوق [والطوسي وابن قولويه] منسوبًا إلى الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَبْدَأُ بِالنَّظَرِ إِلَى زُوَّارِ قَبْرِ الْـحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام عَشِيَّةَ عَرَفَةَ. قِيلَ لَهُ: قَبْلَ نَظَرِهِ إِلَى أَهْلِ الْـمَوْقِفِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ فِي أُولَئِكَ أَوْلَادَ زِنًى وَلَيْسَ فِي هَؤُلَاءِ أَوْلَادُ زِنًى**»!(٢)

ولنا أن نتسائل: هل يعقل أن يَعْتَبِر الإمامُ الصادقُ أن بعضَ أهل عرفات أولاد زنى؟ أم أنه من الواضح أن الرواة الكذبة قد افتروا عليه ذلك؟ ثم إنه طبقًا للقرآن الكريم والأخبار الصحيحة فإن الأئمّة عليهم السلام لا يعلمون الغيب فكيف يُنسب للإمام علمه بأن من بين أهل عرفات من هو ولد زنى أما في زوّار كربلاء فليس من بينهم أي ولد زنى؟!

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٧٨، ح ٣٩، نقلاً عن «كامل الزيارات». (المُتَرْجِمُ)

(٢) الصدوق، **من لا يحضره الفقيه**، ج ٢، ص ٥٨٠. والشيخ الطوسي، **التهذيب**، ج ٦، ص ٥٠. والمجلسي، **بحار الأنوار**، باب ١٢- فضل زيارته صلوات الله عليه في يوم عرفة أو العيدين، ج ٩٨، ص ٨٥، حديث رقم ٤، نقلاً عن كتابَيْ الشيخ الصدوق: «**ثواب الأعمال**» و«**معاني الأخبار**»، ومثله الحديث رقم ٥ نقلاً عن «**كامل الزيارات**» لابن قولويه. (المُتَرْجِمُ)

روايات باب زيارات الإمام الحسين عليه السلام المطلقة

ذكر الـمجلسي وابن قولويه وأمثالهما زيارة وهي أساس مذهب الشيخية والغلاة، وأمثال هذه الزيارة مخالفة للقرآن وتبث الفرقة بين الـمسلمين. وقد نُسِبَت هذه الزيارة كذبًا إلى الإمام الصادق عليه السلام حتى يرموا مسؤولية إيجاد التفرقة بين المسلمين عليه، في حين أن مقام حضرة الإمام الصادق عليه السلام أجلّ وأعلى من أن يُثير الفتنة ويبثّ الفرقة بين أتباع جدِّه صلى الله عليه وآله وسلم.

إن الشيخية المفوّضة يقولون: ليس الله هو الذي يُدبّر السموات والأرض بل ليس هو بخالقهما لأنه خلق نور محمّد وآله فقط! ثم إن بقية الـموجوداتِ خُلقت من نورهم! ويستدلُّون على عقيدتهم هذه بجمل من هذه الزيارة وبهذا يشطحون بعيدًا جدًا عن القرآن الكريم الذي قال: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد: ١٦] وقال أيضًا: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

بعد مجموعة من الجمل الخرافيّة يصل كاتب الزيارة إلى القول: «**إِرَادَةُ الرَّبِّ فِي مَقَادِيرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَيْكُمْ وَ تَصْدُرُ مِنْ بُيُوتِكُمْ**»!!

قلتُ: كأن واضع الزيارة ظنَّ أن الإرادة الإلهية تذهب وتأتي ولم يدر أن إرادة الله هي عين إيجاد المراد وتحقُّقه، والإرادة الإلـهية هي عين فعله وليست مثل إرادتنا حيث نريد شيئًا في البداية ونصمِّم عليه ثم نأتي بمقدمات الفعل ونقوم به. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**كَلَامُهُ فِعْلٌ مِنْهُ**»[1] أي كلامه ليس حروفًا وجملاً بل هو عين فعله وإيجاده، وقال أيضًا: «**إِرَادَتُهُ هِيَ الْفِعْلُ**» أي أنه ليس لِـلَّهِ تعالى دماغ وذهن وقلب مثلنا ومركز في الدماغ تصدر منه سيّالات الإرادة بل كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾

---

(١) **نهج البلاغة**، خطبة ١٨٦.

[يس: ٨٢]، ويصف أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله: «**يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ لا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ولا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ وإِنَّمَا كَلامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ**»(١). وبالتالي لا معنى لما جاء في عبارات الزيارة من هبوط إرادة الربِّ وصدورها من منازل البشر!!

ثم يقول في الزيارة: «**أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْد**» فيبدو أن واضع الزيارة يظن أن تربة كربلاء هي الجنة!

ثم يقول واضع الزيارة: «**يَا وِتْرَ اللَّهِ الْمَوْتُورَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض.... وَالسَّبِيلَ الَّذِي لَا يُخْتَلَجُ دُونَكَ مِنَ الدُّخُولِ فِي كَفَالَتِكَ الَّتِي أُمِرْتَ بِهَا**» فهذا الزائر الجاهل ترك سبيل الله المستقيم المباشر وأخذ يلتمس سبيلاً يجعله في كفالة الإمام!! ألم يقرأ في صلاته: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾؟ أولم يقرأ قول الله تعالى لرسوله وللمؤمنين: ﴿وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١]؟ أو قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ۝٣﴾ [الأحزاب: ٣] أو قوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ۝٤٥﴾ [النساء: ٤٥]؟

لقد هجر أولئك الجاهلون أو المغرضون كتاب الله وتشبّثوا بزيارات موضوعة لا تفيدهم شيئًا سوى الانحراف عن القرآن وتمجيد غير الله!

ثم يقول واضع الزيارة: «**بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ، وَبِكُمْ يَخْتِمُ اللَّه**». ويجب أن نقول لهذا الضّالّ: إن أحد الأئمَّة الذين تتصوَّر أن افتتاح العالم واختتامه بيدهم، قاتل معاوية واحدًا وعشرين شهرًا وقال: «**وسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ المَعْكُوسِ والْجِسْمِ المَرْكُوسِ**» وأراد أن يعزل معاوية عن ولاية الشام ولكنه مع الأسف الشديد جدًا لم ينجح في ذلك بسبب عصيان أتباعه لأمره، واستشهد، [فحكم معاوية بعده ليس الشام فقط بل كل عالم الإسلام عشرين عامًا أخرى!!].

ثم يقول في الزيارة: : «**بِكُمْ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ، وَيُثْبِتُ**». وأقول: إذا لم يكن هذا شركًا فما الشرك إذن؟ فالله تعالى يقول: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ۝٣٩﴾ [الرعد: ٣٩]، فأمّ الكتاب إذن ليس عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا عند الإمام عليه السلام حتى يمحو منه

(١) المصدر السابق.

شيئًا أو يُثبته! فمن الواضح أن مختلق هذه الزيارة لا علم له مطلقًا بكتاب الله!

إن تثبيت أقدام رسول الله ﷺ وجميع المؤمنين - والأئمة من جملتهم- بيد الله سبحانه وتعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧].

ثم يقول واضع الزيارة: «**بِكُمْ يُفَكُّ الذُلُّ مِنْ رِقَابِنَا**» هذا في حين أننا منذ قرون ضُرب علينا الذل بسبب هذه الخرافات والأوهام والغلو والبدع الشركية وأصبحنا خاضعين للمستعمرين الكفرة!

اللَّهُمَّ أَفْرِغْ عَلَيَّ صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامِي وَانْصُرْنِي عَلَى أَهْلِ الشِّرْكِ وَالخُرَافَاتِ. ولو أردتُ أن أُبيّن جميع الخرافات في هذه الزيارة لطال بي المقال مما لا يتحمله هذا الكتاب المختصر.

وهنا يقول أيضًا: «**ثُمَّ تَدُورُ فَتَجْعَلُ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْكَ إِمَامًا (أي جهة القبلة لك) فَتُصَلِّي سِتَّ رَكَعَاتٍ...**» هذا منافٍ لقول رسول الله ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي قِبْلَةً**».

ثم يروي المجلسيُّ في هذا الباب الزيارةَ الثامنةَ نقلاً عن «**كامل الزيارات**» لابن قولويه بسنده عن «المُفَضَّل بن عُمَر» عن «جابر الجَعْفِيّ» قال: قال أبو عبد الله عليه السلام للمفضل: «..... **ثُمَّ تَسْعَى فَلَكَ بِكُلِّ قَدَمٍ رَفَعْتَهَا أَوْ وَضَعْتَهَا كَثَوَابِ الْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**... الحديث».

قلتُ: إذا كان الزائر ينال بكل خطوة يخطوها نحو القبر ثواب الشهيد المتشحِّط بدمه في سبيل الله، فإنه عندما يصل إلى القبر يكون كأنه قد استشهد متشحِّطًا بدمه آلاف المرات وبالتالي يكون مقام الزائر أكبر من الإمام المزور لأن الإمام لم يستشهد سوى مرَّة واحدة!!

يا ليت هذا الوضّاع الجاهل المختلق لهذه الزيارة كان يعلم أن الأئمة الكرام عليهم السلام كانوا يتضرَّعون إلى الله لينالوا مرتبة الشهادة في سبيله مرَّةً واحدةً ويسألونه بكل إلحاح أن يجعل الشهادة من نصيبهم. ولكن هذا الزائر برحلته ونزهته هذه ينال أجر آلاف الشهداء!! أليس هذا لعب في الدين؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾ [الأنعام:

٧٠]. على كلِّ حال، فها هو دين الغلاة، كأن هناك فرقًا بين واجبات الإمام وواجبات الـمأموم، فعلى الإمام أن يجاهد ويُقاتل حتى يفوز بالشهادة وأما الـمأموم فيكفيه أن يقوم بزيارة فيحصل على أجر وثواب أكثر من الإمام!!

ثم يقول واضع الزيارة: «**وَلَكَ بِكُلِّ رَكْعَةٍ رَكَعْتَهَا عِنْدَهُ كَثَوَابِ مَنْ حَجَّ وَاعْتَمَرَ أَلْفَ عُمْرَةٍ وَأَعْتَقَ أَلْفَ رَقَبَةٍ وَكَأَنَّمَا وَقَفَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَلْفَ مَرَّةٍ مَعَ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ**.....»!![1] من الواضح أنه في دين الغلاة لا توجد فيه محاسبة دقيقة للأجر والثواب لأن الإمام وأصحابه استُشهدوا مرَّةً واحدةً ولكن زائر قبرهم ينال ثواب الجهاد ألف مرة مع نبيٍّ مرسل، وليس لأحد أن يعترض! لماذا؟ لأن الذين أوردوا تلك الزيارات في كتبهم علماء كبار فعلى الآخرين أن يلزموا الصمت وأن لا يعترضوا، وكل من اعترض فهو عندهم فضولي جاهل!

وفي سند هذه الزيارة مسألة عجيبة بل كذب فاضح، لأن المفضّل روى عن «جابر بن يزيد» أن الإمام قال للمفضَّل! مما يعني أن المفضل ذاته لم يكن يدري ما حدَّثه به الإمام شخصيًّا لذلك روى ما حدَّثَه به الإمامُ عن جابر!!! ولا أدري هل نتعجب من الرواة الوضّاعين أم من الذين أوردوا في كتبهم هذه المضحكات!

وفي زيارة أخرى في هذا الباب جاءت عبارة: «**قَدْ طَهُرَتْ بِكَ الْبِلَادُ وَ طَهُرَتْ أَرْضٌ أَنْتَ فِيهَا**»، وفي رأيي لو اجتمع واضع هذه الزيارة وجميع الزائرين على أن يستخرجوا من هذه الجملة معنىً مفيدًا لما استطاعوا!

ثم في الزيارة رقم (٣٠) التي علامات الوضع والاختلاق واضحة جدًا فيها، يُنْسَبُ إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «... **إذا أردتَ الزيارة فادخل من الباب الشرقيّ**»، مع أنه لم يكن في زمن الإمام الصادق عليه السلام أي بناء ولا باب شرقي أو غربي أو شمالي أو جنوبي لقبر الحسين عليه السلام.

وفي هذه الزيارة الموضوعة عبارة تقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى عِلْمِهِ، ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى عِلْمِهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مَعَ عِلْمِهِ مُنْتَهَى عِلْمِهِ**» ويبدو أن واضع هذه

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٨٢، حديث رقم ٨، نقلاً عن «**كامل الزيارات**». (المُتَرْجِمُ)

الزيارة لم يكن يعي ما يقول ولا يفهم ما يكتب، فقد وضع لعلم الله منتهى مع أن علم الله عين ذاته وليس له قبل ولا بعد ولا حد ولا انتهاء.

ينبغي أن نعلم أن مدوّن كتاب «**كامل الزيارات**» أي **ابن قولويه** [ومعظم هذه الزيارات منقولة من كتابه] مثله مثل «**الصفّار**» كان كاسبًا غير متعلّم، لذا جمع في كتابه كُلَّ ما وضعه الرواة الكذَّابون الوضَّاعون! وكان من أهل قم ولم يكن في قم حينذاك حوزةٌ علميّةٌ، رغم أن معظم العلماء فيها -كما يقول صاحب «**معالم الأصول**» وآخرون - ليسوا سوى مقلّدين لمن سبقهم.

ثم يقول واضع الزيارة للإمام: «**كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَنُوراً فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَنُوراً فِي الْهَوَاءِ وَنُوراً فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، كُنْتَ فِيهَا نُوراً سَاطِعاً لَا يُطْفَأُ**»، وهذا الكلام المضطرب يشبه كلام الكهنة الذي من الصعب أن نستخرج منه معنى أو مفهومًا مفيدًا، ولا يفيد إلا في إدهاش العوام وإبهارهم حتى يستطيع واضع الزيارة أن يدَّعي قائلاً: لا يمكن بالطبع لكل شخص أن يصل إلى عمق معاني هذه الزيارة فليس كل وعاء أهلاً لاستقبال هذه المعارف!! وبهذا يستطيع أن ينسج ما يريد من هذه المعاني العميقة (!!). ولكن كل من كان له علمٌ بالقرآن الكريم والأحاديث الموثوقة للنبيِّ الأكرم ﷺ وأئمّة الهدى عليهم السلام يمكنه أن يدرك بسهولة بُعْدَ هذه الجمل عن طريقة كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وفي هذه الزيارة يلعن واضعها قاتلي الإمام الحسين عليه السلام ويقول: «**اللَّهُمَّ أُحْلُلْ بِهِمْ نَقْمَتَكَ ... وَخُذْهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ**» ويبدو أن واضع هذه الزيارة لا يدري أن الله تعالى قد أخذ قتلة الإمام الحسين عليه السلام المجرمين بذنوبهم منذ ألف عام وانتقم منهم وأنالهم ما يستحقون.

وفي رأيي أن هؤلاء الغلاة المندسُّون في وسط الشيعة كانوا في عهد العبّاسيّين ينافسون الخلفاء على الحكم فيتعرّضون للأذى والملاحقة والضرب والشتم من قبلهم فأرادوا أن يوجدوا مذهبًا وملاذًا يعملون ضدَّهم من خلاله وتحت لافتته، ولما كان آل عليّ يحظون باحترام أكثر الناس، لذلك قام أولئك الغلاة بوضع الأحاديث في تعظيم الأئمة من أولاد عليّ إلى أقصى ما استطاعوا وسلُّوا سيوفهم ضدّ دولة بني العباس باسم آل عليّ، وأوجدوا

دكّانا لهم وجذبوا الناس البسطاء مستغلين عواطفهم. ولم يكن يهمُّهم في الواقع أن تُقبل أكاذيبهم أو أن يرضى بها أئمَّة أهل البيت من آل علي عليهم السلام أم لا، وإنما كان يهمُّهم جذب العوام والوصول إلى مآربهم وقد نجحوا من خلال هذه الزيارات وغيرها من الروايات الخرافية إلى حدٍّ ما في تحقيق أغراضهم.

ثم يقول في هذه الزيارة: «**فَكُنْ يَوْمَئِذٍ فِي مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي لِي مُنْقِذاً فَقَدْ عَظُمَ جُرْمِي**»، ويبدو أن كاتب الزيارة لم يقرأ قولَه تعالى لرسوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩﴾ [الزمر: ١٩]. وكما جاء في القرآن الكريم لم يستطع نبي الله نوح عليه السلام أن ينقذ ابنه وزوجته من عذاب الله ولم يغن عنهما شيئًا، وكذلك نبي الله لوط عليه السلام لم يغن عن زوجته شيئًا ولم يستطع إنقاذها من قهر الله وعذابه. وقد عاتب الله تعالى نوحًا عليه السلام في طلبه أن ينقذ ابنه، بقوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ [هود: ٤٦]. بل عاتب خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم عتابًا جميلاً لسماحه لبعض المنافقين بعدم الخروج معه فقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣]. وأوصى سبحانه نبيه الكريم أن يقول: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام: ١٥].

وقد وردت أحاديث عديدة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في أن لا نجاة إلا بالعمل الصالح منها قوله: «**مَعَاشِرَ النَّاسِ! لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ شَيْءٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْراً أَوْ يَصْرِفُ بِهِ عَنْهُ شَرّاً إِلَّا الْعَمَلُ. أَيُّهَا النَّاسُ! لَا يَدَّعِي مُدَّعٍ وَ لَا يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يُنْجِي إِلَّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ وَلَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»[1].

أو قوله لعشيرته ولابنته فاطمة عليها السلام: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ اللهِ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ! اشْتَرِيَا أَنْفُسَكُمَا مِنْ اللهِ لَا أُغْنِي عَنْكُمَا**

---

(١) «**الإرشاد**»، الشيخ المفيد (٤١٣هـ)، ط٢، بيروت، دارالمفيد، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ج ١، ص١٨٢، و«**إعلام الورى بأعلام الهدى**»، الشيخ الطبرسي (٥٤٨هـ)، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٢٦٤. وقد نقله المجلسي عنهما في بحار الأنوار، ج٢٢، ص٤٦٧. (الْمُتَرْجِمُ)

مِنْ اللهِ شَيْئًا سَلَانِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمَا»[1].

وفي أواخر دعاء كميل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «**اغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا الدُّعَاءَ فَإِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تَشَاءُ**». وكذلك رُوي عنه عليه السلام قوله: «**..وإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأَكْبَرِ وتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ المَزْلَقِ...**»[2].

فكأن واضع هذه الزيارة الجاهل لا علم له بحقائق الإسلام وأن الشفاعة لِلَّهِ جميعًا وأن إنقاذ المجرمين ليس بيد الزائر ولا بيد الإمام بل بيد الله وحده، كما نقرأ هذا المعنى في دعاء «**الجوشن الكبير**» في الفقرة ٩ والفقرة ٦٩ حين يخاطب الداعي اللهَ عزَّ وجلَّ بقوله «**يا شافع**» و«**يا شفيع**».

ثم يقول واضع الزيارة: «**يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكَ ... وَأَبْذُلَ مُهْجَتِي فِيكَ وَأَقِيكَ بِنَفْسِي... وَمَنْ مَضَى نَفْسِي فِدَاؤُكُمْ وَلِمَضْجَعِكُمْ**» ولا يدري هذا الزائر أن النفس والروح يجب أن تُبذلا «في سبيل الله» لا في سبيل مضجع الإمام! ولا عجب إذن أن نسمع من قرّاء المآتم في عصرنا عبارة «**عاشقان قبر حسين**»! أي عشّاق قبر الحسين! ولكنهم ربما لا يدرون أنه حسب مندرجات بعض الزيارات في كتاب البحار للمجلسيّ من الممكن ليس فقط أن يكون الإنسان عاشقًا للقبر بل أن يفدي نفسه للقبر!

ونقرأ في هذه الزيارة مرارًا عبارات من مثل: «**وضع خدك على القبر**» أو «**ثم ضع خدَّك الأيمن على القبر**» أو «**ثم ضع خدك الأيسر على الأرض و قل**» أو «**ثم تقبِّله وتمرّ سائر بدنك ووجهك على القبر**» ونحوها.

ولنا أن نتساءل لو كان الإمام حيًا وأراد الناس أن يتمسَّحوا به على ذلك النحو هل كان سيرضى بذلك! بالطبع لا، كيف وقد أراد بعضهم تقبيل يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يسمح لهم

---

(١) الحديث رواه البخاري ومسلم في الصحيحين والترمذي والنسائي في السنن وأحمد في مسنده وغيرهم بعدة أسانيد وألفاظ متقاربة، واللفظ لمسند أحمد، وقد نقل العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان، ج ١٥، ص٣٣٣، هذه الروايات ذيل تفسيره لقوله تعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾. (المُتَرْجِمُ).

(٢) **نهج البلاغة**، الرسالة ٤٥.

بذلك، ولما ترجّل رجال من أهل ساباط المدائن ليستقبلوا أمير المؤمنين عليه السلام وهو راكب على فرسه منعهم من ذلك ونهاهم عنه، وقد نقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَامَ لَهُ فَكَانُوا إِذَا قَدِمَ لَا يَقُومُونَ لِعِلْمِهِمْ كَرَاهَتَهُ ذَلِكَ**»[1]، بل لما قال له أحد أصحابه [وهو عبد الله الشخير أبو مُطَرِّف]: «يَا رَسُولَ اللهِ أَنْتَ سَيِّدُنَا وَذُو الطَّوِلِ عَلَيْنَا»، **فقال: «السَّيِّدُ اللهُ لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»**[2].

فهل يرضى الإمام بأن يضع أحدهم جبهته أو خده على الأرض لأجله؟ خاصة أن الإمام لم يعد في هذه الدنيا ولم يعد له اطلاع على ما يجري فيها. فما فائدة هذه التذلّلات والتملّقات، خاصة أنه بعد عالم الدنيا لا يوجد إلا عالم البرزخ الذي هو بمثابة قاعة انتظار للقيامة وعالم منقطع عن الدنيا. أجل لا ملجأ ولا ملاذ لأي إنسان نبيًّا كان أم فردًا من عامة الناس سوى الله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّه لا يُسْتَغَاث بي إنما يُسْتَغَاث بالله عزَّ وَجلَّ**»[3].

الزيارة رقم (٣١) المروية عن جابر بن عبد الله ومقارنتها بالروايات السابقة

إحدى الزيارات في هذا الباب زيارة يؤمن بها جميع علماء الشيعة تقريبًا وهي تختلف تمامًا مع كل الروايات الأخرى. ولما كان **جابر بن عبد الله الأنصاري** شخصًا موثوقًا [لدى الشيعة أيضًا] لذا سنذكر زيارته هنا كي يطلع عليها القرَّاء الكرام:

أولاً- يقول «**جابر**» في زيارته يوم الأربعين لقبر الإمام الحسين عليه السلام: «.... **وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ لَقَدْ شَارَكْنَاكُمْ فِيمَا دَخَلْتُمْ فِيهِ. قَالَ عَطِيَّةُ: فَقُلْتُ لِجَابِرٍ: وَكَيْفَ وَلَمْ نَهْبِطْ وَادِياً وَلَمْ نَعْلُ جَبَلًا وَلَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ وَالْقَوْمُ قَدْ فُرِّقَ بَيْنَ رُءُوسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأُوتِمَتْ أَوْلَادُهُمْ وَأَرْمَلَتِ الْأَزْوَاجُ؟ فَقَالَ لِي: يَا عَطِيَّةُ، سَمِعْتُ حَبِيبِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: مَنْ**

---

(١) **عوالي اللئالي**، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج ١، ص ٤٣٥، ح ١٤١، وهو في مصادر أهل السنَّة في سنن الترمذي: ج ٥، كتاب الأدب، ١٣-باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، ح ٢٧٥٤ مع اختلاف يسير.

(٢) «**الطبقات الكبرى**»، ابن سعد، ج١، ص ٣١١. والحديث أخرجه بلفظ قريب كل من أبي داود في سننه وأحمد في مسنده، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» حديث رقم ٣٧٠٠.

(٣) رواه من أهل السنة: الحافظ الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» كتاب الأذكار، باب ما يستفتح به الدعاء..، وقال بعده: «رواه **الطبراني** ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث».

أَحَبَّ قَوْماً حُشِرَ مَعَهُمْ وَمَنْ أَحَبَّ عَمَلَ قَوْمٍ أُشْرِكَ فِي عَمَلِهِمْ»[1].

أقول: شتّان بين مشاركة الزائر لهم في الثواب وبين ما رأيناه في بعض الروايات السابقة من أن للزائر بكل قدم ثواب كذا وكذا من الشهداء! وشتان بين ثواب شهادة واحدة وبين ما مرّ في بعض الزيارات من أن للزائر ثواب ألف شهيد! فهذا الحديث ينفي كل تلك الروايات ويبين أنها موضوعة.

ثانيًا: في هذا الحديث أن جابرَ سلّم على الحسين عليه السلام ثلاث مرات ثم قال: «**حَبِيبٌ لَا يُجِيبُ حَبِيبَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَأَنَّى لَكَ بِالْجَوَابِ وَقَدْ شُحِّطَتْ أَوْدَاجُكَ عَلَى أَثْبَاجِكَ وَفُرِّقَ بَيْنَ بَدَنِكَ وَرَأْسِكَ**»[2].

فعلى قول جابر لا يمكن للشهداء ولا للإمام أن يجيبوا من يخاطبهم، فأين هذا مما مرّ معنا من متون الزيارات التي وضعها الغلاة وقالوا فيها: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ جَوَابِي**»! هل نصدِّق قول الغلاة أم قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه؟ لا يستطيع أحد أن يدّعي أن معرفة الغلاة الكذابين بالدين أفضل من معرفة جابر رضي الله عنه.

الزيارة رقم (٣٢) المروية عن صفوان

يَنْسُبُ صفوان إلى الإمام الصادق عليه السلام قوله له: إذا وصلت إلى الحائر فقل كذا وكذا، وهذا بحد ذاته دليل على كذب رواة هذه الرواية إذْ لم يكن في زمن صفوان لا حائر ولا جدار. ثم ينقل عن الإمام قوله: إذا رأيت القبّة فقل كذا، وهذا أيضًا دليل آخر على كذب راوي هذا الخبر الذي لم يكن منتبهًا إلى حقيقة أنه لم يكن في زمن أئمة أهل البيت عليهم السلام قبّة على القبور، إذ ليس من سنن الإسلام بناء القباب على القبور!

ولا ينقضي العجب من علماء الشيعة الذين ملؤوا كتبهم من هذه الأكاذيب!! هل إذا كتب الشيخ المفيد أو الكليني أو مئات آخرون رواياتٍ مكذوبة في كتبهم، فهل تتحول إلى

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ١٩٥- ١٩٦، حديث ٣١، نقلاً منه عن كتاب «**بشائر المصطفى لشيعة المرتضى**». (المُتَرْجِمُ)

(٢) المصدر السابق.

حقيقة وتصير روايات صحيحة أم أنه يجب القول: إن هؤلاء الأكابر قد أخطأوا؟ وخطأ الكبار من أكبر الأخطاء!

ثم قال في هذه الرواية أنه بعد الانتهاء من الزيارة: «**اخْرُجْ وَ لَا تُوَلِّ وَجْهَكَ عَنِ الْقَبْرِ حَتَّى يَغِيبَ عَنْ مُعَايَنَتِكَ**»! فليت شعري! هل يرى الإمام ظهر الزائر وينزعج من ذلك ويستاء؟! هل الناس زمن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يتصرَّفون معهم هكذا؟

وهنا أذكر أنني خلال فترة تحصيلي العلمي في حوزة قم العلمية ثم في حوزة النجف العلمية كنت أرى عوام الناس يعودون القهقرى من باب مرقد الإمام بعد انتهاء زيارتهم للضريح ولا يولُّونه ظهورهم إلّا بعد الخروج من الصحن، ولم أكن أدري حتى ذلك الحين أنهم أخذوا هذه الخرافات والأعمال غير المبرَّرة من كتب الزيارات التي دوّنها العلماء!!

الزيارة رقم (٣٣) المنقولة عن الشيخ المفيد

يروي الشيخ المفيد زيارةً مضرّةً، علامات الكذب وقرائن الوضع فيها كثيرة. من ذلك ما جاء فيها من أنه إذا وصلتَ إلى باب صحن القبر ودخلتَ الصحن (الفناء) فقل كذا وكذا، وقد أوضحنا سابقًا مرارًا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بريئون من هذه القباب والأفنية والأروقة التي بُنيت على قبورهم والتي لم يكن لها وجود في عهدهم. فكل زيارة تضمنت مثل هذا الأمر هي موضوعة بلا ريب. وفي هذه الزيارة لعن من حرّف كتاب الله، أي حرّف معاني كلماته أو جمله وفسّرها بما يخالف مدلولاتها في اللغة العربية، وهذا النوع من التحريف يُقال له: «**تحريف معنويٌّ**» أما التحريف اللفظي فلم يقع في القرآن على الإطلاق لأن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]. أما التحريف المعنوي فقد قامت به أكثر فرق المسلمين خاصة الباطنية والصوفية والعرفاء والمدّعين كذبًا حبَّ أهل البيت عليهم السلام. فمثلاً قالوا إن المقصود من البعوضة أو الإبل أو دابة الأرض أو القمر أو ناقة الله: هو عليّ عليه السلام وهكذا... فَلَعْنُ من حرّف الكتاب – الذي جاء في الزيارة – ينطبق على جميع هؤلاء!

ثم يقول واضع الزيارة للإمام: «**فَهَا أَنَا ذَا وَافِدٌ إِلَيْكَ بِنَصْرِي**» أي أنني جئتك بنصرتي

لك!! فبالله عليكم أيها القرّاء المحترمين هل يسخر واضع هذه الزيارة من نفسه أم من الزائرين، حتى يقول للإمام إن لم أستطع نصرك أو لم أكن يوم عاشوراء حتى أنصرك فها أنا الآن جئتك بنصري لك!! أفلا يدري أن الإمام نال السعادة الأبدية وترك الدنيا إلى غير رجعة ولم تعد هناك حرب ولا حاجة لنصرته! ثم يقول: «**ثُمَّ ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ وَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا الْقَبْرَ قَبْرُ حَبِيبِكَ وَ صَفْوَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ.....**» وهكذا يستمرّ صفحة كاملة في مخاطبة الله تعالى بأنه يشهد أن هذا القبر كذا وكذا... حتى يصل إلى دعاء صاحب القبر أن يشفع له ثم يقول: «**إِنْ لَمْ تَشْفَعْ لِي وَلَا يَنْصَرِفَنَّ زُوَّارُكَ يَا مَوْلَايَ بِالْعَطَاءِ وَالْـحِبَاءِ وَالْـخَيْرِ وَالْـجَزَاءِ وَالْـمَغْفِرَةِ وَالرِّضَا وَأَنْصَرِفُ أَنَا مَجْبُوهًا بِذُنُوبِي مَرْدُودًا عَلَيَّ عَمَلِي فَقَدْ خُيِّبْتُ لِمَا سَلَفَ مِنِّي؛ فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالِي فَالْوَيْلُ لِي مَا أَشْقَانِي وَأَخْيَبَ سَعْيِي وَفِي حُسْنِ ظَنِّي بِرَبِّي وَبِنَبِيِّي وَبِكَ يَا مَوْلَايَ وَبِالْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ سَادَاتِي أَلَّا أَخِيبَ.....**» فبالله عليكم لاحظوا ماذا يقولون وأيَّ خبط و إضرار بالإسلام والتوحيد يفعلون!

ثم يصل إلى قوله: «**تَفَضَّلْ عَلَيَّ بِشَهْوَتِي**»!! والطريف أن هؤلاء يعتبرون أنفسهم بمثل هذه الكلمات الركيكة من العارفين بالله المخلصين لِلَّهِ ولرسوله!!

وفي موضع آخر من هذه الزيارة يقول مخاطبًا الإمام: «**أَتَيْتُكَ... زَائِراً وَبِحَقِّكَ عَارِفاً و ... وَالْمِنَّةِ عَلَيَّ بِجَمِيعِ سُؤْلِي وَرَغْبَتِي وَشَهَوَاتِي**» أي يطلب من الإمام أن يمنّ عليه بقضاء حوائجه وتحقيق رغباته وشهواته، أي أنه يعتبر الإمام قاضي الحاجات! أما عليٌّ عليه السلام فإنه يقول:

«**وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ ومَانِعٍ عَزِيزٍ وأَخْلِصْ فِي المَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ والْـحِرْمَانَ.... فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ ورَزَقَكَ وسَوَّاكَ ولْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ...**»(1).

ورغم ذلك، فإن عبّاد الخرافات والأوهام والمسترزقين باسم الدين، عندما يرون بياناتنا التي ننوّر بها الناس ونوعّيهم حقائق الإسلام والتوحيد يسخطون علينا ويتّهموننا بأننا – نعوذ بالله– أعداء للإسلام أو أعداء أئمة أهل البيت عليهم السلام ويثيرون الدهماء من الناس علينا. كما فعلوا ذلك مرارًا.

---

(1) **نهج البلاغة**، الرسالة ٣١.

وفي هذه الزيارة فإن واضعها بعد أن ذكر استحباب أداء صلوات وأدعية من عنده، يأتي بزيارة لا سند لها لحضرة «العباس» عليه السلام ويقول: «**عُدْ إلى الضريح**»، وهذه العبارة بحد ذاتها علامة على أن هذه الزيارة وُضعت بعد القرن الهجري الثالث أو في القرن الهجري الرابع على الأقل في زمنٍ كان قد أُنشئ فيه ضريح لحضرة العباس. على كل حال، إن من يقرأ هذه الزيارة معتبرًا ما يفعله عبادة يكون قد ارتكب بدعة في الواقع.

ونلفت الانتباه هنا أنه جاء في أوائل هذه الزيارة جملة توحيدية ممتازة يبدو أنها صدرت عن واضع الزيارة سهوًا! إذ لو فهمها الناس جيدًا لما ارتكبوا هذه البدع، يقول: «**اَلْحَمْدُ للهِ الوَاحِدِ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا**» أي أن الله تعالى منفرد ومتفرّد في فعل جميع الأمور ولم يتّخذ وزيرًا ولا واسطة بل هو متفرِّدٌ وحدَهُ في جميع الأمور، فإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن يُطلب شيء إلا منه.

الزيارة رقم (٣٤) المنقولة عن ابن طاووس

ذكر ابن طاووس هذه الزيارة بدون سند ثم رواها عنه الآخرون رغم أن قرائن الوضع فيها واضحة وتتعلّق بزمن كان لمراقد أئمّة أهل البيت عليهم السلام قبّة وضريح، فقد جاء في أولها: «**تَقِفُ عَلَى بَابِ قُبَّتِهِ الشَّرِيفَةِ**... «**تَدْخُلُ وَتَجْعَلُ الضَّرِيحَ بَيْنَ يَدَيْكَ.. ثم تقول كذا وكذا (عدة صفحات) ثم.... قَبِّلْ الضَّرِيْحَ**»!!

ومن المؤكد أن أولياء الله وأئمة أهل البيت عليهم السلام لا يرضون أن يقبّل المسلمون أضرحتهم التي صُنعت من الذهب والفضة وبناها السلاطين وأمراء الجور بالأموال المغصوبة من الناس!

[التوسُّل إلى الله يكون بالإيمان والعمل الصالح فقط وليس بالأئمة عليهم السلام]

بمعزلٍ عن مخالفة كثير من جمل هذه الزيارة لكتاب الله، فإن من أوضح علامات الوضع فيها أن واضعها لم يفهم المعنى الصحيح للآية ٣٥ من سورة «المائدة» المباركة فقال –وكأنه يستند إليها–: «**لَمْ يَتَوَسَّلِ الْـمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ بِوَسِيلَةٍ هِيَ أَعْظَمُ حَقًّا وَلَا أَوْجَبُ حُرْمَةً وَلَا أَجَلُّ قَدْرًا عِنْدَهُ مِنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْت..**»[1].

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٢٢٦. (المُتَرْجِمُ)

فأولاً: يجب أن نعلم أنْ لاحق لأحد من مخلوقات الله (حتى الأنبياء صلوات الله عليهم) على الله تعالى، بل لِـلَّهِ المتعال الحقّ والمنَّة على جميع عباده، ولو كان لواضع هذه الزيارة الجاهل علمٌ بالقرآن لقرأ آياتٍ كقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [الصافات: ١١٤]، وقوله كذلك: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [ابراهيم: ١١]، ولو قرأها لما لفَّق تلك الجمل.

والنقطة الأهم في هذه الزيارة، استشهاده بالآية ٣٥ من سورة المائدة [على التوسل بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام] مما يستدعي أن نوضّح هذا الأمر — كما وضحناه في سائر كُتُبنا، مثل تفسير «**تابشى از قرآن**» (**قَبَسٌ من القرآن**)، وغيره- ونبيِّن المعنى الصحيح لهذه الآية، لأن «**مرتضى مطهّري**» في كتابه «**العدل الإلهي**» لم يذكر معناها الصحيح، وذلك لكي يتَّضح خداع وضّاعي الزيارات ومغالطة الخرافيين في هذا الأمر.

يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥].

أولاً: الخطاب في الآية - كما هو ظاهر- موجّه إلى المؤمنين، وطبقًا للآية ٢٨٥ من سورة البقرة، فإن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مشمولٌ بخطاب الله للمؤمنين، وبالطبع أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضًا مشمولين بالخطاب، فلنا أن نسأل: إذن ما هي الوسيلة التي كان يبتغيها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الهدى عليهم السلام للتقرّب إلى الله تعالى؟ هل كانت شيئًا سوى الإيمان والتقوى والعمل الصالح؟ هل الوسيلة التي يجب على الإمام والمأمومين أن يطلبوها ويتوسلوا بها إلى الله شيء سوى الجهاد في سبيل الله؟ هل يوجد في الدين فرق بين أحكام الإمام وأحكام المأموم؟! بالطبع لا، لذا يجب أن نقول إنَّ عَلَى المأمومين أنْ يقتدوا بالإمام ويتَّبعوه ويتأسُّوا به في كلِّ وسيلة توسَّل بها إلى الله.

في الواقع لقد ذكرَتْ الآيةُ الكريمةُ في آخرها - بعد الأمر بابتغاء الوسيلة - نموذجًا للوسائل التي يجب ابتغاؤها فقالت: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٣٥﴾﴾ فأوضح الله تعالى المقصود بابتغاء الوسيلة فورًا، ولعلَّ هذا يفسّر لماذا يجتزئ أكثر المدافعين عن

الخرافات الآية المذكورة في خطبهم وكُتُبهم فلا يُكْمِلُونها حتى آخرها بل يقفون عند قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾.

ثانيًا: لم تقل الآية الكريمة: «**ادعوا الوسيلة**» بل قالت: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾. ومن البديهيّ أن الابتغاء غير الدعاء.

ثالثًا: لم يبقَ أحدٌ من أئمة أهل البيت عليهم السلام منذ أواخر القرن الهجري الثاني فما بعد حتى نتوسّل بهم كما لم تَعُدْ هناك إمكانية لطلبهم وابتغاء أرواحهم الطيبة في هذا العالم لأنهم انتقلوا منه**!** فكيف يمكن أن يأمرنا الله بابتغاء شيء لا يمكن ابتغاؤه؟**!**

رابعًا: هذه الآية إن قُصد بها كما يدّعي الخرافيون التوسّل بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أو أئمة الهدى عليهم السلام لم يكن العمل بها ممكنًا إلا لمن كان يعيش مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة أو مع الإمام عليه السلام في الكوفة، فكيف كان للمؤمنين من أهل اليمن أو الشام أو خراسان أن يتوسّلوا بالإمام ويطلبوه؟ (**إلا أن يشدّوا رحال السفر إلى مقر الإمام** عليه السلام **وهو أمر لم يكن مُيسّرًا للجميع**) وإلا فلا يمكن ابتغاء أئمة الدين من أماكن بعيدة**!**[1]

خامسًا: قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧] يُفسّر ويُبيّن بوضوح معنى «**الوسيلة**» ولفظ «أقرب» في الآية المذكورة قرينة دالة على أن المراد من الوسيلة هي «المنزلة»، وأنها تتأتى بالتزام بأوامر الشرع واجتناب نواهيه، ولا شك أن الذين أقرب عند الله يبتغون المنزلة عنده.

---

(١) روى **الكشي في رجاله** (طبع كربلاء، ص ٢٥٣) بسنده عن مصادف قال: "**لما لبّى القوم الذين لبُّوا بالكوفة [أي قالوا: لبَّيْكَ يا جعفر] دخلتُ على أبي عبد الله** عليه السلام **فأخبرتُهُ بذلك، فَخَرَّ ساجدًا وألْزَقَ جؤجؤَهُ بالأرض وَبَكَى، وَأقبل يلوذُ بإصبعه ويقول: بَلْ عَبْدُ الله قِنٌّ داخرٌ مرارًا كثيرةً، ثم رفع رأسه ودموعُهُ تسيلُ على لحيته، فندمتُ على إخباري إيّاه،...**". (المؤلِّف). (والقِنُّ: هو المتمِّحض في العبودية والرقّ. والداخر: هو الخاضعُ لِلَّهِ المنقاد لَهُ). (المُتَرْجِمُ)

وتشير الآية ضمنًا إلى أن الذين تدعونهم هم أنفسهم يبحثون عن وسيلة تقرِّبهم من الله ولا شك أن الذي يبحث عن الوسيلة بنفسه لا يمكن أن يكون هو ذاته وسيلة.

سادسًا: لماذا لا يُشير مُدَّعو حبِّ آل الرسول عليهم السلام إلى ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من توضيحات بشأن هذه الآية ولماذا لا يذكرون للناس ما تفضّل به أولئك الأئمة الكرام عليهم السلام؟!

فمن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِلَهِي وَسِيلَتِي إِلَيْكَ الإِيمَانُ بِكَ**».

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى الإِيمَانُ بِهِ وبِرَسُولِهِ والْـجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلامِ، وكَلِمَةُ الإِخْلاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وإِقَامُ الصَّلاةِ فَإِنَّهَا الْـمِلَّةُ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وحَجُّ الْبَيْتِ واعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ ويَرْحَضَانِ الذَّنْبَ، وصِلَةُ الرَّحِمِ فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي المَالِ ومَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ، وصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْـخَطِيئَةَ...**»[١].

وكما نلاحظ أن كلام أمير المؤمنين في الواقع تفسير للآية التي سبق ذكرها من سورة المائدة.

وكذلك جاء في أدعية أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**قَدْ جِئْتُ أَطْلُبَ عَفْوَكَ وَوَسِيلَتِي إِلَيْكَ كَرَمُكَ**»[٢]. وقوله: «**فَقَدْ جَعَلْتُ الإِقْرَارَ بِالذَّنْبِ إِلَيْكَ وَسِيلَتِي... مُتَوسِّلٌ بِكَرَمِكَ إِلَيكَ**»[٣]. وقوله: «**فَإِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِتَوْحِيدِكَ وَتَهْلِيلِكَ وَتَمْجِيدِكَ وَتَكْبِيرِكَ وَتَعْظِيمِكَ...**»[٤]. وقوله: «**يَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ**»[٥].

ويروي «**السيد بن طاووس**» عن الإمام الحسين عليه السلام قوله في دعاء عرفة: «**ها أنا أَتَوَسَّلُ إليك بِفَقْرِي إليكَ...**»[٦].

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ١١٠.

(٢) **الصحيفة العلويّة**، دعاؤه عليه السلام في الاستغفار في سحر كل ليلة عقب ركعتي الفجر.

(٣) المصدر السابق، دعاؤه عليه السلام في الاستغفار في المناجاة في شهر شعبان.

(٤) المصدر السابق، دعاؤه عليه السلام في الاستغفار في الشدائد.

(٥) المصدر السابق، دعاؤه عليه السلام في ليلة الجمعة علّمه لكميل بن زياد النخعي. و**مفاتيح الجنان**، دعاء كميل.

(٦) **مفاتيح الجنان**، دعاء يوم عرفة.

ويقول الإمام «زين العابدين وسيد الساجدين» عليه السلام: «**اللَّهُمَّ إِنِّي بِذِمَّةِ الإِسْلَامِ أَتَوَسَّلُ إِلَيكَ**»[1]. ويقول: «**وَسِيلَتِي إِلَيْكَ التَّوْحِيدُ، وَذَرِيعَتِي إِلَيْكَ أَنِّي لَمْ أُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا**»[2].

ويقول متأسّيًا بجده الكريم: «**اللّهُمَّ إِنِّي أتقرَّبُ إليكَ بِذِكْرِكَ وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إلى نَفْسِكَ...**»[3]، وأيضًا: «**بِدُعَائِكَ تَوَسُّلِي**»[4].

فكما نلاحظ، لم يتوسل عليّ عليه السلام وأئمة أهل البيت الكرام عليهم السلام – ولا حتى بهدف تعليم المأمومين وإرشادهم- في أدعيتهم بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ولا بالأنبياء السابقين عليهم السلام كأبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بل كان توسّلهم دائمًا هو بالإيمان والإسلام والجهاد والعمل الصالح وبصفات الله ورحمته ولم يتوسّلوا على الإطلاق ببشر أو مخلوق. فلا أدري لماذا يتجاهل من يقولون إنهم شيعةٌ لعليٍّ والأئمة من آله كلماتهم هذه ويتوسّلون في الغالب بالأئمة وذراريهم مع أن الأئمة عليهم السلام لم يقولوا لهم توسّلوا بنا في أدعيتكم[5].

وهناك نقطة أخرى في هذه الزيارة وهي قول واضعها – كما جاء في دعاء «الندبة»-: «**اللّهُمَّ**

---

(١) **مفاتيح الجنان**، دعاء يوم الخميس.

(٢) **الصحيفة السجَّاديَّة**، دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء.

(٣) **الصحيفة العلوية**، دعؤه المعروف بدعاء كميل.

(٤) **مفاتيح الجنان**، داء أبي حمزة الثمالي.

(٥) في الواقع إن موضوع التوسل بالأئمة والصالحين والاستشفاع بهم إلى الله هو المستند الرئيسي الذي يتمسّك به من يلجأ إلى المشاهد ويطلب حوائجه من أصحابها من الأولياء والأئمة، لذا نجد هذه الفكرة منتشرة ومكررةً في جميع الزيارات، مثل قول الزائر: "فاشفع لي عند ربِّك فإن لي ذنوبًا كثيرةً وإن لك عند الله مقامًا معلومًا وجاهًا عظيمًا وشأنًا كبيرًا وشفاعةً مقبولةً....... (إلى قوله).... فكن لي إلى الله شفيعًا، فما لي وسيلةٌ أوفى من قصدي إليك وتوسُّلي بك إلى الله..." [**بحار الأنوار** للمجلسي، ج ٩٧، باب زياراته (أي علي بن أبي طالب عليه السلام) المطلقة، الزيارة رقم ٢٠، ص ٢٩٥.]، أو قوله: "أتيتكما (للإمامين) زائرًا ومتوسِّلاً إلى الله تعالى ربي وربِّكما ومتوجِّهًا إلى الله بكما، مستشفعًا بكما إلى الله في حاجتي هذه فاشفعا لي فإن لكما عند الله المقام المحمود والجاه الوجيه والمنزل الرفيع والوسيلة..." [المصدر السابق، الزيارة رقم ٢٣، ص ٣٠٧.]. لذلك أراد المؤلف رحمه الله ردّ مشروعية التوسل إلى الله بالأشخاص – أيا كان مقامهم حتى ولو كانوا أنبياء – من أساسه، وحصر التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، أو بصفات الرحمة لذاته الأحدية. (المُتَرْجِمُ)

أَبْلِغْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ تَحِيَّةً كَثِيرَةً وَسَلَاماً» مما يدلُّ على أنه يعتقد -مُحِقًّا- أن الله «حاضر ناظر قريب» منه وأن الإمام «غائب وبعيد» عنه، لذا يطلب من الله تعالى أن يبلّغه السلام! فلنا أن نسأله: لماذا إذن تخاطب الإمام في الزيارة وكأنه حاضر وناظر وتقول له كاذبًا: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ جَوَابِي**» أليس هذا تناقضًا محضًا؟ ولكن واضعي تلك الزيارات لا ينتبهون إلى تناقضاتهم هذه!

الزيارة رقم (٣٥) المنقولة عن ابن طاووس عن قول رجل مجهول

روى السيد ابن طاووس هذه الزيارة عن رجل دون أن يذكر اسمه أو يُبيِّن هويَّته!

قال المجلسيُّ: «٣٥- زيارةٌ أخرى مطلقة رواها السيد (ابن طاووس) قدس الله روحه قال: **رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى الْحُسَيْنَ** عليه السلام **فَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ بِقُرْبِ الظِّلَالِ وَنَزَلَ وَعَلَيْهِ حِلْيَةُ الْأَعْرَابِ ثُمَّ مَضَى نَحْوَ الضَّرِيحِ وَعَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ حَتَّى وَقَفَ بِبَابِ الظِّلَالِ ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الضَّرِيحِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَحُجَّتَهُ، سَلَامَ مُسَلِّمٍ لِلَّهِ فِيكَ رَادٍّ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَيْكَ....** (إلى قوله):... **ثُمَّ حَطَّ خَدَّهُ عَلَى الضَّرِيحِ وَقَالَ أَتَيْتُكَ لِلذُّنُوبِ مُقْتَرِفًا فَكُنْ لِي إِلَى اللَّهِ شَافِعًا فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُ عَنْهُنَّ نَازِعًا....** (إلى قوله):.. **ثُمَّ وَقَفَ وَالضَّرِيحُ قِبْلَتُهُ فَصَلَّى وَأَكْثَرَ مَا لَمْ أُحْصِهِ ثُمَّ دَعَا وَاسْتَغْفَرَ وَسَجَدَ....** (إلى قوله): **ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يُهَيْنِمُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْهُ ثُمَّ قَامَ فَوَقَفَ عِنْدَ رَأْسِ الْحُسَيْنِ** عليه السلام **وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى مَنِ اتَّبَعَكَ وَشَهِدَ الْمَعْرَكَةَ مَعَكَ وَالْوَارِدِينَ مَصْرَعَكَ. يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا أَتَيْتُكَ زَائِراً يَا وَلِيَّ اللَّهِ وَابْنَ وَلِيِّهِ وَوَصِيَّ نَبِيِّهِ وَانْصَرَفْتُ مُوَدِّعًا غَيْرَ سَئِمٍ وَلَا قَالٍ فَاجْعَلْنِي مِنْكَ بِبَالٍ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا وَمَضَى وَلَمْ أُكَلِّمْهُ وَلَا كَلَّمَنِي**»[1].

فبالله عليكم! هل مثل هذه الرواية تصلح أن تكون مستندًا في الدين؟ وليت شعري ماذا كان قصد «**ابن طاووس**» من جمع هذه الزيارات بهذه الكيفية، وماذا كان قصد أولئك الذين نقلوها من كتابه؟ شخص مجهول جاء وأخبر الإمام عن ذنوبه وخطاياه ثم قام بعمل باطل أي بدلاً من استقبال الكعبة فقط استقبل الضريح وصلى وسرد مجموعة من العبارات الخرافية لعله ظن أيضًا مثل سائر الخرافيين أن الإمام بعد وفاته حاضر وناظر! لأنه قال: «**فَاجْعَلْنِي مِنْكَ بِبَالٍ**!» فما قيمة أمثال هذه الزيارة حتى يعتبروا قراءتَها مستحبَّةً؟ وهل تشريع أحكام

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٢٢٧- ٢٢٨. (المُتَرْجِمُ)

الوجوب والاستحباب بيد مؤلفي الزيارات؟ وبدلاً من أن يقوم السيد ابن طاووس بالحكم على انحراف الزائر عن الكعبة أثناء الصلاة بأنَّه عملٌ باطلٌ وخاطئٌ ويعتبرَ أن هذا العمل دليل على ضلاله وجهله، قام بنقل هذه الخرافة لنا في كتابه!!

الزيارة رقم (٣٦) المنقولة عن جابر الجعفيّ

روى هذه الزيارةَ ابنُ طاووس والمجلسيُّ وآخرون، ولكن اعلم أن العلامة الحليّ قال في رجاله نقلاً عن ابن الغضائري: «**إن جابر بن يزيد الجعفي الكوفي ثقة في نفسه، ولكنَّ جُلَّ من روى عنه ضعيفٌ**»[1]. أي أن الغلاة والضعفاء يكذبون ثم ينسبون أكاذيبهم إليه لشهرته، وقال النجاشي أيضًا: «**روى عنه جماعةٌ غُمِزَ فيهم وضُعِّفُوا، منهم: عمرو بن شمر، ومفضل بن صالح، ومنخل بن جميل، ويوسف بن يعقوب. وكان في نفسه مختلطًا... وقلَّ ما يورد عنه شيءٌ في الحلال والحرام**»[2]. ولذلك لا يُمكننا أن نقبل كل ما يُروى باسم «**جابر الجعفي**»، هذه الزيارة كما لاحظتم في الزيارات السابقة علامات الوضع عليها ظاهرة وتُعاني من عيوب الزيارات السابقة ذاتها، كقول الإمام فيها للزائر «**فإذا أتيت قبر الحسين عليه السلام قُمْتَ على الباب**»، وقوله بعد ذلك:

«**ثُمَّ تَمْشِي إِلَيْهِ فَلَكَ بِكُلِّ قَدَمٍ تَرْفَعُهَا أَوْ تَضَعُهَا كَثَوَابِ الْـمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى!! فَإِذَا مَشَيْتَ وَوَقَفْتَ عَلَى الْقَبْرِ فَاسْتَلِمْهُ بِيَدِكَ وَقُلِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِ فِي أَرْضِهِ. ثُمَّ امْضِ إِلَى صَلَاتِكَ فَلَكَ بِكُلِّ رَكْعَةٍ تَرْكَعُهَا عِنْدَهُ كَثَوَابِ مَنْ حَجَّ أَلْفَ حَجَّةٍ وَاعْتَمَرَ أَلْفَ عُمْرَةٍ وَأَعْتَقَ أَلْفَ رَقَبَةٍ وَكَمَنْ وَقَفَ أَلْفَ مَرَّةٍ مَعَ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ.....**»!![3]

وُضعت هذه الزيارة بالطبع، كما قلنا ذلك مرارًا فيما سبق، في زمن كان قد بُني فيه على قبر

---

(١) المامَقَانيّ، **تنقيح المقال**، ج ١، ص ٢٠١ - ٢٠٤. (المُتَرْجِمُ)

(٢) النجاشي (٤٥٠ هـ)، **رجال النجاشي**، ط٥، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٤١٦ هـ، ص ١٢. (المُتَرْجِمُ)

(٣) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٢٣٠، حديث رقم ٣٦، نقلاً عن السيد ابن طاووس، ورواها المجلسي أيضًا باختلاف يسير في اللفظ في **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ١٦٣، حديث رقم ٨، نقلاً عن كتاب **كامل الزيارة** لابن قولويه (المُتَرْجِمُ)

سيد الشهداء عليه السلام ضريح وقبَّة وصحن وأبواب متعدِّدة ثم نُسبت هذه الزيارة كذبًا وزورًا إلى الإمام المظلوم حضرة الصادق عليه السلام، وإلا فلم يكن في زمنه ضريحٌ للإمام الحسين ولا بناءٌ ولا بابٌ. ونقول في شأن ذلك الثواب الهائل الذي وُضع للزائر ما قلناه فيما سبق من أنه يجعل ثواب الزائر أعظم بكثير من ثواب المزور! أضف إلى ذلك أن واضع هذه الزيارة الجاهل يقول: «**ثُمَّ امْضِ إِلَى صَلَاتِكَ فَلَكَ بِكُلِّ رَكْعَةٍ تَرْكَعُهَا عِنْدَهُ كَثَوَابِ مَنْ حَجَّ أَلْفَ حَجَّةٍ وَاعْتَمَرَ أَلْفَ عُمْرَةٍ!!...**»، فيبدو أنه لم يطَّلع على أدعية الأئمَّة الكرام عليهم السلام الذين كانوا يتضرَّعون إلى الله كي يتقبّل منهم حجًّا واحدًا، من ذلك مثلاً دعاء أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَنْ تَكْتُبَنِي مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرَامِ المَبْرُورُ حَجُّهُمْ**»[1].

هنا سؤال يطرح نفسه، من المنحرف عن طريق الحق والرشاد؟ هل المنحرف من يرفض نسبة تلك الأقاويل المغالية إلى الإمام؟ أم الشخص الذي يقبل كل ما يُنسب إلى الإمام ولو كان ذلك يخالف كل قواعد الشرع والعقل؟!

الزيارة رقم (٣٧) المنقولة عن الكفعمي

هذه الزيارة رواها «**الكَفْعَميُّ**»[2]، من علماء القرن التاسع الهجري، مباشرةً دون واسطة عن الإمام الصادق عليه السلام الذي كان يعيش في القرن الثاني الهجريِّ!! فأيُّ سند هذا؟ وهل بمثل هذا السند تكون الرواية صحيحةً؟! على كلِّ حال، يقول «**الكَفْعَمِي**» فيها: «**وتصلِّي**

(١) **الصحيفة العلوية**، دعاؤه في اليوم الثلاثين من الشهر.

(٢) **الكفعميّ** (٨٤٠ - ٩٠٥ هـ = ١٤٣٦ - ١٥٠٠م): هو الشيخ تقى الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد بن صالح الكفعمي مولدًا - نسبةً إلى قرية (كفر عيما) بناحية الشقيف بجبل عامل جنوب لبنان - اللوزي محتدًا، الجب شيثي مدفنًا ومزارًا، توفى بها عام ٩٠٥هـ، ومزاره في بلدة «جب شيث» - من بلدات جبل عامل جنوب لبنان - معروف. أديبٌ كاتبٌ من علماء الشيعة الإمامية، أقام مدَّةً في كربلاء، له نظمٌ وشعرٌ، وصنَّف ٤٩ كتابًا، من أشهر مؤلفاته كتابه في الأدعية والزيارات الموسوم بـ «**جُنَّةُ الأمان الواقية وجَنَّةُ الإيمان الباقية**» المعروف بـ «مصباح الكفعمي»، طبع مرارًا، كما له «**الاحتساب من كتب الأدعية لبعض الأصحاب**» و «**البلد الأمين والدرع الحصين من الأدعية والأعمال والأوراد والأذكار**» وغيرها. (نقلاً عن كتاب الذريعة لآقا بزرگ الطهراني والأعلام للزركلي). (المُتَرْجِمُ)

ركعات الزيارات وهي ثمان وتدعو بعد كل ركعتين منهما بما ذكرناه»[1]. وليت شعري! هل تشريع الصلوات المستحبة بيد «**الكَفْعَمِي**» وأمثاله؟! والأعجب أن علماءَنا يدرجون في كتبهم كلَّ ما رواه «**الكَفْعَمِي**» و«**ابن طاووس**» و«**ابن أبي قُرَّة**»[2] و«**ابن المشهدي**»[3] و«**ابن قولويه**»[4] حتى لو كان بلا سند [أو كان رواتُهُ مجروحين في كتب الرجال ومتَّهمين بالغلوّ والكذب ووضع الحديث] دون أن يعلّقوا على الروايات الضعيفة أو ينتقدوها وكأنها وحيٌ منزل! أفلم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم يقول «**الكفعمي**» بعد ذلك: «**قال: ثم زُرْ عليَّ بنَ الحسين ثم الشهداء والعباس**»، هنا يقوم المجلسيُّ بعد هذه الرواية بتوضيح هام (!) فيقول: «**بيان: الظاهر أن قوله ثم زُرْ إلى آخره.. من كلام المؤلِّف**»، فالعجب العجاب من المجلسيّ الذي لم يُبْدِ أَيَّةَ ملاحظةٍ أو انتقادٍ حول أصل الزيارة أو بعض عباراتها رغم كل الإشكالات التي فيها، ولم يجد ما يحتاج إلى التعليق سوى جملة «قال: ثم زر عليّ بن الحسين» فبيَّن أنها للكفعمي وليست للإمام؟!!

الزيارة رقم (٣٨) المنقولة عن السيد المرتضى

يُصَرِّح المجلسيُّ بأن هذه الزيارة ليست من كلام إمام من الأئمَّة بل من تأليف السيد المرتضى علم الهدى[5] ويقول: «**زيارةٌ أخرى له صلوات الله عليه أوردها السيِّدُ وغيرُه**

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٢٣٠- ٢٣١. (المُتَرْجِمُ)

(٢) راجع ترجمته في حاشية ص ١٧٢ من هذا الكتاب. (المُتَرْجِمُ)

(٣) راجع ترجمته في حاشية ص ١٤٨ من هذا الكتاب. (المُتَرْجِمُ)

(٤) راجع ترجمته في حاشية ص ٩٢ من هذا الكتاب. (المُتَرْجِمُ)

(٥) هو من فقهاء الشيعة الإمامية المشهورين وأخ «الشريف الرضي» جامع **نهج البلاغة**. (المؤلف). قلت (المُتَرْجِمُ): السيد المرتضى هو علي بن الحسين بن موسى واشْتُهِرَ بالسيد المرتضى وعلم الهدى ولد في بغداد سنة ٣٥٥ وتوفي فيها سنة ٤٣٣ هـ. كان نقيب الطالبيين في عصره، وأحد الائمة في علم الكلام والأدب والشعر، وقد تولى رئاسة الطائفة الإمامية في زمنه، وترك مؤلفات عديدة في الذبّ عن المذهب وفي الفقه، من أهم مؤلفاته: «**الشافي في الإمامة**» و«**تنزيه الأنبياء والأئمة**» و«**الغُرَر والدُّرَر**» ويُعْرَف بـ«**أمالي المرتضى**»، و«**الانتصار**» و«**المسائل الناصرية**». (المُتَرْجِمُ)

والظاهر أنه من تأليف السيد المرتضى رضي الله عنه».

وهذه الزيارة زيارةٌ فصيحةٌ وبليغةٌ ومسجّعةٌ ومقفَّاةٌ وأجملُ من جميع تلك الزيارات التي نسبوها لإمامٍ من الأئمَّة عليهم السلام، وهذا يبيِّن بطلان رأي من قالوا أنه مما يثبت كون رواية ما أو دعاء أو زيارة من كلام الإمام فصاحتها وجمالها وبلاغتها، أي أنهم يجعلون بلاغة الزيارة وجمال عباراتها قرينة على صحة انتسابها للإمام! فمثلاً قالوا بشأن «**الزيارة الجامعة**» أو «**دعاء الندبة**»، التي تتضمَّن عديدًا من الجمل والعبارات المخالفة للقرآن أو الكاذبة، إن فصاحة عباراتها وبلاغتها تدلُّ على أنها من كلام الإمام! هذا في حين أن هذه الزيارة رقم ٣٨ التي أنشأها السيد المرتضى أجمل من «**الزيارة الجامعة**» و«**دعاء الندبة**» وأفصح منها رغم أنها ليست من كلام أي إمام، ولو قارناها بإنصاف بالزيارة رقم ٣٠ أو سائر الزيارات التي مرَّت نماذج عنها فيما سبق لرأينا أن عبارات هذه الزيارة معقولةٌ أكثر ومقبولةٌ شرعًا وأشبه بالروايات المعتبرة وليس فيها أي عبارات عجيبة أو غريبة أو غير معقولة.

ورغم أن الزيارة التي دوَّنها السيد المرتضى لا تخلو من بعض العبارات الخرافية إلا أنها تتضمَّن نقاطًا ممتازة جديرة بالانتباه، من ذلك أنه جاء فيها مطلبٌ لا يوجد نظيره في سائر الزيارات وهو الإشارة إلى شهادة ابنين من أبناء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام هما: «**أبو بكر بن عَليّ**» و «**عثمان بن عَليّ**» — رحمهما الله- اللذان نالا شرف الشهادة في واقعة كربلاء برفقة الإمام الحسين عليه السلام، وقد ذكر السيد المرتضى فضائل ومناقب هذين الشهيدين الكريمين في زيارته. هذا في حين أن واضعي الزيارات الغلاة الذين كانوا يُكِنُّون العداء للخلفاء تجاهلوا ذِكْرَ تضحية وشهادة هذين الشهيدين الكريمين نظرًا لاسمهما المطابق لاسم الخلفاء!! وأسأل هؤلاء الغلاة: لو أنكم تحبون فعلاً وبصدق شهداء كربلاء وأصحاب الحسين سيد الشهداء عليه السلام وكتبتم كتبًا ورسائل عديدة في زيارتهم وفضائلهم فلماذا لا تذكرون شهادة هذين الأخوين الكريمين لحضرة سيد الشهداء عليه السلام؟! إن هذا العمل بحدِّ ذاته دليلٌ على أن تلك الزيارات من وضع أشخاص مغرضين وليست من كلمات إمام من الأئمة عليهم السلام.

ولا يخفى أن هذه الزيارة الجيدة للسيد المرتضى تردّ كثيرًا من مطالب الزيارات الأخرى وتُبْطِلُها فمن ذلك قول السيد المرتضى فيها: «**وَأَنْتَ مُجَدَّلٌ عَلَى الرَّمْضَاءِ... لَا تَسْتَطِيعُ خِطَاباً**

وَلَا تَرُدُّ جَوَاباً». فهذه الجملة تعارض الجملة التي ذُكرت مرارًا في تلك الزيارات الموضوعة التي تقول: «**أَشْهَدُ أَنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامِي وَتَرُدُّ جَوَابِي**».

ومن ذلك أيضًا أن السيد المرتضى في سلامه على الأنبياء يُبيِّن أن معجزاتهم فعل الله وليست من فعل الأنبياء وهذا يخالف عقيدة أهل الخرافات. ومن ذلك كذلك أنه اعتبر جميع الشهداء أئمَّةً ولم يحصر الإمامة في اثني عشر إمامًا فقال بشأن جميع الشهداء: «**السَّلَامُ عَلَى الْأَئِمَّةِ السَّادَاتِ**» وهذا يوافق القرآن الكريم الذي يعلّمنا أنه ينبغي على المؤمنين، بوصفهم عباد الرحمن، أن يدعوا اللهَ أن يجعلهم جميعًا أئمةً للمتقين فيقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ...ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ... وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

طبقًا لهذه الآية كل مؤمن يمكنه أن يطلب من ربه أن يجعله إمامًا للمتقين وأن يسعى من خلال كسب العلم ومجاهدة النفس والالتزام بأوامر الشرع ونواهيه كي يكون أهلاً لمرتبة إمامة المتقين وأسوة للمؤمنين.

الزيارة رقم (٣٩) وما بعدها

لا يذكر المجلسيُّ لهذه الزيارة رقم ٣٩ أي سند أو مصدر ولا يذكر حتى اسم راويها ولا الكتاب الذي استقاها منه، وبالتالي فلا ريب أن قراءة مثل هذه الزيارة بدعة، هذا رغم أن سائر الزيارات الأخرى ليست بأفضل حال منها!

أما الزيارة رقم ٤٠ فيذكر المجلسي أنه نقلها من كتاب «**المزار**» لابن المشهدي ولكن الأخير أوردها في كتابه دون سند فهي إذن رواية فاقدة للاعتبار لا يُعوّل عليها.

ثم يذكر المجلسيُّ الزيارة رقم ٤١ وينقلها مرسلةً عن صفوان ولا ندري من هو الراوي أو الرواة الذين رووها عن صفوان، فهي إذن زيارة باطلة لا اعتبار لها. هذا إضافة إلى أن متنها يدل على وضعها إذ فيه ما يفيد أنه كان لقبر الإمام الحسين عليه السلام صحنٌ وقبَّةٌ وضريحٌ وهو ما لم يحصل إلا بعد فترةٍ من عهد الأئمة عليهم السلام.

ونأسف لهؤلاء العلماء الذين أوجدوا قبابًا وأضرحة بدلاً من عرضهم الدين الحق الخالص للناس، وبدلا من أن يعلّموا الناسَ التوحيدَ ويوجهوهم إلى التوجُّه المباشر إلى الله

الواحد، علَّموهم التوجه إلى الأنبياء والصالحين باسم التوسّل بهم.

ثم يقول المجلسيُّ عن الزيارة رقم ٤٢: «٤٢ – أقول: وجدتُ في نسخةٍ قديمةٍ من مؤلَّفات أصحابنا زيارةً أخرى له صلوات الله عليه»[١].

فهي إذن زيارةٌ لا يُعلم مؤلِّفُها وفاقدةٌ للسند.

ثانيًا: في متنها أيضًا نفس الإشكال الذي في متون الزيارات الموضوعة الأخرى التي وُضعت بعد بناء القباب والأضرحة والمشاهد على القبور.

ثالثًا: في هذه الزيارة صلواتٌ ومدائحُ وثناءٌ على كل إمام من الأئمة الاثني عشر مما يبين أنها وُضعت بعد زمان الأئمة عليهم السلام.

ثم يقول واضعها في آخرها: « **ثُمَّ تَضَعُ خَدَّكَ عَلَى الضَّرِيحِ وَقُلْ**:...»[٢]. ومن المسلّم به أنه لم يكن في زمن الإمام الذي نُسبت إليه الزيارة ضريحٌ بل السلاطين الظلمة هم الذين بنوا الضريح فيما بعد، وأوقفوا الموقوفات مثل البساتين والأراضي والبيوت والمزارع والحوانيت لأجل حفظ ذلك الضريح وصيانته، فكل ذلك تم في القرون التالية لزمن الأئمة عليهم السلام وقد بينا أن وقف الأراضي البور والأراضي المفتوحة عنوة عمل باطل، هذا بمعزل عن أن أصل وقف الأوقاف على مثل هذا الغرض أمر مرجوح وباطل وكذلك النذورات التي تُنذر للقبور وأهلها مرجوحة وباطلة.

على كل حال فإن الزيارة رقم ٤٢ تتضمَّن كثيرًا من الجمل المخالفة للقرآن!

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٢٦٢. (المُتَرْجِمُ)

(٢) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٢٦٧. (المُتَرْجِمُ)

باب ٢٢- الزيارة في التقية وتجويز إنشاء الزيارة

روى المجلسيُّ وآخرون عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**تَقُولُ عِنْدَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مَا أَحْبَبْتُ**»!![1]

هنا يُنسب إلى الإمام إجازته للزائر أن يقول كل ما أحب قوله! وبناء على هذا فجميع الزيارات التي نسجها الغلاة ووضعوا ألفاظها المخالفة للشرع تستمد مشروعيتها من هذه الجملة التي تسمح للزائر أن يقول ما حلا له وما أحب قوله ولو كان كلامه يتضمن عقائد خرافية تضلّ الناس وتجعل الأجيال اللاحقة تظن أن زياراتهم مسندة وموثّقة، وهذا منشأ الفساد.

في نظرنا أن منشأ كل تلك العبارات الكفرية والأوهام الشركية التي انتشرت في متون الزيارات الموضوعة هو هذه الجملة: «**تَقُولُ مَا أَحْبَبْتُ**»، ولعلَّ هذا ما جعل الحاج الشيخ «**عباس القمي**» وأمثاله يظنون أن لتلك الزيارات وجهًا شرعيًّا لذا أوردها في كتابه «**مفاتيح الجنان**» أو الكتب المشابهة الأخرى.

***

إلى هنا نكتفي بما ذكرناه من زيارات مشهورة ومهمّة لدى العلماء ونعتقد أنه قد تبيَّن للقارئ المنصف أن متونها باطلة وأنها في الواقع افتراء على أئمة أهل البيت عليهم السلام. **وبالطبع فإن أسانيد تلك الزيارات أسانيد في غاية الوهن والتهافت وقد حقَّقْتُ في جميع أسانيدها فلم أجد أيَّ سندٍ منها خاليًا من العيب بل جميعها بلا استثناء يتضمَّن راويين أو راويًا واحدًا على الأقل ضعيفًا وفاسدًا أو مهملاً ومجهولاً.**

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٨، ص ٢٨٤، نقلاً عن «كامل الزيارات» لابن قولويه. (المُتَرْجِمُ)

الزيارة الجامعة

قبل إنهاء الكتاب من المناسب أن نُلقي نظرةً سريعةً على «**الزيارة الجامعة**» التي تحظى بشهرة واعتبار بين العوام، بل بين أدعياء العلم. نقل المجلسيُّ هذه الزيارة من كتب الشيخ الصدوق [الذي أسندها إلى الإمام الهادي عليه السلام]. وقد قام الأستاذ المجاهد «**قلمداران**» رحمه الله بتحقيق سندها في كتابه حول «**زيارة المزارات**»، فلا حاجة إلى إعادة ما ذكره بشأن سندها، لذا سنهتم بتمحيص ونقد بعض ما جاء في متنها.

قال المجلسيُّ بعد ذكره هذه الزيارة: «**إنَّها أصحُّ الزياراتِ سندًا وأعمُّها موردًا وأفصحها لفظًا وأبلغها معنىً وأعلاها شأنًا!!**»[1].

أولاً: كما ذكرتُ سابقًا ألّف السيد المرتضى زيارة أوردها المجلسيُّ تحت رقم ٣٨، وهي تتمتع بسلاسة في التعبير وجمال في العبارات جَعَلَتْ المجلسيَّ يعتبر ألفاظها شافية رغم قوله بأنها حسب الظاهر من تأليف السيد المرتضى والشيخ المفيد. وزيارة السيد المرتضى في الواقع أفصح وأجمل وأكثر تأثيرًا وما فيها من ثناء أوقع في القلب من هذه الزيارة، وبالتالي فمجرد فصاحة وبلاغة متن زيارة لا يكفي وحده دليلاً على أنها من كلام إمام من الأئمة عليهم السلام.

ثانيًا: من المستحيل أن يدعو أي إمام من أئمة أهل البيت -الذين كانوا جميعًا في قمّة التواضع ونكران الذات والذين كانوا ينهون بشدة عن العجب بالنفس وعن الإغراق في المديح – أتباعه إلى المجيء لزيارته وتلاوة صفحات طويلة من عبارات الغلوّ والإغراق في الإطراء والمديح [المتجاوز لحدود الشرع] كي يرضى عن الزائر ويشفع له!

ثالثًا: من المعروف أن الحكومة الصفويَّة كانت تميل – تحقيقًا لمقاصد سياسية- إلى بث روح الغلوّ والمبالغة في صفات العظماء بما في ذلك عظماء الدين وأن يروج ذلك بين الناس.

---

(١) **بحار الأنوار**، ج ٩٩، ص ١٤٥، من الطبعة الجديدة. (المُتَرْجِمُ)

والمجلسيُّ إضافةً إلى أنه نشأ وترعرع في مثل ذلك الجوّ، كان نفسه أحدَ المبرِّرين لحكم أولئك الحكّام الفسدة عديمي الأهلية مثل «الشاه سليمان» و«السلطان حسين» الصفَويَّيْن، مُضْفِيًا عليهم صفة الشرعيَّة، إذْ كان يبالغ في مدحهم وتمجيدهم[1]، وكان لهذا العمل، بالطَّبع، آثارٌ سلبيَّةٌ على نفسه، إذ تسبب قبولَه هذه الزيارة غير مناسبة وبعيدة عن روح الشريعة، ولكننا سنثبت أن بعض جملها مخالف للقرآن والعقل والتاريخ ومن المحال أن يكون الإمام الهادي عليه السلام قد أمر بقراءتها:

ألف) تخاطب الزيارةُ الإمامَ قائلا: «**يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْـمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ**»!، هذا في حين أن مثل هذه الأوصاف تختصُّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقط، أما الآخرون فمهما علا شأنهم ليسوا موضعًا للرسالة ولا مختلفًا للملائكة ولا مهبطًا للوحي. هذا رغم أن المتعصِّبين الغلاة يجيدون توجيه وتبرير مثل هذه الجملة بتأويلات باردة تصرفها عن معناها الصريح الواضح إلى احتمالات عجيبة بعيدة عن الذهن وإلى معان ملتوية!

ب) وجاء في الزيارة خطابٌ للأئمَّة: «**أَقَمْتُمْ حُدُودَهُ**»، هذا في حين أننا نعلم جيدًا أن هذا يخالف بكل وضوح مسلّمات التاريخ، إذ إن الأئمة الكرام عليهم السلام - باستثناء الإمام عليّ والإمام الحسن عليهما السلام - لم تكن لهم -مع الأسف- قدرة وسلطة ولم تُتح لهم فرصة

---

(١) على سبيل المثال يقول المجلسيُّ في مقدمة كتابه المعروف «**زاد المعاد**» (بالفارسية) ما ترجمته: «**....ولما كان إنهاء هذه الرسالة وابتداء واختتام هذه العجالة قد تمّ في عهد دولة العدالة وأواني سلطنة السعادة للحضرة العليا سيد سلاطين الزمان ورأس سادة العصر عصارة أوراق الملة والدين ونقاوة أحفاد سيد المرسلين بستان الورد المصطفوي ومنارة الأسرة المرتضوية....** (إلى قوله): **مؤسس قواعد الملة والدين ومروّج شريعة آبائه الطاهرين، حياض ساحة بلاطه ملاذ الخلائق وطافحة بتقبيل شفاه سلاطين زمانه، لسان حالها وهي تحطّ رحالها في الصرح الممَرَّد لعزّته وجلاله: قد مسَّنا الضُّرُّ أيُّها العزيز، أعني السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم ملجأ الأكاسرة وملاذ القياصرة محيي مراسم الشريعة الغرّاء ومشيّد قواعد الملة البيضاء السلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان الشاه سلطان حسين الموسوي الحسيني الصفوي بهادر خان لا زالت رايات دولته مرفوعة وهامات أعدائه مقموعة...الخ"!!** (المُتَرْجِمُ)

لإقامة الحدود الإلهية.

ج) إن هذه الزيارة مثل كثير من الزيارات أو الروايات والأدعية الموضوعة الأخرى وصفتْ الأئمَّة بأنهم «**بقية الله**» أو استشهدتْ بالآية ٣٣ من سورة الأحزاب في أمر [عصمة] الأئمة. وقد بينَّا عدم صحة وصف الأئمة بـ«**بقية الله**» وهكذا أبطلنا استشهادهم بالآية المذكورة في مؤلفاتنا، منها في تفسير «**تابشى از قرآن**» (قبس من القرآن). وهذه الزيارة أيضًا – شأنها شأن عدد من الزيارات الموضوعة الأخرى- تخاطب الأئمَّة بعبارة «**إِيَابُ الْـخَلْقِ إِلَيْكُمْ وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُم**»!! وهذا كلام مضادٌّ لكثير من آيات القرآن الكريم البيِّنة الواضحة مثل:

﴿... مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ....﴾ [الأنعام: ٥٢].

﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد: ٤٠].

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ﴾ [الشعراء: ١١٣]،

﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥،٢٦] ثم تعتبر الزيارة الأئمة «حُجَّة الله» في حين أن القرآن الكريم صرَّح بأن الأنبياء هم حُجج الله وأنه لا أحد حُجَّةً بعد رسول الله ﷺ كما قال: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

أو تعتبر الأئمة «**صراط الله**» مع أن كل تلميذ في المدرسة الابتدائية يعلم أن النَّبِيّ الأَكْرَم ﷺ والأئمة كانوا سالكي صراط الله المستقيم، لا أنهم هم الصراط نفسه، وإلا لو كانوا هم أنفسهم صراط الله لما قالوا في صلاتهم: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ لأن هذا سيكون بمثابة قولهم: اهدنا إلى أنفسنا!!

د) هل يعتقد هؤلاء العلماء الذين يروّجون لهذه الزيارة ويوصون العامة بقراءتها بمفادها حقيقةً؟ فقد جاء في هذه الزيارة: «**مَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ**»! فالآن نسأل: إن جميع مسلمي

العالم – باستثناء الشيعة الاثني عشرية والشيعة الإسماعيلية (=الذين يؤمنون بسبعة أئمّة)- رغم احترامهم لأئمة أهل البيت – عليهم السلام - يُنكرون أن يكون أولئك الأئمّة الكرام منصوصًا عليهم من عند الله ومنصّبين من قبل الله ورسوله، فهل يكونون جاحدين للأئمّة وبالتالي كافرين؟ فإن كانوا كذلك فكيف تَدْعُون في أغلب الأوقات إلى الوحدة الإسلامية والاتّفاق مع سائر المسلمين؟ هل تريدون الوحدة مع الكفّار؟!

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**عُودُوا مَرْضَاهُمْ وَاشْهَدُوا جَنَائِزَهُمْ وَاشْهَدُوا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ وَصَلُّوا مَعَهُمْ فِي مَسَاجِدِهِم**» [1]، ويقول الإمام الكاظم عليه السلام: «**صَلَّى حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ خَلْفَ مَرْوَانَ وَنَحْنُ نُصَلِّي مَعَهُمْ**»[2]، فهل يُمكن الاقتداء بالكفّار؟

والإمام [علي بن محمَّد] الهادي عليه السلام – الذي تُنْسَبُ هذه «**الزيارة الجامعة**» إليه – هو ابن الإمام «**محمد بن علي التقي**» المعروف بالإمام **الجواد** عليه السلام [الإمام التاسع من الأئمة الاثني عشر] الذي قَبِلَ مصاهرة الخليفة العباسي «**المأمون**» [وتزوَّج من ابنة الخليفة «أم الفضل»]، فكيف يُمكن لابنه الإمام الهادي عليه السلام أن يعتبر من جحد الأئمّة كافرًا؟ هل تُراه كان يعتقد أن أباه صاهر كافرًا؟!

هـ) وجاء في الزيارة: «**فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْـمُكَرَّمِينَ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْـمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْـمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ، حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ...**»[3].

(١) **وسائل الشيعة**، ج٥، ص ٣٨٢، حديث رقم ٨.

(٢) **وسائل الشيعة**، ج٥، ص ٣٨٣، حديث رقم ٩.

(٣) **بحار الأنوار**، ج ٩٩، ص ١٣٠. (المُتَرْجِمُ)

هذه الجمل كلها كذِب ولا مستند شرعيَّ لها ولا دليل على صحَّتها، بل الدليلُ على خلافها لأن كلَّ إمامٍ لا بدَّ عليه أن يؤمن بالمرسلين ويكون تابعًا للأنبياء. وأمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام ذاتُهُ كان يقول: «**نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ ومَا وَضَعَ لَنَا وأَمَرَنَا بِالحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ومَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله) فَاقْتَدَيْتُهُ**»[1].

و بعد أن ضربه ابن ملجم قال في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «**أَمَّا وَصِيَّتِي فاللهَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ومُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله وسلم فَلا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْـمِصْبَاحَيْنِ وخَلاكُمْ ذَمٌّ**»[2].

وبالتالي فلا يُمكن أن يكون التابع أعلى مقامًا من المتبوع. ولا أدري لماذا يلزم العلماء السكوت أمام هذه الزيارات المغالية، مع أنهم يدّعون أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أعلى رتبة من الأئمة عليهم السلام؟ هل يكذبون في هذا الادعاء؟

ونسأل كذلك: كيف يُمكن أن تكون منزلة الإمام أعلى وأرفع من جميع الملائكة المقرَّبين، مع أن أحد الملائكة المقرَّبين هو جبريل عليه السلام، الذي وصفه ربه بصفات مثل: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التكوير: ٢٠- ٢١]، وجعله معلِّمًا لخاتم النبيِّين صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: ٥]. فبناءً على هذه الآيات كان جبريل عليه السلام معلّمًا للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، والنبيُّ كان معلّمًا لعليٍّ بإقرار أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام نفسه، فكيف يكون مقام تلميذ النبيِّ الأكرم أعلى مقامًا من معلّم معلِّمه؟!

ثم من أي آية أو دليل شرعي استنبط واضع هذه الزيارة أن أحد أتباع النبي الأكرم أرفع وأعلى مقامًا من جميع الملائكة والأنبياء؟! أليس هذا ادعاء بلا دليل وافتراء على الله ودينه؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ [طه: ٦١]، وقال: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾ [النحل: ٥٦]؟ فلماذا إذن تسمحون بقراءة مثل هذا الافتراء عند مزار أئمة الدين الكبار؟ ألا تستحيون من الله الحاضر الناظر الرقيب عليكم؟!

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢٠٥.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٤٩.

لقد لام الله تعالى في مواضع عديدة من القرآن من ينسبون إلى الله شيئًا دون دليل ونهاهم عن هذا العمل وحرّمه فقال مثلاً: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ .... وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

إننا نعتقد أن الإمام الهادي عليه السلام لم يوصِ بقراءة هذه الزيارة بل اختلقها أحد الرواة الغلاة الذين وسوس لهم الشيطان، وهو مما ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

ثم يقول واضع الزيارة واصفًا مقام الأئمّة: «**حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ...**»! فلنا أن نسأل: هل كان مقام الأئمة الرفيع نتيجةَ إيمانهم وعملهم الصالح وجهادهم وكدحهم إلى الله أم كان فضلاً إلهيًا وجبرًا من عنده؟ إذا كان فضلاً وجبرًا من الله فلن يكون عندئذ للأئمة أي فضل، لأنهم - حسب هذا الفرض- لم يصلوا إلى هذا المقام بفضل إيمانهم وعملهم بل لأن الله جعلهم كذلك، شأنهم في ذلك شأن سائر المخلوقات من الأنهار والجبال والنباتات التي جعلها الله مطيعةً لأمره لا تملك إلا الانصياع لمراد الله وطاعته، أما إذا كان وصولهم إلى تلك المقامات العالية والقرب الإلهي منوطٌ – كما يقول الأئمة عليهم السلام أنفسهم - بعملهم وسعيهم فعندئذٍ يجب أن نقول: إنَّ كلَّ من سعى وأطاع الله ورسوله بإخلاص سيصل إلى مقام القرب الإلهي وينعم به، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩].

وعندما قال رجل للإمام الرضا عليه السلام: «**والله ما على وجه الأرض أشرف منك أبًا، فقال: التقوى شرَّفهم وطاعة الله أحظتهم. فقال له آخر: أنت والله خير الناس، فقال له: لا تحلف يا هذا! خيرٌ منِّي مَنْ كان أتقى لِلَّهِ تعالى وأطوع له، والله ما نُسِخَت هذه الآية: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾** [الحجرات: ١٣]»[1].

---

(١) الشيخ الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ٥٨- باب قول الرضا لأخيه زيد بن موسى...، الحديث رقم ١٠.

ثم جاء في الزيارة: «**حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَّفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ....**».

فنقول: هل السلاطين الجبابرة العنيدين مثل «جنكيز خان» و«تيمور لنك» و«لينين» و«استالين» و«هتلر» و«جانسون» و..... عرفوا شأن الأئمة وتمام نورهم وثبات مقاماتهم، كما عرف كل شيطان مريد مقامات الأئمة ومنزلتهم؟! إن لم يكن كذلك فما هذه الدعاوي أو الأكاذيب الفاقعة؟ ولماذا نقبل كل ما رواه المجلسيّ أو ابن طاووس أو.....؟ فإن لم تكونوا تقبلون بهذه الأقاويل فلماذا لا تُطْلِعون عامة الناس على ذلك؟!

إن الانتقادات الموجَّهة إلى عبارات هذه الزيارة أكثر مما ذكرناه بكثير ولكن حالي هذه الأيام وما أشعر به من فقدان الأمن والتشرّد عن المنزل إضافةً إلى ضعف الشيخوخة وآثار السجن والنفي والإبعاد لا تسمح لي بتفصيل أكثر مما ذكرت.

كلمة لعامة الناس

أجل، مع الأسف فإن العلماء لا يقومون بواجبهم تجاه عامة الناس ولا يشعرون بالمسؤولية الملقاة من قبل الله على كواهلهم. ومن جهة أخرى، فإنَّ العوام الجهلة يقبلون كلَّ ما يسمعونه من الشيوخ المعمّمين والمتلبّسين بلباس أهل العلم دون أن يتأمَّلوا فيه، مع أن القرآن الكريم أمر الناس بالتفكّر والتأمّل ودعاهم إلى تدبّر كتاب الله، ومن الواجب على العلماء ومن مسؤوليتهم أن يعوِّدُوا الناسَ على التفكير وطلب الدليل، لكن كثيرًا منهم لا يقومون بهذه المسؤولية خوفًا على جاههم ومقامهم لدى العوام ويلزمون الصمت ولا يخالفون خرافات العوام وانحرافاتهم إلا قليلاً.

وقد جرى الأمر على هذا المنوال منذ قديم الأيام، فمثلاً جاء في تاريخ ابن الفوطي أنه في سنة ٦٦٤ هـ أُصيب معظم الناس، لاسيما الأطفال، بأمراض الحلق والخُنّاق (دفتيريا)، ولم يكن الأطباء قادرون على فعل شيء لمواجهة هذا الوباء، وفي يوم من الأيام جاءت امرأةٌ وادَّعت أنها رأت في منامها امرأةً جنيَّةً تُدعى «أم عنقود» أشارت إلى بئر وقالت: لقد مات ابني في هذا البئر ولم يعزني فيه أحد، لذا جئتكم بمرض الخُنّاق. واشتهرت هذه الأسطورة في بغداد وذهب الناس أفواجًا أفواجًا ونصبوا خيامهم حول البئر وأخذوا يبكون وينوحون ويلطمون صدورهم ويعتذرون من الجنّيّة المذكورة ويطلبون منها العفو والشفاء وينشدون الأشعار من قبيل:

يـــا أم عنقـــود اعــــذرينا	مـات عنقـود ومـا درينـا
لمـا درينـا كلُّنـا قـد جئنـا	لا تحردينـنــا فتخنقينــا!

وفي إيران أيضًا كتبوا في ترجمة سيرة «فرهاد ميرزا» الذي كان أحد أولاد الملك القاجاري «فتحعليشاه قاجار» وكان صاحب مؤلفات مثل «زنبيل» و«قمقام»: إنه لما عُهد إليه بولاية خراسان سمع يومًا صوت قرع الطبول في حرم الإمام الرضا عليه السلام فسأل عن الخبر فقيل له:

إنها بشرى، لقد صَنَعَ الإمامُ معجزةً وشَفَى أعمى. فأمر بإحضار الأعمى وسأله: هل كنت أعمى من الولادة أم أُصبت بالعمى فيما بعد؟ فأجاب الرجل: لقد خُلقتُ أعمى منذ ولادتي، وتوسّلتُ عدَّة ليالي بالإمام حتى رأيته في منامي قد جاءني ومسح بيديه على عينيَّ، والآن أصبحتُ مبصرًا! فسأله الوالي «فرهاد ميرزا»: هل ترى الآن بشكل كامل؟ فأجاب: نعم. فتناول الأمير ورقةً بيضاء وسأله: ما لونها؟ فأجاب الرجل: أبيض، فأخذ الأمير رمانة وسأله ما لونها؟ فأجاب: أحمر، فأخذ ورقة شجرة وسأله ما لونها؟ فقال: أخضر، فقال له «فرهاد ميرزا»: أنت أبصرتَ ليلة البارحة فقط وتقول أنك كنت أعمى منذ ولادتك فكيف عرفت هذه الألوان؟ إنك رجل كاذب! ثم أمر بضربه بالسوط حتى يقول الحقيقة، وبعد أن ضُرب بالسياط اضطر للإقرار فقال: كنتُ رجلاً فقيرًا فأتيتُ إلى خراسان وطلبتُ المساعدة من خُدّام الحرم، فاقترح عليّ أحدهم أن أتظاهر بالعمى ثم نأتي نحن فنربطك بالضريح وبعد ثلاث ليال تصيح وتقول لقد شفاني الإمام، عندئذ نحدث جلبةً وشوشرةً ونصيح قائلين: حدثت معجزة! حدثت معجزة! عندئذ كلّما يلقيه الزوار إليك من المال تعطينا نصفه! فقبلتُ بهذا العرض. فأحضر «فرهاد ميرزا» خادم الحرم وقال له: هل الإمام يشفي والله يعمي، هل إمامكم أرحم بالعباد من الله؟! ثم أمر بعزل الخادم المذكور وطرده من عمله.

أما أنا فقد حدثت لي قصة أيضًا خلال سفري إلى مدينة «بوشهر» حيث رأيت المدينةَ قد خلت من أهلها في يوم الأربعين لشهادة الحسين عليه السلام وكان الناس يذهبون أفواجًا رجالاً وركبانًا للزيارة فسألتُ إلى أين يذهب الناس؟ فقالوا: يذهبون إلى أحد أولاد الأئمة واسمه «سوزعلي». فقلتُ: لا يوجد بين أولاد الأئمة أحد اسمه «سوزعلي»!. فقالوا: إن لهذا السيد كشف وكرامات كثيرة، إنه يصنع المعجزات ويشفي المرضى ويوجد في ضريحه كثير من النذور والأثاث، ويأتي الناس إلى زيارته من مائة فرسخ. فتعجبتُ كثيرًا وذهبتُ في ذلك اليوم إلى زيارة عالم المدينة ويدعى «السيد أبو القاسم البهبهاني» وقُدِّر أنه كان مريضًا فذهبتُ إلى عيادته وسألته عن «إمام زاده»= (أحد أولاد الأئمة) «سوزعلي»؟؟ فقال: لا تسألني فإن هذا يجلب لي ولك الصداع. فقلتُ: لا تخف إنني غير باق هنا كثيرًا وليس لي صلة بأي أحد في هذه المدينة فلن أخبر أحدًا في هذه المدينة عما ستقوله لي، فقال: لقد أراد الإنجليز إحداث

طريق من مدينة «شيراز» إلى مدينة «بوشهر» وواجهوا في وسط الطريق بناءً متهدّمًا يحتمل الناس أن شخصًا قد دُفن فيه. كان هناك شخص متسوِّلٌ باسم «سوزعلي» ينام فيه، فصنع الإنجليز شاهدة (حجر) قبر وخبَّؤوها على بعد مائتي قدم من ذلك البناء المتهدّم وقالوا لـ«سوزعلي»: ادّع أنك رأيت رؤيا وقيل لك فيها: إنه لا يوجد أحدٌ مدفونٌ في هذا البناء المتهدّم بل القبر الحقيقي يقع على بعد مائتي قدم منه فاحفروا هناك كي يظهر لكم القبر.

انتشر خبر هذه الرؤيا بين العوام فحملوا على أكتافهم المعاويل والمحاريث وذهبوا وهم يصلون ويسلمون على النبي وآله وحفروا في المكان المشار إليه ووجدوا شاهدة (حجر) القبر ولم يعرفوا اسم الشخص الذي عليهم أن يطلقوه على صاحب القبر فاضطروا أن يسمّوه باسم ذلك المتسوِّل «سوزعلي» الذي كان ينام في الخرابة فتحوّل ذلك القبر المزوّر إلى إمام زاده (أي أحد أحفاد الإمام) «سوزعلي»! وقد صُرفت عليه حتى الآن مئات آلاف التومانات وأصبح موضعًا للشموع والمصابيح والنذورات وأمثالها!

لقد وصل أمر الخرافات وجهل العوام وعدم تفكيرهم إلى حد أن أحد الأشخاص الخدّاعين أتى بصخرة إلى أحد الأحياء في مدينة مشهد ونشر خبرًا بأن كل من يستطيع أن يرفع هذه الصخرة فهو ابن حلال، فكان الناس يأتون أفواجًا لرؤية الصخرة ومحاولة رفعها!

أجل، هذه هي نتيجة عدم قيام العلماء بواجبهم وانتشار الجهل والانحطاط والغفلة بين المسلمين، هذا مع أننا نملك آلاف المشايخ والدعاة في «**مشهد**» الذين يتقاضون الرواتب باسم الإسلام والمسلمين ولكنهم لا يقومون بتوعية الناس بحقائق الإسلام!

أذكر أنني أيام إقامتي في «مشهد»، عندما خرجت من الحرم أوقفني شاب في وسط الرواق وأمام الناس وأمسك بلباسي وأخذ يتضرع إليِّ قائلاً: يا إمام رضا! لن أتركك حتى تقضي حاجتي، وكان يطلب مني حاجته بكلِّ إصرار، فقلتُ له: ما حاجتك؟ فقال: يا إمام! أنت أعلم بحاجتي! وكلما سألته عن حاجته كان يجيب الإجابةَ ذاتها، ومهما حاولتُ أن أتخلّص منه لم أستطع، فاضطررت أن أنادي خدّام الحرم فأبعدوه عنِّي حتى تمكنت من الهروب من قبضته.

وقد حدثت لي حادثةٌ غريبة أيضًا قرب بلدة «آباده» خلال أحد أسفاري إلى مدينة «شيراز»، وقد ذكرتُ الحادثة في كتابي «سوانح الأيام» في ترجمة سيرتي الذاتية.

نعم، هذه هي حال العوام الناجمة عن انتشار الخرافات. إن سبب هذا الوضع المؤسف جهْل الناس بحقائق الدين وبكتاب الله تعالى وعدم معرفتهم بعقائد الإسلام والقرآن، وعدم اطلاعهم الصحيح على سيرة وأقوال أئمَّة الدين لذا فهم يتقبَّلون كل خرافة أو أفكار كفرية وشركية تنسب إلى الأئمة عليهم السلام وتنشر باسمهم.... ويأتي أشخاص باسم المدّاحين وقرّاء المراثي في مآتم الحسين فيقدّمون للناس كل ما يشاؤون باسم الدين والإمام.

لقد لاحظتُ في حياتي كثيرًا من هذه الوقائع التي أشرت إلى نماذج منها أعلاه، ومن ذلك أنه خلال إقامتي في خراسان رأيتُ جملاً قد تركه الناس يسير في الطرقات فكان يمشي حيث يشاء حتى دخل صحنَ الإمام الرضا عليه السلام (أو في الواقع الصحن الذي بناه الشاه عباس شارب الخمر وإلا فإن حضرة الرضا عليه السلام لم يكن لقبره صحن) فاجتمع جماعة من العوام حول الجمل وأثاروا ضجة وجلبة قائلين إن الجمل جاء لزيارة الإمام عليه السلام، وانتشر هذا الخبر في الجرائد أيضًا. حتى أن شخصًا يُدعى «آية الله نمازي» قال لي: ما قولك في معجزة زيارة الجمل لقبر الإمام؟ فقلتُ له: لماذا لم يقم بالزيارة إلا هذا الجمل وحده ولم تأتِ بقية الجمال لزيارة الإمام؟ فقال: إن هذا الجمل شيعيٌّ يعتقد بالولاية أما بقية الجمال فليست كذلك!

أجل، لقد آذوا ذلك الجمل كثيرًا وكانوا ينتفون وَبَرَهُ للتبرّك به وبعضهم يبيع الوبر للآخرين!

وفي زمن آخر في مدينة مشهد رأيتُ صخورًا كبيرة أمام الإيوان (الردهة أو الليوان) الذهبي لحرم الإمام الرضا عليه السلام فقلتُ لماذا لا يرفعون هذه الصخور من هنا؟ فقالوا: لقد جاءت هذه الصخور لزيارة الإمام!! قلتُ: كيف يأتي الصخر للزيارة، قالوا: إيمانها كامل أمَّا أنت الذي لا تصدِّق بذلك فإيمانك ناقص!!. يومئذٍ فهمت ما معنى الإيمان الكامل لدى بعضهم!

على كل حال، وصل الأمر إلى حدٍّ أنه كلمَّا وُجد عددٌ من العظام في أرضٍ يأتي جماعة ويشيعون رؤيا بأن هذه العظام تعود إلى مرقد أحد أحفاد الأئمة وأنه قادر على الشفاء وتلبية

حاجات الناس وكشف كرباتهم، وسرعان ما يتجمّع الناس حول ذلك المكان ويبنون عليه بناء ويوقفون على هذا القبر الخيالي الموهوم المال والسجاد والأثاث ويعيش جماعة من الطفيليين على عائدات الموقوفات والنذورات ويزدهر بيع القبور في أطراف ضريح هذا «**الإمام زاده**» مجهول الهوية! من ذلك أنهم بنوا في مدينة جيلان ضريحًا قرب نهر «سفيد رود» لشخص يدعى «سيد جلال الدين أشرف» مع أنه لا يوجد أحد من أولاد الأئمة يحمل هذا الاسم ولكن تعال وانظر إلى مقدار الأموال التي تُرمى في ضريحه!! وصدق الشاعر المصري أحمد شوقي حين قال:

أحياؤنا يسترزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات!

ويقولون إنه أنشد هذا البيت في زمن الجدب الذي كان الناس يبحثون فيه عن درهم ولكنهم في الوقت ذاته كان الكثيرون يرمون آلاف الدراهم على أضرحة الأولياء!

نتائج شيوع الخرافات

لقد أدَّى شيوع مثل هذه الخرافات والروايات والأحاديث الموضوعة إلى مشاكل يعاني منها العالم الإسلامي، ويجب على المسلمين الواعين والعلماء أن يبذلوا كل جهدهم لمواجهتها، ومن هذه المشاكل ما يلي:

١- كثرة كتب الأحاديث والروايات غير الموثوقة التي تخلط الحق بالباطل وتحيّر طلاب العلم.

٢- التعصُّب المذهبي المقيت لدى المتدينين وفقدانهم العقل والإنصاف، والدفاع عن أمور غير مستندة.

٣- إيجاد الغرور ومباهاة الجهال بمثل هذه الأمور وتحولها إلى وسائل معاش لجماعات من المستأكلين والمعتاشين بالدين.

٤- إتلاف الوقت والمال في نشر الكتب الخرافية ووقف الأوقاف على المقابر والإسراف في هذا الأمر.

٥- نشر الشرك والخرافات بين عامَّة الناس باسم المذهب والاستغلال السيِّئ لاسم الأئمة وأولياء الدين.

٦- ترك الاقتداء بأفعال علماء الإسلام الأعلام وقلّة السعي والجهاد في سبيل الدين والانصراف إلى أعمال لا طائل تحتها مثل الزيارات والنذورات المرجوحة والباطلة والبكاء والنواح وتشكيل مواكب العزاء والتطبير و...

٧- إشاعة البدع ونشر الشعائر المخترعة التي ما أنزل الله بها من سلطان باسم المذهب والإسلام وإهمال أحكام الدِّين الحقيقيّة.

وللأسف كلما خطا أحدٌ خطوةً نحو تنوير أفكار المسلمين أو كتب في هذا الأمر كتابًا قام

حماة الخرافات باتِّهامه وتكفيره وتفسيقه بحجَّة الدفاع عن أئمَّة أهل البيت وأولياء الدين ولم يعطوا العوامَّ فرصة سماع كلامه الإصلاحي.

لقد كان هدف كاتب هذه السطور من تأليفه هذا الكتاب أن أكشف أمر جماعةٍ من الغلاة المنحرفين الذين قاموا طيلة قرون عديدة باسم الإسلام وبحجَّة إبراز محبَّتهم وولائهم لأهل بيت النبيّ ﷺ بنسبة ما شاؤوا من الأكاذيب والأباطيل إلى الإسلام ونشر ما شاؤوا من العبارات الشركية المخالفة للقرآن والعقل والموجبة لهدم الإسلام وانحطاط المسلمين وتفرّقهم، في كتب الزيارات والأدعية باسم الحديث والرواية، وجعلوا الإسلام مجموعة من الخرافات والأوهام والغلوّ بحقِّ عظماء الإسلام وأبعدوا الناس -باسم كرامات ومعجزات ومناقب عظماء الدين- عن أصل الدين وعن القرآن الكريم، وأبقوهم جهلاء بمعارف الإسلام والقرآن وجعلوهم يصرفون كل اهتمامهم وانشغالهم على تعظيم النبيِّ والأئمة ﷺ وتمجيدهم، وخدعوهم بضرورة الذهاب نحو القبور والمزارات التي وضعوا لها ثوابًا وأجرًا لا حدَّ له ولا حساب ليقرؤوا زيارات مليئة بالعبارات المغالية التي لا يقرّها عقل ولا دين، وهكذا شغلوا الناس بأعمال لا طائل تحتها وسرقوا منهم دينهم ودنياهم وأموالهم وبثوا في عقولهم الخرافات باسم الدين، ولم ينهض العلماء إلى مخالفة ذلك الأمر بل ساعدوا على انتشاره بشكل غير مباشر من خلال سكوتهم! ولقد قمنا في هذه الرسالة المختصرة بتمحيص عددٍ من متون الزيارات لإيقاظ المسلمين عسى أن نُنقذ الناس من كيد الغلاة ومكرهم.

كلمة إلى قارئ الكتاب

أيها القارئ المحترم! اعلم أن العبادات – بإجماع كافَّة علماء الإسلام- توقيفية، أي لا يجوز أداء أي عبادة إلا ما أذن الله به وشرعه لنا وعلّمنا إياه رسوله الكريم ﷺ.

لذا قد تجد في بعض مطالب الكتاب أمورًا غير مألوفة بالنسبة إليك [قد يصدمك بعضها]، فرجائي منك أن تتأمَّل فيها بكل جدِّيَّة وأن تُفَكِّر في كلِّ عمل تقوم به بقصد القربة إلى الله وتنتبه إلى دليله الشرعي، وبحكم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، عليك أن تجتنب كلَّ عمل ليس له مستندٌ قويمٌ ولا دليلٌ صحيحٌ على مشروعيَّته، ومن جملة ذلك شدّ الرحال لزيارات المراقد والتوسّل بغير الله والنذر إلى غيره تعالى و....

أرجو أن يدفعك هذا الكتاب إلى إعادة النظر -على أقلِّ تقدير- في الأمور التي اعتدتَ على فعلها دون دليل شرعي متقن واعتقدتَ جوازها بل استحبابها.

وما توفيقنا إلا بالله، أدعو الله تعالى أن يجعل هذه الرسالة في ميزان حسنات هذا العبد الفقير وآخر دعوانا أن الحمد لِـلَّهِ رب العالمين.

خادم الشريعة المطهرة:

السيد أبو الفضل بن الرضا البرقعي

٢/ ٩/ ١٣٦٨ هـ ش (الموافق لـ ٢٣/ ١١/ ١٩٨٩م)

مصادر المؤلِّف

١. القرآن الكريم.

٢. الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، «**الصحيفة العلوية**»، و«**نهج البلاغة**».

٣. الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام، «**الصحيفة السجادية**».

٤. البرقعي، آية الله السيد أبو الفضل بن الرضا، «**جامع المنقول في سنن الرسول**».

٥. البرقعي، «**عرض أخبار أصول الكافي على القرآن والعقول**».

٦. الحر العاملي (١١٠٤هـ)، «**وسائل الشيعة**» مؤسسة آل البيت، قم، ١٤٠٩هـ.

٧. الحليّ، العلامة الفقيه الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦ هـ)، **رجال العلامة الحلي**.

٨. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٨١هـ)، «**اعتقادات الإمامية**» ط حجرية.

٩. الصدوق، «**التوحيد**»، مكتبة الصدوق.

١٠. الصدوق، «**علل الشرائع**»، قم، مكتبة الداوري.

١١. الصدوق، «**من لا يحضره الفقيه**»، ط٣، قم، ١٤٠٣هـ.

١٢. الطبرسي، الشيخ أمين الإسلام أبو على الفضل بن الحسن (٥٦٠ هـ)، «**إعلام الورى بأعلام الهدى**»، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤١٧هـ.

١٣. الطبرسي، «**مجمع البيان في تفسير القرآن**»، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٤. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠ هـ.)، «**تهذيب الأحكام**»، ط طهران.

١٥. عباس القمي، الشيخ المحدث (١٣٥٩هـ)، «**مفاتيح الجنان**»، قم.

١٦. عبد الرزاق الصنعاني (٢١١هـ)، «**المصنَّف**»، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

١٧. الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر (حوالي ٣٥٠ هـ؟)، «**رجال الكشي**»، ط كربلاء.

١٨. الكُلَيْنِي، المحدث محمد بن يعقوب (٣٢٩هـ)، «**الكافي**» (الأصول والفروع والروضة)، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٥ هجرية شمسية.

١٩. المامَقَانيّ، آية الله عبد الله (١٣٥٠هـ)، **تنقيح المقال في أحوال الرجال**، ط حجرية.

٢٠. المجلسي، الملا محمد باقر بن محمد تقي (١١١١ هـ)، «**بحار الأنوار**»، الطبعة الحجرية، وطبعة بيروت: مؤسّسة الوفاء، عام ١٤٠٤هـ، (١١٠ مجلدات).

٢١. المطهَّري، الشيخ مرتضى، «**العدل الإلهي**»، الطبعة العاشرة، طهران.

٢٢. المفيد، الشيخ (٤١٣هـ)، «**الإرشاد**»، ط٢، بيروت، دارالمفيد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٣. منصور علي ناصف، **التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول**.

٢٤. النجاشي (٤٥٠ هـ)، **رجال النجاشي**، ط٥، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٦هـ.

٢٥. النوري الطبرسي، الميرزا حسين (١٣٢٠هـ)، «**مستدرك الوسائل**»، ط حجرية.

المصادر الإضافية التي رجع إليها المترجم للتحقيق

١. ابن أبي جمهور الإحسائي (٨٨٠هـ)، «**عوالي اللآلي**»، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، قم، سيد الشهداء.

٢. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله (٢٣٥ هـ)، «**الكتاب المصنف**»، الرياض، ١٤٠٩ هـ.

٣. ابن سعد، محمد بن سعد (٢٣٠ هـ)، «**الطبقات الكبرى**»، ليدن، هولندا.

٤. ابن قولويه، الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد القمِّي (٣٦٧ هـ)، «**كامل الزيارة**» (أو كامل الزيارات)، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

٥. الألباني، «**صحيح الجامع الصغير**»، الرياض، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.

٦. حامد النقوي، السيد (١٣٠٦هـ) «**خلاصة عبقات الأنوار**»، قم، مؤسسة البعثة، ١٤٠٥هـ

٧. الطهراني، آقا بزرگ (١٣٨٨هـ أو ١٣٨٩ هـ)، «**الذريعة إلى تصانيف الشيعة**»، إعداد: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، بيروت، دار الأضواء.

٨. العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي (١١٦٢هـ)، «**كشف الخفاء ومزيل الإلباس**»، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٩. عماد الدين الطبري (٥٢٥هـ)، «**بشارة المصطفى لشيعة المرتضى**»، ط ٢، النجف ١٣٨٣هـ.

١٠. القمي، الشيخ عباس (١٣٥٩ هـ)، «**منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل**»، تعريب الأستاذ نادر التقي، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٤م/ ١٤١٤هـ.

١١. **الكتب التسعة**، وتتضمن صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وموطأ مالك ومسند الدارمي ومسند أحمد، طبع اسطنبول.

١٢. الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، «**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**»، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ.

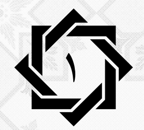
***

تمّ الكتاب بحمد الله

ملخص كتب مجموعة الموحدين

المطبوعة ضمن هذا المشروع

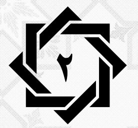
١- سوانح الأيام



آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

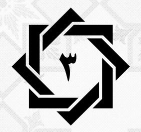
سيرة ذاتية كتبها المرحوم أبو الفضل البرقعي -أحد أعمدة وأعلام المحاربين لخرافات الشيعة وبدعهم في إيران المعاصرة - عن حياته. تنبع أهمية الكتاب الحالي من روايته لتاريخ التحولات السياسية - الدينية في إيران المعاصرة في عهد الحكم البهلوي (رضا شاه ومحمد رضا شاه) وإلى ما بعد الثورة الإيرانية وحتى سنة ١٤١٤ هـ(١٩٩٢ م)، ويحلل ويشرح دور ومواقف علماء الدين الشيعة في الحوادث المختلفة التي عرضت للمجتمع الإيراني ويميط اللثام عن حقائق مجهولة لكثير من القراء؛ بناءً على ذلك، فإن كتاب «سوانح الأيام» إضافة إلى كونه شرحاً شخصياً لحياة العلامة البرقعي، يبين كثيرًا من الوقائع التاريخية المكتومة ويكشف النقاب عن حقيقة الحكومة المتظاهرة بالإسلام في إيران. بعد أن يُعَرِّفَ المؤلِّفُ بِنَسَبِهِ وأُسْرَتِهِ، يذكر نبذة عن مرحلة طفولته ودراسته الابتدائية ثم يشرح دراساته الحوزوية. ويواصل كلامه ببيان نشاطاته السياسية والاجتماعية في مرحلة الشباب ويعرفنا بأساتذته في الحوزة ويذكر نصوص إجازات رواية الحديث التي نالها منهم. ومن أقسام الكتاب المهمة بيان لقاءات البرقعي وحواراته مع كثير من علماء الشيعة المرموقين في إيران ومكاتباته مع كثير منهم - بما في ذلك الخميني والخامنئي - التي غطت جزءًا كبيرًا من الكتاب، في حين تغطي الفصول الأخيرة منه طريقة تعامل الحكومة الإيرانية مع المؤلف وبيان الأذى الذي تعرض له على أيدي رجال الحكم وحوادث السجن والاغتيال الفاشل التي تعرض لها.

٢- عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول



آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمّيّ

بحثٌ جامعٌ حول أحاديث كتاب (أصول الكافي)، وبيان تعارضها مع القرآن الكريم وسنة النبي الأكرمﷺ ومناقضتها لمعايير العقل والمنطق. اعتبر المؤلف أن متون كثيرٍ من أخبار أصول الكافي مخالفةٌ للعقل وللقرآن. وبيّن في المقدمة المفصلة إلى حد ما للكتاب الدلائل على رجحان القرآن وحجيته مقارنةً بالسنة والروايات مستفيدًا في ذلك من المصادر الشيعية الأساسية. في بداية الكتاب، بيّن المؤلف باختصار طريقة تدوين أحاديث الشيعة وأسباب نفوذ الأحاديث الموضوعة في كتبهم وكيفية انتشارها في تلك الكتب وتأثيرها في بناء الفكر الشيعي، كما بيّن الدوافع والعوامل التي ساعدت على اتساع هذا الأمر. ثم بدأ المؤلف بدراسة أحاديث كل باب من أبواب أصول الكافي على حدة وعقد ١٨٢ فصلاً محّص في كل فصل الأحاديث الواردة فيه مبيناً الأحاديث الموضوعة منها بذكر الدلائل على كونها موضوعة من القرآن والسنة النبوية وروايات أئمة الشيعة ومن حال رواة أسانيد تلك الأحاديث. إن هذا الكتاب إلى جانب كتابي (صحيح الكافي) لمحمد باقر البهبودي من أهم الكتب التي أُلِّفَتْ في تنقية كتاب أصول الكافي للكُلَيْني وتنقيحه وتصفيته من الأخبار الموضوعة وغير الصحيحة.

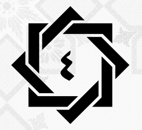


٣- تعارض «مَفَاتيح الجِنان» مع القرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقِعِيّ القُمِّيّ

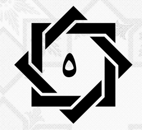
الكتابُ دراسةٌ وتحليلٌ لأدعيةِ كتاب "مفاتيح الجنان" تأليف الشيخ عباس القمي ومقارنتها بقيم الإسلام وحقائقه. يبتدئ المؤلف كتابَه بالتعريف بقاعدة (التسامح في أدلة السنن) ورواية (مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى (شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ) فَعَمِلَهُ، كَانَ لَهُ أَجْرُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ.) وينقد تلك القاعدة والرواية ويبطلهما. ثم يشرح حالة الشيخ عباس القمي ويبين دوافعه لتأليف كتاب مفاتيح الجنان ثم يبدأ بتحليل وتمحيص أدعية هذا الكتاب واحدًا واحدًا وينتقد الأدعية التي تتعارض مع الأفكار والعقائد الإسلامية الأصيلة. يعتبر المؤلف - استناداً إلى دلائل متعددة- أن دعاء كميل ودعاء العشرات ودعاء السمات تحتوي على عبارات صوفية وأنها تنشر العقائد الفكرية لمدرسة الصوفية. ثم يقوم المؤلف بنقد الأدعية الناقصة والمعيوبة ويذكر في هذا المجال: أدعية المشلول ويستشير والعدلية والجوشن الكبير والجوشن الصغير والقاموس. ثم يعقد المؤلف فصلاً آخر يستعرض فيه ثمان شبهات مهمة في توحيد العبادة ويرد عليها. ثم يُمَحِّص المؤلفُ دعاءَ التوسل وحرز الإمام زين العابدين ومناجاة أمير المؤمنين. ويتابع المؤلف بحثه بتمحيص فصولٍ أخرى من كتاب مفاتيح الجنان التي تتعارض مع القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الأصلية.

٤- دراسة علمية لأحاديث المهدي



آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

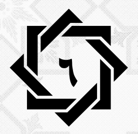
الكتاب بحث علمي في الأخبار والأحاديث المروية حول المهدي – إمام الشيعة الثاني عشر- وفحص وتمحيص صحتها وسقمها. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى فحص عقيدة وجود إمام الزمان (المهدي المنتظر) وتمحيصها بالاستناد إلى الآيات القرآنية والروايات التاريخية والأحاديث المنسوبة إلى أئمة الشيعة. يورد المؤلف في بداية كتابه مقالةً مستقلة قصيرة كتبها أحد زملائه في الفكر والعقيدة (دون ذكر اسمه) كي يتمكن القارئ من خلال ذلك من إدراك مضامين الكتاب والاطلاع على هدفه الكلي. يختص الفصل الأول من الكتاب بدراسة الروايات الشيعية حول إمام الزمان (المهدي) وولادته وحياته. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف مسألة الرجعة كمًا وكيفًا وما سيقع خلالها من حوادث طبقاً لما يعتقد به الشيعة والتي ستقع بعد ظهور المهدي طبقاً لعقيدة الشيعة. وبعد أن ينقل المؤلف كل رواية حول المهدي المنتظر يعقبها ببيان معارضتها لمعايير العقل والمنطق ويثبت تعارضها مع القرآن الكريم ومع أحاديث النبيﷺ وأهل بيته. وفي الفصل التالي يشرح المؤلف آيات القرآن التي يستند إليها مُدَّعُو وجود المهدي ويفسرها. ثم ينقل الروايات التي تتنبأ بالحوادث المستقبلية التي ستقع بعد وفاة المهدي. ويتابع المؤلف بحثه بدراسة أحاديث أهل السنة حول المهدي. ولما كانت أهم الأخبار والأحاديث الواردة حول المهدي قد جاءت في كتاب بحار الأنوار للمجلسي؛ قام المؤلف بدراسة وتمحيص تلك الأحاديث الواردة في ٣٢ بابًا من أبواب بحار الأنوار حديثاً حديثاً، وناقش تلك الأحاديث وأثبت سقمها وضعفها جميعًا.



٥- الخرافات الوافرة في زيارات القبور

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

يدرس المؤلف في هذا الكتاب نظرة الإسلام والقرآن إلى موضوع زيارة القبور ويزن زيارات القبور بميزان العقل ومعاييره. يبتدئ الكتاب بطرح مجموعة من الأسئلة حول المكان الذي تذهب إليه أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم، وهل يطلعون على زيارة زوار قبورهم. وضمن إجابته المدلّلة على هذه الأسئلة يبحث المؤلف مدى مشروعية بناء القباب والأضرحة على القبور وينقل الأحاديث والروايات الواردة عن أئمة الشيعة في هذا المجال. ثم يطرح في الفصول التالية من الكتاب، الروايات التي يرويها الشيعة حول زيارة النبي الأكرم ﷺ وحضرة الزهراء رضي الله عنها وأئمة البقيع وحضرة علي رضي الله عنه ويفند تلك الروايات ويدحض الاحتجاج بها. ثم يمحص نصوص الزيارات التي نُقِلَت عن بعض كبار علماء الشيعة أمثال الشيخ المفيد وصفوان وابن طاووس وجابر الجعفي والكفعمي والسيد مرتضى... ويبين تناقض متونها ومعارضتها للعقل والدين، وفي ختام الكتاب يعدد المؤلف الأضرار والمفاسد الدينية والاجتماعية التي نجمت عن انتشار خرافة زيارات القبور في مجتمع الشيعة وشيوعها.

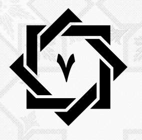


٦- طريق الاتحاد (دراسة وتمحيص نصوص الإمامة)

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

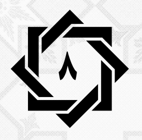
بحث جامع في تمحيص النصوص والمتون الدينية المعتبرة (القرآن والأحاديث والروايات) المتعلقة بمسألة الإمامة ونقدها وتحليلها. يُعَدُّ هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي كُتبت باللغة الفارسية في مجال نقد مفهوم الإمامة الشيعي. يذكر المؤلف تلك الآيات القرآنية التي يستدل بها الشيعة على حقية سلسلة الإمامة المنصوصة حسب عقيدتهم، ويفسر تلك الآيات ويشرحها، وكما يفحص الأحاديث والأخبار التي وصلتنا عن الرسول الأكرم ﷺ والصحابة الكرام ﷺ وأئمة الشيعة حول هذا الموضوع متنًا وسندًا بكل دقة وبعد أن يفصل ويميِّز الأخبار الشاذة والكاذبة (التي تشكل الجزء الأعظم من هذه الروايات) من الأخبار الصحيحة، يبين مفهوم تلك الأخبار ومصداقها الحقيقي واحداً واحداً. وبعد أن يبين المؤلف في بداية كتابه الأسباب والعلل الأساسية لاختلاف أمة الإسلام وجذور افتراق أبنائها بعضهم عن بعض يبحث في حادثة سقيفة بني ساعدة والمفاوضات والنقاشات التي دارت فيها مبينًا خلال ذلك كيفية مبايعة حضرة عليٍّ لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وينقل لنا روايات الشيعة حول هذا الموضوع. وفي الفصل التالي يبحث واقعة غدير خم وحقيقتها. يدور الكلام في هذا الفصل حول شرح واقعة الغدير والدافع الذي دعا نبيَّ الله إلى إلقاء خطبة الغدير المشهورة ونقد ما يستنبطه الشيعة منها. وفي الفصل التالي ينقل المؤلِّف لنا حادثة سقيفة بني ساعدة كما يرويها الطبرسي في كتاب «الاحتجاج»، ويبين لنا كيف أن الحب والبغض المذهبيين شوها الحقيقة وقلباها رأساً على عقب. ثم يذكر المؤلف عشرة أحاديث شيعية مهمة يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم في الإمامة ويحللها ويمحصها سنداً ومتناً بكل دقة. ثم يبين دوافع ثورات السادة العلويين زمن الأمويين وأقوال أئمة الشيعة الصريحة حول الخلافة ودلائلها التاريخية التي تدل جميعها على عدم وجود نص بشأن الإمامة. وهذا هو موضوع الفصل التالي من الكتاب. في الختام يعرفنا المؤلف بفرَق الشيعة المتعددة التي ظهرت بعد وفاة كل واحد من الأئمة ويشرح لنا عقائد كل فرقةٍ من هذه الفرق.

٧- طريق النجاة من شر الغلاة



حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

كتاب مفصل مبسوط يُبيِّن أكثر الخرافات وأقوال الغلاة الشائعة بين الشيعة وينقدها وَيَرُدُّ عليها. يبتدئ المؤلفُ كتابَه ببحث علم الغيب ويثبت أن هذا العلم مختص بالله تعالى وحده، ويشير في هذا الصدد إلى الروايات الشيعية المتعددة التي تنفي علم الغيب عن الأئمة. ثم يتعرض إلى رسالة «سهو النبي» للشيخ محمد تقي الشوشتري ويستند إليها في هذا المجال. أما الفصل التالي فخصصه المؤلف لبحث الولاية وحقيقتها. في هذا الفصل ينقل المؤلف ادعاء الشيعة حول ولاية أمر علي وأبنائه ويستند إلى عدد من آيات القرآن وأقوال الأئمة أنفسهم للرد على هذه العقيدة وتفنيدها. ثم يتابع المؤلف كتابه بفصل يبحث فيه حقيقة الشفاعة؛ فيبين في بداية هذا الفصل مفهوم الشفاعة في القرآن الكريم، ثم يحلل القراءة الشيعية للشفاعة وتأثيرها السلبي في عقائد الشيعة. وفي الفصل التالي يبين المؤلف كيفية انتشار هذه الخرافة في مذهب الشيعة ويبين المسيرة التاريخية لكتب الغلاة وعقائدهم. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف بشكل مفصَّل موضوع زيارات القبور والخرافات التي انتشرت حولها، فيبين في بداية هذا الفصل الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارة القبور من قبل الرسول الأكرم ﷺ وأئمة الشيعة. ثم يبين علة اهتمام الشيعة بزيارات القبور ويعدد الدلائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدت إلى شيوع هذا الطقس الخرافي في المجتمعات الشيعية. ومن مباحث هذا الكتاب الأخرى بيان تعارض أحاديث الزيارة مع القرآن الكريم وتمحيص أسانيد تلك الأحاديث وبيان حكم تعمير القبور في الإسلام. ويختص الفصل النهائي من الكتاب بنظرة عامة إلى ظاهرة الغلو وآفاتها وخبائثها الاجتماعية والدينية.

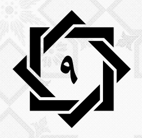


٨- الخُمْس

حيدر علي قلمداران القُمِّي

بحثٌ جامع ومبسوط حللَّ فيه المؤلف الأسس الشرعية والمنطقية للخُمْس في الفكر الاقتصادي للإسلام ومحَّص هذه الأسس وفحص صحتها وبيَّن الحُكم الصحيح بشأنها. يُعَدُّ هذا الكتاب أشمل تأليف مستقل كُتِبَ في عالم الإسلام حتى اليوم في نقد موضوع الخُمس بالمفهوم الشيعي، وقد أُلِّفَ بهدف دراسة أهم أحاديث الشيعة ومستنداتهم حول إيجاب أداء الخُمس وتمحيصها ونقدها. يهدف المؤلف في كتابه إلى تنقية الخمس من الزوائد والإضافات التي أضافها بعض علماء الشيعة إليه، وعلى حد قوله: (جعلوا الخمس وسيلة مطمئنة للاسترزاق وملء جيوبهم). بعد تحليله العميق والدقيق للآية ٤١ من سورة الأنفال التي نزلت بشأن غنائم الحرب، يشرح المؤلف موقف سنَّة نبي الإسلام الكريمﷺ والأئمة من هذا الموضوع بشكل مفصَّل. بدأ المؤلِّف كتابه بدراسة مستند الخُمس في القرآن الكريم، وبعد أن أوضح استخدامات الخُمس وموارده في المجتمع الإسلامي، قام بدراسة أحاديث الخُمس التي حصرتْه برسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام فقط. ثم واصل المؤلف بحثه ببيان الأمور التي يشملها الخُمس وقام بدراسة منطقية وعقلية للأحاديث التي نصت على وجوب الخمس، وبعد أن قارن تلك الأحاديث بالقرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم ﷺ، قام بدراسة دقيقة لرواة أسانيد تلك الأحاديث واحداً واحداً. بعد ذلك أورد المؤلف الأخبار التي تبين أن الأئمة وهبوا الخُمس لشيعتهم، وقام بتحليل هذه الروايات، وفي الختام فحص المؤلف مصارف الخمس وسهم الإمام في زمن الغيبة. ثم نقل المؤلف فتاوى علماء الشيعة الكبار في موضوع دفع الخمس أمثال الشيخ الإسكافي، وابن الجُنَيد، والشهيد الثاني، والمحقق السبزواري، وابن عقيل،

والشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والمقدس الأردبيلي، والمحقق الثاني، والقطيفي، والملا محسن فيض الكاشاني، والشيخ الحر العاملي، والشيخ يوسف البحراني، وشمس الدين العاملي، والشيخ باقر النجفي (صاحب الجواهر)، وآخرين أجمعوا كلهم على إسقاط خمس أرباح المكاسب عن الشيعة في زمن الغيبة، ولأجل هذا الغرض استعرض المؤلف أقوال أولئك العلماء وفتاواهم واحداً واحداً. ويتضمن الجزء الأخير من الكتاب مجموع إجابات المؤلف على الردود التي ألفها كل من ناصر مكارم الشيرازي، ورضا استادي أصفهاني، وسيد حسن إمامي أصفهاني على كتابه الخمس، وقد أضيفت هذه الإجابات إلى النسخة الجديدة المنقَّحة لكتاب الخمس.

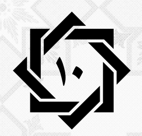


٩- رَدُّ قُرَوِيٍّ عَلَى السَّيِّدِ المَحَلَّاتِيّ

حيدر علي قلمداران القُمِّي

قام مؤلف هذا الكتاب بدراسة استدلالات وادعاءات ذبيح الله محلاتي التي ذكرها في كتابه «رَدٌّ على المناقشات بشأن خطبة الغدير ووجوب خمس أرباح المكاسب ومسألة الشفاعة»، وتمحيصها، وتفنيدها والردّ عليها. وقد كان المحلاتي ألف كتابه الأخير للرد على مقالة بعنوان «رد خطبة الغدير» كان السيد أبو الفضل البرقعي قد كتبها ونشرها في مجلة «رنگين كمان» [قوس قزح]. ولما كان السيد محلاتي قد أَلَّف كتابَه على شكل أسئلة افتراضية والإجابة عنها، اتخذ مؤلف هذه الرسالة نهجًا مشابهًا وبين إجاباته عن أسئلة السيد المحلاتي واعتراضاته. في بداية الرسالة، بيَّن المؤلف قصة الغدير وما وقع فيها وذكر دلائل تثبت أنه لا يمكن أن يكون قصد الرسول الأكرم ﷺ من تلك الواقعة هو النص على خلافة عليرضي الله عنه للنبي ﷺ في الحكم والرئاسة. وقسَّم المؤلف أدلته إلى أربعة أقسام هي: الأدلة العقلية والأدلة النقلية والأدلة الوجدانية والأدلة التاريخية. ثم قام المؤلف ببحث مفصل في سند حديث الغدير الطويل وعَنْوَنَه بـ (السند الفاضح لحديث الغدير) حيث محّص رجال السند أي رواة حديث الغدير بالاستناد إلى مصادر كتب الرجال الشيعية المهمة مُبيِّنًا حال أولئك الرواة ومدى ثقتهم وإمكانية الاعتماد على روايتهم ليصل بالنتيجة إلى أن أكثر أقسام حديث الغدير الطويل موضوعة مختلَقة، وبالتالي فالنتائج والمفاهيم المستنبطة منها باطلة.

١٠- قبس من القرآن

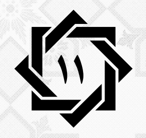


آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

أصل الكتاب، ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفارسية باسم «تابشى از قرآن»، فتُرجم إلى العربية باسم «قبس من القرآن». هدف المؤلف من كتابه المذكور الذي يقع في أربعة مجلدات بيان مفاهيم آيات القرآن وشرح رسالته الهادية بعيداً عن العصبيات المذهبية وأهواء الفرق. يُقدِّم المؤلف في المجلد الأول من كتابه ضمن مقدمة مفصلة مبسوطة شملت نصف حجم المجلد الأول معلومات وفوائد جامعة حول أهم مباحث علوم القرآن كي يتعرف القارئ غير المتخصص، إلى حد ما، على المفاهيم والمصطلحات القرآنية الخاصة، ومن جملتها مباحث من علوم القرآن مثل: طريقة تدوين القرآن، القراءات المختلفة، دوافع وكيفية تدوين القرآن في زمن عثمانﷺ، تحريف القرآن، المحكم والمتشابه، إعجاز القرآن وأنواعه، خصائص نص القرآن الفريدة، وغير ذلك من الأبحاث. طريقة المؤلف في تفسيره، هي الابتعاد عن استخدام اصطلاحات العلوم والفنون، ونتيجة لذلك فإن القارئ يواجه نصًا سلسًا وبسيطًا ومفهوماً بيسر. بعد أن يذكر المؤلف المعنى العام للآية الكريمة يقوم بتوضيح معاني المفردات الواردة فيها -لاسيما المفردات ذات الوجوه المتعددة أو المفردات التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح خاص - فيقوم بتفسيرها، مما يساعد القارئ على إدراك مفهوم كل آية ورسالتها.

يتضمن المجلد الأول من هذا التفسير تفسير سورة الفاتحة حتى النساء، ويتضمن المجلد الثاني تفسير سورة المائدة حتى سورة يوسف، والمجلد الثالث يواصل تفسير سورة يوسف حتى سورة فاطر، في حين يتضمن المجلد الرابع تفسير سورة يس حتى سورة الناس.

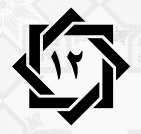
١١- نقد المراجعات



آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

يتضمن الكتاب نقدَ ادعاءاتِ السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه «المراجعات» وتمحيصها. لقد أُلِّف كتاب «المراجعات» بهدف مناقشة عقيدة أهل السنة (في موضوع الإمامة) ونقدها، فقام البرقعي في هذا الكتاب بالرد على بيانات شرف الدين مستنداً في ذلك إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والروايات المنقولة عن أئمة الشيعة. يبتدئ الكتاب بطرح مفهومي السنة والتشيع ثم يستعرض اتجاه الكُلَيْني المذهبي -بوصفه من أهم محدثي الشيعة- تجاه الحديث وتدوينه. ثم يشرح منهج الباطنية في تفسير القرآن وتأثير هذا النهج في استنباط المفاهيم الحديثية. ثم يبحث المؤلف موضوع ادعاء علم الأئمة بالغيب ويثبت بطلان هذه العقيدة مستنداً في ذلك إلى الروايات الشيعية ذاتها. وفي ختام الكتاب، يبين المؤلف أسباب نزول آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة في فكر الأئمة ولدى مفسري الشيعة.

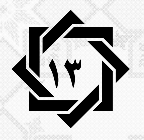
١٢- كيف اهتديت؟ ولادة جديدة واختيار جديد



حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر

الكتابُ سيرةٌ ذاتيةٌ كتبها «مرتضى راد مهر» – من علماء الدين الشيعة المعاصرين- شرح فيها عِلَل هدايته إلى مذهب أهل السنة وما لاقاه في هذا الطريق من مصائب ومشكلات. كان المؤلف من الطلاب البارزين في الحوزة العلمية في قم. يشرح في كتابه، الدوافع التي دفعته إلى ترك الأفكار الشيعية الخرافية والاتّجاه إلى مذهب أهل السنة، ويعرِّف القراءَ خلال بيانه لهذا الأمر بالأسس الفكريّة لأهل السنة ونقاط اختلافها مع عقائد الشيعة. كما يتضمن الكتاب بيانًا للحوادث التي تعرض لها في حياته عندما كان طالباً للعلوم الدينية وشرحاً لمناظراته واحتجاجاته مع علماء أهل السنة وكيف كانوا يجيبون عن أسئلة الشيعة وشبهاتهم حول أهل السنة؛ ولذلك فالكتاب ليس مجرد سيرة حياة ذاتية بل هو درسٌ عقائديٌّ حول أفكار أهل السنة وعقائدهم. في بداية الكتاب، يشرح المؤلف باختصار حال أسرته ومرحلة طفولته والأسباب التي دعته إلى التحاق بالحوزة العلمية والجامعة. ثم في الفصل التالي يتكلم عن سفره إلى بلوشستان وتعرفه على مولانا (الزعيم الروحي والعقائدي لأهل السنة في تلك المنطقة). ويشرح كيف التقى فيه وتحدث معه. ثم يبين سفره إلى الحج وزيارته لمدينة السليمانية في العراق وزيارته لسوريا وتأثير تلك الأسفار عليه. في الفصول الختامية للكتاب يبين المؤلف التحولات الروحية العميقة التي عرضت له واعتقاله المتكرر من قبل المخابرات الإيرانية وتعاملهم السيء معه وأنواع التعذيب الشديدة والرهيبة التي تعرض لها في السجن. تتضمن الفصول النهائية للكتاب شرحاً لآخر أيام حياة رادمهر بقلم شخصٍ آخر، لأن المؤلف كان قد توفي بسبب العلل الجسيمة الناجمة عن التعذيب التي تعرض له على أيدي المخابرات في بلاده.

١٣- مفتاح فهم القرآن

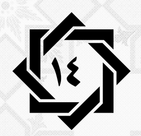


شريعت سنگلجى

بيانٌ لطرق تدبر القرآن وكيفية فهمه وكيفية استخراج الفوائد والأحكام من آياته. يشير المؤلف في بداية كتابه إلى أن رسالة الإسلام رسالة عامة لجميع الخلق. وكذلك تعاليم الإسلام موجهة لعامة البشر. ويعتبر أن القرآن الكريم كتابٌ يخاطب عامة البشر ولا ينحصر فهم معانيه ورسالته بجماعة خاصة، ويسعى في بيان أصول فهم القرآن بلغة ميسرة بسيطة. ولأجل هذا الغرض، يبين في بداية الكتاب المفاهيم الأساسية الضرورية لفهم آيات القرآن ويقدم توضيحاً مختصراً حول كل واحد من تلك المفاهيم؛ ومنها: الظاهر والباطن، المحكم والمتشابه، التفسير بالرأي الممدوح والتفسير بالرأي المذموم، الضروريات والناسخ والمنسوخ. ويواصل المؤلف فصول كتابه ببحث أنواع القَسَم في القرآن ومفاهيمه ثم يبحث فواتح السور وأمثال القرآن. ثم يبحث طرق استدلال القرآن وماهية الوحي وكيفيته. ثم يتعرض المؤلف إلى بيان مناهج الفرق والنحل الفكرية المختلفة مثل السفسطائيين والحِسّيين والتجريبيين والصوفية في فهم القرآن وتفسيره. وأخيراً يستعرض المؤلف موقف القرآن وتعاليمه حول النبوة والقيامة والمعاد.

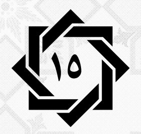


١٤- الدعاء



آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

تحليل لمفهوم الدعاء في الإسلام وبيان شروط الأدعية التوحيدية وكيفية التمييز بينها وبين الأدعية الشركية والباطلة. يُمحِّص المؤلف في هذا الكتاب بعض أهم كتب الأدعية الشيعية ويبين علة انحراف مضامينها. ويسعى بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث الموثوقة إلى بيان الأضرار التي ألحقتها الأدعية المخترعة والمُضِلَّة في الفرد والمجتمع. ثم يطرح المؤلف بعض الشبهات والأسئلة الشائعة حول الدعاء والتوسل ويرد عليها ردًا مدللًا مبرهنًا.



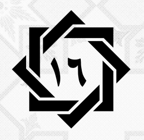
١٥- منهاج السنة في رد أهل البدعة

تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

الكتاب ترجمة إلى الفارسية لكتاب «المنتقى» تأليف محمد بن عثمان الذهبي. وكتاب المنتقى اختصار لكتاب «منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية» تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي الذي ألفه في الرد على أفكار الشيعة وعقائدهم الباطلة. طريقة المؤلف في هذا الكتاب هي الابتداء بنقل عقائد الشيعة حول الإمامة والخلافة ثم تفنيد هذه العقائد بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم وكلام نبي الإسلام الكريم ﷺ وإلى المنطق والعقل السليم. في هذا الصدد ذكر المؤلف الدلائل التي ساقها العلامة الحلي لإثبات لزوم زعامة عليٍّ رضي الله عنه للمسلمين بعد رحلة النبي ﷺ وأنه أولى بخلافة النبي ﷺ من سائر الصحابة رضي الله عنهم، لإثبات إمامة علي رضي الله عنه في القرآن الكريم ثم قام بالإجابة عن هذه الأدلة واحداً واحداً بشكل مفصل مُبيِّناً ضعفها وتهافتها. وأما مترجم الكتاب إلى الفارسية، آية الله البرقعي، فقد علَّق وشرح بعض الموضوعات في هامش الكتاب للرد على عقائد الشيعة الإمامية، مما زاد ذلك في أهمية الكتاب.

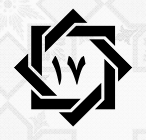
١٦- تأمل في آية التطهير



آية الله العظمى نعمت الله صالحي نجف آبادي

شرح وتفسير لآية التطهير ودراسة وتمحيص لما يقوله الشيعة بشأن من تنطبق عليهم هذه الآية والرد على قولهم هذا. من المعلوم أن الآية ٣٣ من سورة الأحزاب المشهورة بآية التطهير إحدى أهم الآيات القرآنية التي يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم بعصمة أهل البيت. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى بيان الوقائع التي أدت إلى نزول هذه الآية. ولأجل إثبات كلامه في هذا المجال يفحص المؤلف بكل دقة الآيات التي جاءت قبل هذه الآية وبعدها ويبين ترابط الآيات ووحدتها في بيان رسالة واحدة للقارئ، وبهذه الاستدلالات المختصرة والمنطقية يبطل إدعاء الشيعة حول هذه الآية.

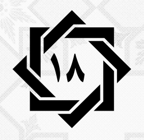
١٧- التناقضات في العقيدة



محمد باقر سجودي

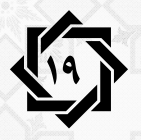
الكتاب تحليلٌ ودراسةٌ تاريخيةٌ للوقائع التي حدثت بعد رحلة النبيﷺ وأدت إلى وصول الخلفاء الثلاثة إلى منصب الخلافة وزعامة المسلمين. ليس هدف المؤلف من هذه الرسالة إهانة عقائد الشيعة بل مساعدتهم في إدراك حقانية الصحابة ومعرفتهم معرفة صحيحة. في بداية الكتاب عدَّدَ المؤلفُ الدلائل التي دعت الرسول الأكرمﷺ إلى تجنب تعيين وصي له. وتابع المؤلف بحثه بذكر الآيات القرآنية التي نزلت في الثناء على الصحابةرضي الله عنهم وبيان عظيم منزلتهم وقام بتفسير هذه الآيات. وذكر المؤلف الخصائص والمزايا التي بينها الله تعالى في وصفه للصحابة للنبيﷺ وجعل تلك الخصائص في ١٣ مجموعة شرحها واحدة واحدة. ثم عَرَّفَ في الفصل التالي بالمنافقين وبيَّن صفاتهم استنادًا إلى آيات القرآن الكريم. ومن موضوعات الكتاب الأخرى دراسة وتحليل أسباب الاختلاف بين الصحابةرضي الله عنهم ومحبي أهل النبيﷺ وخصائصهم وتحليل واقعة الإفك وسلوك النبيﷺ مع بناته.

١٨- توحيد العبادة



شريعت سنگلجي

يبين الكتاب قواعد ومعايير التوحيد في الإسلام ويشرح العقائد الخرافية الشركية ويعرفها للقراء. يبتدئ المؤلف كتابه بطرح أصل التوحيد ومعناه ومصاديقه. ثم يقوم ببيان مفهوم العبودية وشروط تحققها ويشرح العبودية العامة والخاصة ويتابع كتابه ببيان معنى الشرك والأعمال والأفكار الشركية التي وجدت طريقها لآداب المسلمين ومناسكهم ولاسيما الشيعة منهم. ويقسم الشرك إلى نوعين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ ويبين مصاديق كل منهما. ومن جملة مباحث هذا الفصل من الكتاب بحث التبرك، وذبح الأضاحي لغير الله والتوسل لغير الله والرياء والشفاعة. في الفصل التالي يبين المؤلف معنى قانون السببية وحقيقته وخطأ العوام في فهمه ثم يقوم بتحليل طقوس زيارة قبور عظماء الدين كالنبي ﷺ والأئمة بوصفها نماذج شركية لهذا الفهم السيئ لقانون السببية. ويختص الفصل النهائي للكتاب ببيان الأسباب التاريخية والاجتماعية لظهور عبادة الأصنام وشيوع الشرك والخرافة في الإسلام.

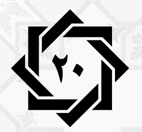


١٩- الخلافة والإمامة

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

طرحٌ لأسئلةٍ أساسيةٍ حول عقائد الشيعة بشأن إمامة الأئمة وخلافة صحابة نبي الإسلام الأجلاء. يطرح المؤلف في هذا الكتاب مسائل مهمة حول أمر الخلافة والإمامة مستعيناً بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين الأجلاء، ويدعو الشيعة إلى التفكُّر فيها وتأمُّلِها بإنصاف. في بداية الكتاب يبحث المؤلف موقف حضرة عليٍّ رضي الله عنه من مسألة انتخاب الخلفاء الثلاثة رضي الله عنهم الذين سبقوه وينقل لنا خطب الإمام علي ورسائله التي تدل على رضاه عن ذلك. ثم يتعرض المؤلف إلى موضوع ذكر أسماء الأئمة الشيعة في القرآن ويذكر تفسير الآيات التي يستند إليها الشيعة في ادعائهم ويثبت خطأ استنباطهم لعقيدتهم من تلك الآيات. في هذا الفصل وبعد أن يذكر المؤلف أدلة عديدة من القرآن الكريم ينقل لنا روايات متعددة عن الأئمة أنفسهم حول عدم عصمتهم من الخطأ والزلل.

٢٠- العقيدة الإسلامية



تأليف: الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

الكتاب بيان للعقائد الإسلامية الأصيلة استنادًا إلى آيات القرآن الكريم النورانية وأحاديث نبي الرحمة والمغفرة - محمد المصطفى ﷺ - الشريفة. يشير المترجم في مقدمته على الكتاب إلى العداء الأعمى والجاهل للشيعة - خاصة في إيران - تجاه الموحدين في شبه الجزيرة العربية الذين يُعرفون في إيران باسم الوهابيين. الدافع الأصلي الذي دعا المؤلف إلى ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية هو رغبته في الدفاع عن المنهج الفكري والعقائدي للموحدين في شبه الجزيرة العربية ومعرفة عقائد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - مصلح الحجاز الديني في القرن الثاني عشر الهجري- وتعاليمه من خلال مؤلفاته. يُعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المؤلفة في بيان العقيدة الإسلامية الأصيلة في أسلوب سهل وميسر مما يجعله نبراسًا للمسلمين الأحرار الذين يعتَبِرون كتابَ الله وسنَّةَ رسوله المطهَّرة كافيين ووافيين للهداية ونيل السعادة الأبدية وينحازون بعيداً عن كل تعصب إلى تعاليم الإسلام الأصيلة. يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة رسائل لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: في الرسالة الأولى بيان لأسس التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وكيفية معرفة النبي ﷺ، والآثار الدينية لذلك التوحيد والمعرفة الصحيحة في المجتمع وواجبات المؤمنين تجاه الله تعالى ورسوله. وفي الرسالة الثانية، يشرح المؤلف معايير تمييز الحق من الباطل في اتباع الدين الحنيف، وفي الرسالة الثالثة يطرح المؤلف الشبهات التي يوردها المغرضون والمشركون على الإسلام وأفكاره التوحيدية ويرد عليها ردًا مُدَللًا. وأما المترجم آية الله البرقعي رحمه الله، فقد علق على الهامش بتعليقات علمية نافعة. جزى اللهُ تعالى المؤلفَ والمترجمَ عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.